التبيان والإتحاف
في
فقه الصيام والاعتكاف

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م
بطاقة الفهرسة

على ، سرحان عبد الرحمن محمد
التبيان والإتحاف في فقه الصيام والاعتكاف
سرحان عبد الرحمن محمد علي . ط٢ . **المنصورة** :
دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠م
٣٢٠ص ، ٢٤سم
رقـــم الإيداع : ٢٠١٠/ م
الترقيم الدولي :

دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر - القاهرة - المنصورة
القاهرة . محمول : ٠١٠٩٧٠٧٤٩٥ - المنصورة . ص.ب. : ١٦٧
e_mail : mmaggour@hotmail.com

التبيان والإتحاف
في
فقه الصيام والاعتكاف

سرحان عبد الرحمن محمد على

دار الكلمة
للنشر والتوزيع

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى والدي ، الذي أسأل الله أن يبارك في عمره وعمله ، وأن يتقبل منه ، وأن يحسن خاتمته ، ويجزيه جزاء المحسنين .

إلى أمي ، التي أسأل الله أن يرحمها برحمته التي وسعت كل شيء ، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتها .

وإلى زوجتي التي عملت ، وتعمل دائمًا من أجل إسعادي ، وتطيع ربها فيَّ ، فجزاها الله خير الجزاء .

وإلى أولادي أحمد ومحمد وعبد الرحمن الذين أدعو الله لهم أن ينهجوا هذا النهج المبارك في الدعوة إلى الله تعالى ، وأن يجعلهم من الصالحين .

قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف:٨٨] .

وإلى كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب ، أسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتهم ، وأن يجزيهم خير الجزاء .

وإلى رواد المسجد الذي أدعو فيه إلى الله « مسجد الجوهري » بالمنصورة ، الذين أسأل الله أن يبارك فيهم ، وأن يحفظهم ، فإنه ولي ذلك والقادر عليه .

وإلى أهل بلدتي قرية الحواوشة أهديهم ثمرة هذا الجهد ، وأسأل الله أن يجعلها قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان .

وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل ـ وهو جهد المقل ـ في ميزان حسناتنا ، وأن يتقبله ، وأن يكون خالصًا لوجهه .

وكتبه أبو أحمد

سرحان عبد الرحمن محمد على

في شعبان ١٤٣١هـ .

الموافق أغسطس ٢٠١٠م .

مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فهذا كتاب « **التبيان والإتحاف في فقه الصيام والاعتكاف** » ، أحببت أن أتحدث فيه عن هذا الشهر الكريم شهر رمضان بما فيه من نفحات مباركة ، وفضائل عظيمة .

فلا شك أن صوم رمضان نعمة من نعم الله تعالى على عباده ، فجعله موسمًا للخيرات ومنجمًا لاكتساب الأعمال الصالحات ، ففي هذا الشهر أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

في هذا الشهر الدعاء مستجاب لا يرد .

في هذا الشهر انتصر النبي ﷺ على أعدائه كما في غزوة بدر ، وكما في الفتح الأعظم فتح مكة .

وفي هذا الشهر تغفر الذنوب ، وتعتق الرقاب من النيران ، وفي هذا الشهر سنة

الاعتكاف في العشر الأواخر منه .

هذه العبادة الجليلة المهجورة وهي عبادة « التبتل » أي الانقطاع لله تعالى ، فقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان .

في هذا الشهر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .

فإن الصوم عبادة جليلة لها فوائدها ، الدينية ، والاجتماعية والأخلاقية ، والنفسية ، فكان لابد للمسلم أن يعلم هذا كله ويعمل به .

فعلامة خير أن يوفق العبد للفقه في الدين ، وهذا لا يكون إلا بالاتباع الكامل لما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وفي هذا الكتاب تبيان وإيضاح لحكم وأحكام الصيام ، أردت أن تكون زادًا لي أولًا للقاء ربي ، وزادًا لإخواني من الدعاة والمعلمين والوعاظ والمربين في قراءته والاستفادة منه بحول الله وقوته .

وما كان من صواب فمن الله وحده وله الحمد والمنة على توفيقه ، وما كان من غير ذلك فمني ومن الشيطان ، وأستغفر الله العظيم منه .

والله أسأل التوفيق والسداد لا رب غيره ، ولا أرجو إلا خيره ، عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨] .

وكتبه

العبد الفقير

سرحان عبد الرحمن محمد على

الفصل الأول

كيف نستقبل شهر رمضان ؟

شهر رمضان ضيف كريم عزيز يحل على المؤمنين مرةً في كل عام ، حاملًا معه بشائر الخير ، ونسائم الرحمة ، حيث تتضاعف الحسنات ، وتفتح أبواب الجنات ، وتغلق أبواب النيران ، وتصفد الشياطين ، ولذلك من ضيع الخير فقد ضيع كثيرًا ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكِبر فلم يدخلاه الجنة** »[(١)] .

يا إخْوتَاه ، لَيْسَ مَنْ رَغِبَ إلى الله كَمَن رَغِبَ عَن الله ، لَيْسَ كَمَنْ بقى مَعَ الله كَمَنْ بَقِيَ عَنِ الله ، لَيْسَ مَنْ عُمُرُه كُلُّه رَمَضَان كَمَنْ عُمُرُهُ كُلُه للجُشَاءِ والطَعام ، فمنَ الناسِ قومٌ قبل رمضان يأخذون بِحَظِ أنفسِهمْ مِنَ الشهواتِ والأكلِ ، ويقُولون : « هي أيام توديعٍ للأكل والشرابِ والطعامِ » .

وربما لم يقتصرْ كثيرٌ منهم على اغتنامِ الشهواتِ المباحة ، بل يتعدى إلى المحرمات ، وهذا هو الخسران المبين .

وأنشد لبعضهم :

إذا العشرونَ مِنْ شَعْبانَ وَلَّتْ ... فَوَاصِلْ شُربَ ليلِكَ بالنهارِ
وَلَا تَشْرَبْ بِأَقْداحِ صِغَارٍ ... فَإِنَّ الوقتَ ضَاقَ عَنِ الصغَارِ

ورُدّ عليه :

إذا العشْرونَ مِنْ شَعْبانَ وَلَّتْ ... فَوَاصِلْ ذِكرَ ليلِكَ بالنهارِ

---

(١) أخرجه الترمذي ، وقال : حسن غريب (٣٥٤٥) .

فالغافلون يستقبلون هذا الشهر الكريم باستثقال ؛ لأنهم يستثقلون العبادات فيه ، من الصلاة ، والصيام ، فكثير منهم لا يصلي إلا في رمضان إذا صام ، وكثير منهم لا يجتنب كبائر الذنوب إلا في رمضان ، فيطولُ عليه ويشق على نفسه مفارقتها لمألوفها ، فهو يعد الليالي ليعود إلى المعصية ، ليعود إلى الطعام والشراب ، ولسان حاله :

إنما الدنْيَا طعامٌ وشرابٌ ومنامٌ فإذا فَاتَكَ هَذَا فَعَلى الدُّنْيَا السلام

قيل لأحد الصالحين : « أيهما أفضل رجب أم شعبان ؟ فقال : كن ربانيًا ولا تكن شعبانيًا » .

أما استقبال أهل التقوى والهدى ، الذين يستبشرون بقدوم هذا الشهر المبارك ، ويستعدون للقائه بكل عزم وقوة .

فقال قال معلى بن الفضل : « كان السلف عليهم رضوان الله ، يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم » .

وقال يحيى بن كثير : « كان من دعائهم : اللهم سلمني إلى رمضان ، وسلم لي رمضان ، وتسلمه مني متقبلًا » .

فبلوغ رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه ، من رُحم فيه فهو المرحوم ، ومن حرمَ فيه الخير فهو المحروم ، ومن لم يتزودْ لمعاده فيه فهو الملوم .

أَتَى رَمَضانُ مَزْرَعةُ العِبَادِ لِتطهِيرِ القلوبِ من الفَسَادِ
فأدِّ حُقوقَهُ قَوْلًا وفِعْلًا وزادُكَ فاتخِذْه إلى مَعَادِ
فَمنْ زَرَعَ الحبَوبَ وَمَا سَقَاهَا تَأوهَ نَادِمًا يَومَ الحصَادِ

عن طلحة بن عبيد الله ﷺ ، أن رجلين من بلى قدما على رسول الله ﷺ ، وكان إسلامهما جميعًا ، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر ، فغزا المجتهد منهما فاستشهد ، ثم مكث الآخر بعده سنةً ثم تُوفى .

قال طلحةُ : فرأيت في المنام بينا أنا عند باب الجنة ، إذا أنا بهما ، فخرج خارجٌ من

الجنة ، فأذن للذي تُوفى الآخر منهما ، ثم خرج ، فَأَذِنَ للذي استشهد ، ثم رجع إليَّ فقال : ارجع فإنك لم يأن لك بعدُ .

فأصبح طلحة يحدث به الناسَ ، فعجبوا لذلك ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، وحدثوه الحديث فقال : « **من أي ذلك تعجبون ؟** » ، فقالوا : يا رسول الله ، هذا كان أشدَّ الرجلين اجتهادًا ، ثم استشهد ودخل هذا الآخرُ الجنة قبله !

فقال رسول الله ﷺ : « **أليس قد مكث هذا بعده سنةً ؟** » ، قالوا : بلى ، قال : « **وأدرك رمضان فصامه وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة ؟** » ، قالوا : بلى ، قال رسول الله ﷺ : « **فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض** » [1] .

فاللهم اجعلنا من الصالحين .

الأعمال التي نستقبل بها شهر رمضان :

١ ـ التوبة النصوح :

التوبة النصوح هي التوبة الخالصة من الشوائب ، التوبة التي تجعل صاحبها طاهرًا نقيًا صافيًا ، وهذا ما يليق أن نستقبل به هذا الضيف الحبيب « شهر رمضان » ، حيث إنه لا يليق بحبيب أن يلقى حبيبه بثياب قذرة ، وهيئة منفرة ، ولكن يلقاه متجملًا نظيفًا طاهرًا ، وهذا ما تفعله التوبة النصوح التي دعا إليها رب العالمين ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ [التحريم] .

فإن التوبة النصوح هي التي تؤهل النفس لتتذوق العبادة في رمضان ، والاجتهاد في قراءة القرآن ، وفي ذكر الرحيم الرحمن ، وكثرة الطاعات والقربات ، ويذوق الصائم حلاوة الإيمان ولذة العبادة .

---

(١) **صحيح** : رواه بن ماجه في السنن ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣١٧١/ ٢) .

وهذا لا يتحقق إلا بترك المعاصي ، وطهارة القلب منها ، والمسارعة إلى التوبة .

يا ذَا الذي ما كفاه الذنبُ في رجبٍ ... حتى عَصى رَبَّه في شهرِ شَعبان
لقد أظلكَ شهرُ الصوم بَعَدَهُمَا ... فلا تُصَيرهُ أيضًا شهر عِصْيانَ
واتلُ القرآنَ وسبِح فيه مُجْتهدًا ... فإنه شهرُ تسبيح وقرآنِ
كم كنت تعرفُ ممن صامَ في سلفٍ ... مِنْ بينِ أهلٍ وجيرانٍ وإخوانِ
أفناهُمُ الموتُ واستبقاكَ بعدهمُ ... حيًا فما أقرب القاصي من الداني

فيحسن بمن أراد أن يستقبل رمضان أن يستقبله بهذه التوبة النصوح التي تغفر الذنوب والآثام ، مهما كان عظم الذنب ، فرحمة الله أعظم ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠] .

وهذه التوبة كي تكون نصوحًا خالصة لابد من توفر شروطها وهي : الإقرار بالذنب ، ثم الندم عليه ، ثم العزم على عدم العود إليه ، أي : إلى الذنب ، ثم رد المظالم إلى أهلها إذا كان الذنب في حق عبد من عباد الله .

فمن حقق هذه الشروط خَلُصَتْ نيتُهُ في التوبة إلى الله تعالى .

ونحن نستقبل شهر التوبة والغفران ، الذي يتفضل فيه رب العالمين بمغفرة الذنوب والآثام ، والعتق من النيران فإن المتأمل في آيات الصيام يجدُ لفتةً عظيمة وهي أن آيات الصيام في سورة البقرة بدأت بهذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣] ، ثم قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة:١٨٥] ، ثم تحدث بعد ذلك عن الدعاء وإجابته فقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:١٨٦] ، ثم عاد إلى الصيام مرة ثانية ، وتحدث عن بعض أحكامه فقال : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٧] .

تأمل الآية التي تلي آيات الصيام ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

[البقرة:١٨٨]

وهذه الآية هي آخر آية في الربع الذي تحدث عن الصيام في كتاب الله تعالى ، والمعنى ـ والله أعلم بمراده :

« إذا كنا قد حرمنا عليكم الطعام والشراب في أثناء النهار في رمضان ، فكذلك لا تتركوا الطعام والشراب ، وتتجهوا إلى أكل أموال الناس بالباطل » .

وقد قال رسول الله ﷺ : « **إذا خَلَصَ المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا** » [(١)].

ويقول النبي ﷺ : « **من كانت له عند أخيه مظلمة فليتحلل منه قبل ألا يكون دينار ولا درهم** » [(٢)].

وقال ﷺ : « **لَتُؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناءِ** » [(٣)].

فالله الله في حقوق العباد خالصة في هذا الشهر الكريم ، فمن لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه .

وهذا نداء لأهل المعاصي : لا يليق بك أن تستقبل هذا الشهر الكريم برحماته ونفحاته ، وأنت على الذنب قائم وتصوم وتفطر على ما حرم الله .

يا تارك الصلاة ، كيف تصوم ولا تصلي ، والصلاة هي عماد الدين ، وهي الصلة التي بينك وبين ربك ؟

---

(١) البخاري (٦٥٣٥).
(٢) البخاري (٢٤٤٩) .
(٣) مسلم (٢٥٨٢) .

يا آكل الربا والرشوة وأموال اليتامى ، كيف تصوم عن المباح وتُفطر على الحرام ؟

يا عاق والديه ، كيف تصوم وتهنأ بهذا الصيام ، وقد دعا عليه أمين السماء جبريل ، وأمَّن النبي عليه الصلاة والسلام على دعائه ، فقال جبريل : « **بَعُدَ من أدرك رمضان ولم يغفر له** » ، قل : آمين ، فقال رسول الله ﷺ : « **آمين** » .

يا من تشهد شهادة الزور وتخوض في أعراض الناس : كيف تريد صومًا مقبولًا نافعًا وأنت لله عاص ؟

ألم تسمع قول رسول الله ﷺ : « **من لم يَدَعْ قولَ الزورِ والعملَ به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** » [(١)] .

فمن سرق مالًا من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول : أستغفر الله ، بل عليه أن يرد المال إلى صاحبه .

كذلك إذا أفتى عالمٌ من العلماءِ الناسَ فُتْيَا فغشهم فيها عن عمد ، فلا يكفي أن يقول : « أستغفر الله » ، بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا .

كذلك من خاض في عرض أخيه بما يكره ، فلا يكفي أن يقول : « أستغفر الله » ، بل عليه أن يستسمحه قبل يوم القصاص .

كذلك من كان عنده أجير ، فظلمه ، فلا يكفي أن يقول : « أستغفر الله » ، بل يرد إليه مظلمته .

يدلُ على هذا كله قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٠] .

فاجعل التوبة لك رايةً ، والاستغفارَ لك شعارًا .

فمن أجلك أيها العبد سمى الربُ نفسه بـ« العفو » و« الغفور » و« التواب » ،

---

(١) البخاري (١٩٠٣).

وبأنه « أهل المغفرة » في جملة مواطن من القرآن الكريم حثًا على الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله .

فأحزن الشيطان وأذله بهذه التوبة ، وهو الذي أقسم بجلال الله وعزته حين قال : « **بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم ، فقال الله : فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني** » (١) .

وأفْرِحْ ربك برجوعك إليه وتوبتك إليه ، فقد قال المعصوم ﷺ : « **لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدِكم ، كان على راحلته بأرض فلاةٍ ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينا هو كذلك إذا هي بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح** » (٢) .

فاللهم تب علينا لنتوب ، وخلصنا من الذنوب .

٢ـ الإخلاص :

من حسن استقبال هذا الشهر الكريم إخلاص النية في صيامه وقيامه ، وفي كل عبادة نعبد الله تعالى بها في هذا الشهر وفي غيره ، فإن الإخلاص هو شرط قبول العمل عند الله تعالى في رمضان وفي غير رمضان .

لأن ربك لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ .

[الكهف]

ففي هذه الآية الخاتمة من سورة الكهف بَيَّنَ ربُّنَا شرطي قبول العمل وهما :

---

(١) أحمد (٣/ ٢٩) .

(٢) مسلم ٢٧٤٧.

فليعمل عملًا صالحًا أي : يكون العمل صالحًا ، الثاني : ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ، أي : يكون العمل خالصًا .

فالصوم المقبول هو الذي يكون لله وحده .

فاجعل أيها الأخ المسلم صومك لله ، قيامك لله ، وذكرك لله ، وصدقتك لله ، وتفكرك لله ، وقراءتك لله ، كل هذا من أجل الله تعالى .

قال تعالى في الحديث القدسي : « **كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصوم ؛ فإنه لي ، وأنا أجزي به ، يدع الطعام والشراب وشهوته من أجلي** » (١) .

فالصائم يترك لذته وشهوته وطعامه وشرابه من أجل الله .

وهذا ما قاله رسول الله ﷺ في حديثه : « **من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** » (٢) .

وقوله : « **من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** » (٣) .

وقوله : « **من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** » (٤) .

وشعار المؤمن في ذلك كله : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤] .

اللهم اجعلنا لك من المخلصين .

٣ـ الحرص على بعث الشوق والمحبة لله رب العالمين :

فإن الإيمان يَخلقُ في القلب على مر الأيام والليالي وتصدأ أركان المحبة ، كما قال ابن عمر { أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الإيمان ليَخْلَقُ في جوف أحدكم كما يَخْلَقُ**

---

(١) مسلم (١٦٤) ورواه أحمد في المسند ، صحيح الجامع (٤٥٣٨) .
(٢) البخاري (٢٠١٤) .
(٣) البخاري (٢٩٠٠) .
(٤) البخاري (٢٠١٤) .

الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم » [١].

فالمؤمن يحتاج إلى تجديد الإيمان في قلبه ، ليستقبل هذا الشهر الكريم ، وأصل القدرة على فعل الشيء معونة الله أولًا ، ثم مؤونة العبد « أي : رغبته وإرادته » ، فعلى قدر المؤونة تأتي المعونة .

وكما في الحديث القدسي : « **إذا تقرب العبد إليَّ شبرًا ، تقربت إليه ذراعًا ، وإذا تقرب إليَّ ذراعًا ، تقربت إليه باعًا ، وإذا أتاني يمشي ، أتيته هرولة** » [٢].

فالبداءة من العبد والإجابة من الرب ، قال تعالى : ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ، وقال تعالى : ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] .

فحرك شوقك إلى الله ، وابدأ بحسن نيتك ، وليكن شعارك : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤] .

وليكن أبو الدحداح عبرة لك ، الذي اشتاق وأحب ربه بفهم لما سمع آية من كتاب الله تعالى ، وهي قوله جل في علاه : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥] .

قال ابن مسعود : قال أبو الدحداح : إن الله يريد منا القرض يا رسول الله ؟ قال : « **نعم ، يا أبا الدحداح** » ، قال : أرني يدك يا رسول الله ، قال ابن مسعود : فناوله رسول الله ﷺ يده ، فقال : إني قد أقرضت ربي حائطي ، فجاء أبو الدحداح فنادى : يا أم الدحداح ، قالت : لبيك ، قال : اخرجي من الحائط ، فإني أقرضته ربي ﷻ .

وفي رواية أخرى : (أنها سمعته يقول ذلك ، عمدت إلى صبيانها تخرج ما في

---

(١) السلسلة الصحيحة (١٥٨٥) .
(٢) البخاري (٧٤٠٥) .

أفواههم وتنفض ما في أكمامهم ، فقال النبي ﷺ : « **كم من عزق رداح في الجنة لأبي الدحداح** » (١).

العِذْق : من النخيل كالعنقود من العنب .

رَداحَ : ثقيل لما فيه ثمر كثير .

فهذا نتاج الفهم والتدبر لآيات القرآن ، آية واحدة فهمها أبو الدحداح !

اللهم فهمنا القرآن .

فاستعد في هذا الشهر الكريم بشوق وعزم حثيث لتحقيق أعلى درجات الشوق فيما عند الله .

وأعلى درجات الشوق هي : الشوق إلى رؤية وجه الله ﷻ في الجنة .

قال رسول الله ﷺ : « **إذا أُدخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله تعالى لهم : تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** » (٢).

فهذا هو أعلى نعيم في الجنة ، وكان النبي ﷺ يقول في دعائه : « **أسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة** » (٣).

اللهم متعنا بلذة النظر إلى وجهك الكريم .

٤ـ أكل الحلال والبعد عن الحرام :

من حسن استقبال هذا الشهر الكريم الحرص على أكل الحلال والبعد عن الحرام وكسبه .

---

(١) الإصابة (٧/ ٥٧) .
(٢) **صحيح** : رواه مسلم ، والترمذي وهو في صحيح الجامع (٥٢٣) .
(٣) النسائي .

فإن الحلال طيب وكله بركة ، أما الحرام فإنه خبيث ولا بركة فيه ، والحرام لا يدوم ، وإذا دام لا بركة فيه .

فإن الحرام خطره عظيم في الدنيا والآخرة ، فمن خطره في الدنيا أنه يقعد عن العمل الصالح ، فالذي يتغذى من الحرام لا يكون فيه قوة ولا قدرة على العمل الصالح ؛ لأن أكل الحرام يضعف البدن ، كما أن الحلال الطيب يقوي البدن ، ولذلك قدم الله تعالى في الآية الكريمة أكل الطيبات على عمل الصالحات .

فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون:٥١] .

فمن أراد أن يتقوى على العبادة في رمضان وفي غيره ، فليأكل الحلال الطيب ويبتعد عن الحرام .

ومن خطره في الدنيا قبل الآخرة ، أنه يمنع إجابة الدعاء ، كما قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون:٥١] ، **وقال** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٢] ، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟!** »[1] .

والدعاء له علاقة شديدة برمضان ، فدعوة الصائم لا ترد عند الله تعالى ، ولكن بشرط أكل الحلال والبعد عن الحرام وكسبه .

ومن خطره في الآخرة :

أنه يوجب لآكله النار ، كما قال رسول الله ﷺ : « **كل جسد نبت من سُحتٍ**

---

(١) مسلم (١٠١٥) .

فالنارُ أولى به »[(١)].

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:١٠] .

ويقول تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ .

[النساء:٢٩، ٣٠]

فمهلًا أيها العاصي وصبرًا أيها الكيس ! صبرًا عن الحرام فإن الصبر عن الحرام أهون ألف مرة من الصبر على النار .

فمن أراد دعاءً مستجابًا ، وصومًا مقبولًا ، فليبتعد عن الحرام ، وأما كسب المال سرقة أو رشوة أو غلولا « أكل المال العام » ، أو أكلا لأموال الناس بالباطل ، أو أكل أموال اليتامى ظلمًا ، أو أكل أموال الناس غصبًا ، فكل هذا حرام .

فاللهم ارزقنا الحلال الطيب وبارك لنا فيه .

٥ـ البر وصلة الأرحام :

من حسن استقبال هذا الشهر الكريم البر للوالدين وطاعتهما وصلة الأرحام وقطع الخصومات .

فعن المقدام بن مَعْدِي كرِب ؛ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم ، ثم يُوصيكم بالأقرب فالأقرب** »[(٢)].

---

(١) صحيح الجامع (٣٤٩٥) .

(٢) **صحيح** : رواه ابن ماجه (٣٦٦١) ، وهو في السلسلة الصحيحة (١٦٦٦) .

فهذه وصية الله رب العالمين لك أيها العبد ، يوصيك بأمك وأبيك ويوصيك بالأقربين لك .

فإن صلة الرحم تبارك في العمر وتزيد في الرزق ، كما في حديث رسول الله ﷺ ، عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أحب أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثرِه فليصل رَحِمَه** » (١) .

وبذلك يجد الصائم لذة الصيام وحلاوة الإيمان ، ويمنح التوفيق والقبول ، ويعظم ثوابه وإن قوبل بما لا يحب من أرحامه ففي الصحيح عن رسول الله ﷺ ، من حديث أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ ، وأحلم عليهم ويجهلون عليَّ ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم الملَّ ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك** » (٢) .

فمن قابل الإساءة بالإحسان ، ودفع السيئة بالحسنة فأجره عظيم ، فالرجل يقول لرسول الله ﷺ : أصلهم ، يعني : يحسن إليهم وهم يقطعونه ، ويحسن إليهم وهم يسيئون إليه ، ويحلِم عليهم وهم يجهلون عليه ، فهذا صبر عظيم على طاعة الله ، فالجزاء من جنس العمل ، فقال النبي ﷺ له : « **إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ** » .

والمُلُ : الرماد الحار الذي يُحْمى ليدفن فيه الخبز لينضج ، والمعنى : إذا لم يشكروا فإن أخذهم لعطائك حرام عليهم ، ونار في بطونهم .

فإياك أن يوسوس لك الشيطان أنك لا تصل إلا من وصلك ، أي : من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته ، لا ، ليست هذه الصلة التي أخبر بها رسول الله ﷺ : فقد

---

(١) مسلم (٢٥٥٧) .
(٢) مسلم (٢٥٥٨) .

قال : « **ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها** » (١).

وإن صلة الأرحام هذه تلقي المحبة في القلوب المتزاحمة ، قال بذلك رسول الله ﷺ : « **من اتقى ربه ، ووصل رحمه ، نُسئ في أجله ، وثري ماله ، وأحبهُ أَهْلُهُ** » (٢).

فهذه رسالة إلى كل قاطع رحم ، وكل عاقٍ لوالديه ، فرصتك في هذا الشهر الكريم أن تبر أباك وأمك ، وأن تصل رحمك ، استعذ بالله من الشيطان الرجيم واحذر قطيعة الرحم ، فإن عذابها في الدنيا قبل الآخرة .

فعن أبي بَكرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من ذنب أحْرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا ، مع ما يُدَّخَرُ له في الآخرة من قطيعة الرحم والبغي** » (٣).

فحريٌّ بمن يستقبل هذا الشهر الكريم أن يستقبله بالبر والصلة وقطع الخصومات ، ووصل القربات وفعل الخيرات والطاعات .

نسأل الله أن يطهر قلوبنا .

٦ـ تمارين العزيمة والهمة ومصاحبة ذوي الهمم :

من حسن ما يستقبل به هذا الشهر الكريم أيضًا ، تدريب النفس على الطاعة قبل رمضان كاستحباب الصيام في شعبان ، لتتأهب النفس ، وتقوى على الصيام في رمضان بسهولة .

فإن شهر شعبان شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله تعالى كما ثبت عن رسول الله ﷺ عن أسامة بن زيد ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، لم أرك تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان قال : « **ذاك شهر يَغْفُلُ الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم** » (٤).

---

(١) **صحيح** : أبو داود (١٤٨٩).
(٢) **حسن** : السلسلة الصحيحة (٢٧٦) .
(٣) السلسلة الصحيحة : (٩١٨، ٩٧٨) .
(٤) **صحيح** : النسائي في السنن (٢٣٥٦) .

وشهدت السيدة عائشة لرسول الله ﷺ بكثرة صيامه في شعبان فقالت : وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر منه صيامًا في شعبان [١].

فتمارين العزيمة والهمة في كل العبادات في الصيام والقيام والأذكار ، فقد كان من هديه ﷺ في قيام الليل أن يبدأ بركعتين خفيفتين حتى تتريض نفسه ولا تضجر .

وأشار الشاطبي في الموافقات إلى أن : السنن والنوافل بمثابة التوطئة وإعداد النفس للدخول في الفريضة عل الوجه الأكمل .

وتمارين العزيمة من صميم القيام بحق رمضان ، وتحصيل المغفرة فيه ؛ لأنه لا قوة للنفس ما لم تُعد العدة للطاعة ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ .

[التوبة:٤٦]

وهذا الأمر لا يكتمل إلا بمصاحبة ذوي العالية ، فالصاحب ساحب ، والقرين بالمقارن يقتدي .

لما أراد قاتل المائة أن يتوب حقًا قيل له : اترك أرضك فإنها أرضُ سوء واذهب إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم .

فتحصيل المغفرة في رمضان أن يترك المخْلدين إلى الأرض ، ويزامل ذوي الهمم العالية كما قال الجنيد : سيروا مع الهمم العالية .

وقد أمر الله خير الخلق ﷺ بصحبة المجدين في السير إلى الله وترك الغافلين ، فقال عز من قائل : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ

(١) مسلم (١١٥٦) .

هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨] .

وقال ﷻ : ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان:١٥] .

فإن البحث عن ذوي الهمم والمروءات وأصحاب السِّرِّ مع الله فهي بغية كل مخلص في سيره إلى الله .

فقد قال الحسن البصري : « إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا ، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا ، وإخواننا يذكروننا بالآخرة » .

قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا مَالُ الفَتَى بِذَخِيرَةٍ ولكنَّ إخوانَ الثقاتِ الذَّخائِرُ

فعلى المسلم أن يجدُّ ويجتهد في الطاعات والقربات والبعد عن المعاصي والموبقات ، وهذا بمصاحبة ذوي الهمم العالية التي تتمرن على الطاعات بجد واجتهاد ، وإن تعبوا في تحصيل ذلك ، فهذه طبيعة الحياة الدنيا نصب وتعب ، ولا راحة فيها ، فالعبد يذوق طعم الراحة في جنة الخلد ، كما قال الإمام أحمد ، لما قيل له : متى يجد العبد طعم الراحة ؟ فقال : عند أول قدم يضعها في الجنة .

لقد فقه السلف الصالح ذلك ، وتدبروا حقيقة الدنيا ، ومصيرها إلى الآخرة ، فاستوحشوا من فتنها ، وتجافت جنوبهم عن مضاجعها ، وتناءت قلوبهم من مطامعها ، وارتفعت همتهم عند السفاسف ، فلا تراهم إلا صوامين قوامين ، باكين ولهين ، ولقد حفلت تراجمهم بأخبار ذاخرة تشي بعلو همتهم في التوبة والاستقامة ، وقوة عزيمتهم في العبادة والإخبات ، وهاك أمثلة من عباراتهم وعباداتهم التي تدل على تشميرهم وعزيمتهم وهمتهم :

قال الحسن : « من نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره » .

قال وهيب بن الورد : « إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل » .

قيل لنافع : ما كان ابن عمر يفعل في بيته ؟ قال : « الوضوء لكل صلاة ، والمصحف فيما بينهما » .

وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة الجماعة صام يومًا ، وأحيا ليلة ، وأعتق رقبة » .

وأبو مسلم الخولاني : « كان يعلق سوطًا في مسجد بيته يخوف به نفسه ، وكان يقول لنفسه : قومي فو الله لأزحفن بك زحفًا ، حتى يكون الكلل منك لا مني » .

وكان يقول : « أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا ؟ كلا والله لنُزاحمهم عليه زحامًا حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالًا » .

وهذا أحمد بن حرب قال : « يا عجبًا لمن يعرف أن الجنة تُزين فوقه ، والنار تسعر تحته كيف ينام بينهما ؟ » .

وعن وكيع قال : كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى [1] .

فهذه هي حياة الصالحين المتقين .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إنَّ التشبه بالكرام فَلاحُ

وهذه كانت سيرتهم ، في مجاهدة النفس ومغالبَة الهوى ، فاستحضرها عند هبوب ريح الكسل ، وسل الله حسن العمل .

وأخيرًا : قل الحمد لله .

قل الحمد لله أن أطال عُمرَك ، لتلحق برمضان ، فكم من أُناس كانوا يتمنون إدراك رمضان فلم يدركوه !

قال أحد الصالحين عند موته : إنما أبكى على أن يصوم الناس لله ولستُ فيهم ، ويُصلي المصلون لله ولستُ منهم ! فما ـ أحوجنا ـ جميعًا أن نغتنم هذه الأيام .

---

(١) القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان (٢٤، ٣٠) .

وسل الله تعالى كما سأله رسوله ﷺ وهو يقول : « **اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبارك لنا في رمضان** »[١].

*****

(١) **صحيح** : رواه أحمد (٢٣٤٦) .

الفصل الثاني

التهنئة بقدوم شهر رمضان

كان رسول الله ﷺ يُبشر أصحابه بقدوم رمضان ويقول لهم : « **أتاكم شهر رمضان شهر مبارك** » [١].

كيف لا يُبشّر المؤمنون بفتح أبواب الجنان ، كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران ، وكيف لا يبشر العاقل بوقت يُغلُّ فيه الشيطان ، كيف لا يُبشر بشهر فيه ليلة خير من ألف شهر .

فهو شهر كله بركة ، والبركة من الله تعالى : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] .

وهذه البركة سببها كثرة الطاعات في هذا الشهر من صيام وقيام وصلاة ، وذكر وتهجد وقراءة للقرآن وسحور وتنافس في فعل الخير من الصدقات والبر والإحسان ، فكل هذا يجلب البركة .

وفي حديث أبي قلابة ~ عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ يبشر أصحابه : « **قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك ، افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغلُّ فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرم خيرُها فقد حرم** » [٢].

قال ابن حجر ~ :

هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضًا بشهر رمضان ، فإن السلف

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٩) .
(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، وصححه شعيب الأرناؤوط : (٧١٤٨) .

الصالح عليهم رضوان الله تعالى يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم .

وكان من دعائهم كما قال يحيى بن كثير : « اللهم سلمني إلى رمضان ، وسلم لي رمضان ، وتسلمه مني متقبلًا » [١] .

(رمضان مبارك) :

هذه تهنئة النبي ﷺ ، وليس كما وصف بعض الناس في تهنئتهم بقدوم رمضان : رمضان كريم ، وهذه كلمة غير صحيحة ؛ وهذا لأن رمضان ليس هو الذي يعطي حتى يكون كريمًا ، وإنما الله هو الذي وضع الفضل فيه ، لذا كان النبي يهنئ أصحابه بقدوم شهر رمضان صاحبه بقوله لهم : « **أتاكم شهر رمضان شهر مبارك** » [٢] .

وهذه التهنئة لا تكون إلا بعد ثبوت هلال شهر رمضان ، وهذا الثبوت يكون برؤية الهلال ، قال رسول الله ﷺ : « **صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته** » [٣] .

وفي رواية أخرى عند أحمد في المسند : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غُمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا** » [٤] .

أي : صوموا لرؤية هلال شهر رمضان ، وأفطروا لهلال شهر شوال ، فإن غم عليكم أي : وجد مانع من رؤيته ، فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا .

وإن اختلفت المطالع ، فإن لكل بلد رؤيتهم الخاصة بهم ، قال الإمام ابن خزيمة : « إن الواجب على أهل كل بلدة صيام رمضان لرؤيتهم لا لرؤية غيرهم » [٥] .

وهذا الإمام النووي : قد بوب بابًا سماه : « باب بيان أن لكل بلد رؤيتهم ، وأنهم إذا رأوا الهلال ببلد لا يثبت حكمه لما بَعُدَ عنهم ، وقال : الصحيح عند أصحابنا أن

---

(١) لطائف المعارف (ص١٥٤، ١٥٥) .
(٢) المناهي اللفظية لابن عثيمين (ص٦٠) .
(٣) البخاري (١٩٠٩) .
(٤) المسند مع الفتح الرباني (٩/ ٢٤٨) .
(٥) صحيح ابن خزيمة (٣/ ٢٠٥) .

الرؤية لا تعم الناس »[١].

وقال الإمام الألباني : « إني أرى على شعب كل دولة أن يصوم مع دولته ، ولا ينقسم على نفسه ، فيصوم بعضهم معها ، وبعضهم مع غيرها ، تقدمت في صيامها أو تأخرت لما في ذلك من توسيع دائرة الخلاف في الشعب الواحد »[٢].

وعند رؤية الهلال ثبت عنه ﷺ أنه كان يقول : « **اللهم أهِله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله** »[٣].

والمراد باليمن : البركة .

والسلامة : أي السلامة من كل ضرر وسوء .

ربي وربك الله : أي : يا هلال ربي وربك الله .

لطيفة :

الهلال من الإهلال ، وهو في الأصل رفع الصوت ، نُقِلَ إلى رؤية الهلال ؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم إذا رأوه بالإخبار عنه ، وذكر الأمن والسلامة لدفع كل مضرة ، وبالإيمان والإسلام لجلب كل منفعة على أبلغ وجه وأوجز عبارة ، كما في رواية الدارمي : عن ابن عمر { قال : إن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : « **الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى ، ربنا وربك الله** »[٤].

تحذير :

ما يفعله بعض العوام وأرباب الطرق ، من الطواف ليلة رؤية رمضان ــ في

---

(١) شرح مسلم للنووي (٧/ ١٩٧) .
(٢) تمام المنة (ص٣٩٨) .
(٣) صحيح الترمذي (٣٤٥١) ، والسلسلة الصحيحة (١٨١٦) .
(٤) سنن الدارمي (٢/ ٣) .

العواصم وبعض القرى ـ بالرايات ، رافعين أصواتهم والأذكار والصلوات مع اللفظ والتشويش والزمر والطبل وزغاريد النساء واختلاط الرجال بالنساء ، فإن هذا كله لم يكن في عهد رسول الله ، ولا أصحابه ولا السلف الصالح ﷺ [1].

*****

(١) الدين الخالص (٨/ ٣٣١) .

الفصل الثالث

إتحاف الأنام بفضائل الصيام

إن الصوم من العبادات التي ترفعُ الدرجات ، وتكفر الخطيئات ، وتكسر الشهوات ، وتُكثر الصدقات ، وتُرْضِي ربّ الأرضِ والسموات ، وكم للصوم من فضائل وفضائل ؛ وإليك أمثلة منها :

فضائل الصوم :

الفضيلة الأولى : إضافته لله تعالى تشريفًا لقدره :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول ﷺ : « **كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به ، الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يَرفُث ولا يصخب ، فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل : إني صائم ، إني صائم ، والذي نفس محمد بيده لَخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسلك ، للصائم فرحتان يفرحهما ؛ إذ أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه** » (١) .

وفي رواية أخرى لمسلم : « **كل عمل ابن آدم يُضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال تعالى : إلا الصوم ؛ فإنه لي وأنا أجزي به ، يدعُ شهوته وطعامه من أجلي ، وللصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك** » (٢) .

وعن ابن خزيمة : قال رسول الله ﷺ : « **كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله : إلا الصيام فهو لي ، وأنا أجزي به ، يدعُ الطعام من أجلي ، ويدع الشراب من أجلي ، ويدع لذته من أجلي ، ويدعُ زوجته من أجلي ،**

---

(١) البخاري (٩٠٤١) .
(٢) رواه مسلم (١٦٤) .

ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان : فرحة حين يفطر ، وفرحة حين يلقى ربه » [١].

في هذه الأحاديث الصحيحة ينسب رب العزة والجلال الصوم إلى نفسه في قوله : « الصيام لي » ، وكفى بهذا القول فضلًا للصيام على سائر العبادات .

وهنا وقفة في نسبة الصيام إلى الله تعالى مع أن الأعمال كلها له ، وهو الذي يجزي بها .

الحكمة من نسبة الصيام لله تعالى : .

الحكمة من قول الله ﷻ : « **وأنا أجزي به** » : أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ؛ لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله ، وإنما هو شيء في القلب ، وذلك لأن الأعمال كلها بالحركات إلا الصوم ، فإن الصوم سر بينك وبين الله ، لا يطلع عليه إلا الله ، ولا يعلم أنك صائم إلا الله ، بإمكانك أن تأكل وراء الجدران ، وأن تشرب وراء الحيطان ، ولكن من الذي يعلم السر وأخفى إلا الله ، من الذي يعلم أنك أكلت أو شربت أو تمتعت إلا الله ؟ هو رب الظلام ورب الضياء .

وإذا خلـــوت بريبـــةٍ في ظلمـــةٍ والـــنفسُ داعيـــة إلى الطغيـــانِ

فاســتح مــن نظــر الإلــهِ وقــل لهــا إن الـــذي خلـــق الظـــلام يـــراني

فالصلاة تصلى بمجمع من الناس ، والزكاة تُزكى بمجمع من الناس ، والحج يُحج بمجمع من الناس ، من أجل ذلك قال تعالى : « **فإنه لي وأنا أجزي به ، يدعُ طعامه وشرابه من أجلي** » .

قال الحافظ ابن حجر :

إن الصوم هو العبادة التي انفرد الله ﷻ بعلم مقدار ثوابها وتضعيف حسناتها رب العالمين ، أما غيرها من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس .

---

(١) ابن خزيمة .

قال القرطبي : معناه : أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس ، وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، إلا الصيام ، فإن الله يثيب عليه بغير تقدير .

وهذا كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] .

والصابرون : « الصائمون » في أكثر الأقوال ؛ لأن الصائم يصبر نفسه عن الشهوات ، وقد قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] (١) .

ويضيف ابن رجب الحنبلي : أن استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة ، لأن الله ﷻ يضاعفه أضعافًا كثيرة بغير حصر ولا عدد .

إلى أن قال : إن الصيام من الصبر ، والصبر على ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارم الله ، وصبر على الأقدار المؤلمة .

وتجتمع الثلاثة في الصوم ، فإن فيه صبرًا على طاعة الله ، وصبرًا عما حرم الله على الصائم من الشهوات ، وصبرًا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن ، وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبُه ، كما قال الله تعالى عن المجاهدين : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة:١٢٠] ، إلى هنا انتهى كلام ابن رجب (٢) .

الصيام مناسب لصفة من صفات الله :

من صفات الله « الصمد » والصمد معناه : الذي لا يحتاج إلى الطعام والشراب .

قال الحافظ ابن حجر ~ : « والاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من

---

(١) فتح الباري (٤/ ١٢٩، ١٣٠) .
(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص١٦٨) .

صفات الرب جل جلاله ، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه »[(١)].

وكذلك المعنى بالنسبة إلى الملائكة ؛ لأن ذلك من صفاتهم فإنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون وقد قال الله تعالى عن جلال نفسه وهو الغني القيوم الصمد : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:١٤] .

سبب الإضافة إلى الله تعالى :

سبب الإضافة أن الصيام لم يعبد به غير الله تعالى ، بخلاف الصلاة والصدقة والطواف وغير ذلك ، فقد كانوا في الجاهلية ـ مثلًا ، يصلون ويطوفون ويقدمون القرابين لأصنامهم ، ولكن لم نسمع أنهم كانوا يصومون لهم تقربًا إليهم ، فلم يعبد بالصوم إلا الله .

فهذه جملة الحكم والأسباب التي من أجلها اختص الله الصيام دون غيره من العبادات بالنسبة إليه سبحانه .

الفضيلة الثانية : الصوم لا مِثل له :

فالصوم لا يعدله شيء ولا مثل له ، والذي قال ذلك المعصوم ﷺ لما سأله أبو أمامة رضي الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ، مُرني بعمل ، قال : « **عليك بالصوم فإنه لا عِدْلَ له** » ، قلت : يا رسول الله ، مرني بعمل ، قال : « **عليك بالصوم فإنه لا عِدْلَ له** »[(٢)].

وفي رواية أخرى : دلني على عمل أدخل به الجنة ، فقال له ﷺ : « **عليك بالصوم فإنه لا مِثْلَ له** »[(٣)].

الفضيلة الثالثة : الصوم كفارة للخطيئات :

فالصيام يكفر الذنوب التي يرتكبها العبدُ في جنب الله :

---

(١) فتح الباري (٤/ ١٣٠) .

(٢) **صحيح** : ابن خزيمة في صحيحه ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤١٣) .

(٣) **صحيح** : رواه أحمد في المسند ، والنسائي في السنن ، وابن حبان في صحيحه ، واللفظ له وصحيح الترغيب والترهيب (٩٧٧) وصحيح الجامع (٤٠٤٤) .

فقد قال رسول الله ﷺ : « **فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره ، يكفرها الصيام ، والصلاة ، والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** » [(١)].

قال المناوي :

« **فتنة الرجل** » : أي : ضلاله ومعصيته أو ما يَعْرِضُ له من الشر ، ويدخل عليه من المكروه في أهله مما يعرض له معهم من حزن أو شغل بهم عن كثير من الخير ، وتفريطه فيما يلزمه من القيام بحقه .

و« **ماله** » : أي : أخذه من غير حله وصرفه في غير حله ووجهه ، أو يشغله لفرط محبته له في كثير من الخيرات .

و« **نفسه** » بالركون إلى شهواتها ونحو ذلك .

و« **ولده** » أي بفرط محبته والشغل به عن المطلوبات الشرعية .

و« **جاره** » أي : بنحو حسدٍ وفخر ومزاحمةٍ في حق وإهمال في تعهد ، ونبه بالأربع عما سواها .

« **يكفرها** » أي : الفتنة المتصلة بما ذُكر : « **الصيامُ ، والصلاة ، والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** » ؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات ، إلى أن قال : وخص الرجل لأنه غالبًا صاحب الحكم في داره وأهله ، وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم [(٢)]. ا.هـ .

وتظهر هذه الفضيلة العظيمة بجلاء في أقوال المعصوم ﷺ حين قال : « **من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** » [(٣)].

---

(١) البخاري (١٨٩٥) ، ومسلم (١٤٤) .
(٢) فيض القدير للمناوي (٤/ ٤٢٣) .
(٣) البخاري (٢٠١٤) .

وقال ﷺ : « **صوم يوم عرفة كفارة السنة الماضية والسنة المستقبلة** » [١] .

وقال ﷺ : « **صيام يوم عاشوراء ، إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله** » [٢] .

وهذا لا يوجد مثله في شيء من العبادات ، وهذا ظاهر في تكفير سنة ماضية ، وسنة آتية ، السنة الماضية أي : الصغائر التي فيها تكفر .

والسنة التي بعده أي : بمعنى أنه تعالى يحفظه من أن يذنب فيها ، أو يعطى من الثواب ما يكون كفارة لذنوبها ، أو يكفرها حقيقة لو وقع فيها .

الفضيلة الرابعة : تشريف الله والملائكة للصائم بالصلاة عليه :

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله وملائكته يصلون على المُتسحرين** » [٣] .

فإن كان الله وملائكته يصلون على المتسحرين ، والسحور عون على الصيام ، فما ظنك بالصيام ؟

فأكرم بها من عبادة يُصلي الله عليك بها في الملأ الأعلى .

وصدق ابن الجوزي حين قال : « إنما يريد العاقل أن يأكل ليحيا لا أن يحيا ليأكل » [٤] .

الفضيلة الخامسة : الصوم سبيل إلى الجنة :

فقد قال رسول الله ﷺ : « **من ختم له بصيام يوم دخل الجنة** » [٥] .

قال المناوي : أي من ختم عمره بصيام يوم ، بأن مات وهو صائم ، أو بعد فِطرِه من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين أو من غير سبق عذاب [٦] .

---

(١) **صحيح** : رواه الطبراني في الأوسط ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٠٥) .
(٢) مسلم (١١٦٢) .
(٣) **حسن** : رواه ابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٤) .
(٤) مقامات ابن الجوزي ص٩١ .
(٥) صحيح الجامع (٦٢٢٤) .
(٦) فيض القدير (٦/ ١٢٣) .

وعن حذيفة ﷺ قال : أسندتُ النبي ﷺ إلى صدري فقال : « **من قال : لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة ، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة ، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة** » (١).

فالصوم سبيل إلى الجنات وإلى الخيرات الحسان من الحور العين ، فعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن في الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام** » (٢).

فهذه الغرفات أعدت للصائمين ، وما أدراك ما الغرفات ؟!

وقال تعالى في كتابه : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الواقعة:٢٤] .

قال مجاهد : نزلت في الصائمين .

فمن ترك طعامه وشرابه وشهوته لله يرجو ثواب الله ، عُوض ذلك في الجنة ، فمن ترك شيئًا من أجل الله عوضه الله خيرًا مما تركه .

واعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن مهور الحور العين طول التهجد وكثرة الصيام .

أتطلب الحور العين ولا تصوم وتنام ؟

أتطلب مثلي وعني تنامُ ونوم المحبين عنا حرامُ
لأنا خلقنا لكل امرئ كثير الصلاة براه الصيامُ

يا قوم : ألا خاطب في الصوم إلى الرحمن !

ألا راغب فيما أعده الله للطائعين في الجنان !

ألا طالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع أنه ليس الخبر كالعيان ! (٣).

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤١٢) .
(٢) **حسن** : أحمد في المسند ، والألباني في صحيح الجامع (٢١١٩) .
(٣) نداء الريان (١/ ٥٩، ٦٠) .

هذا بجانب ما خصه الله في الجنة للصائمين ، ألا وهو : باب الريان مع أن الجنة لها ثمانية أبواب ، ولكن أهل الصيام لهم باب مخصوص من هذه الأبواب الثمانية ، والذي أخبر بذلك رسول الله ﷺ حين قال : « **في الجنة ثمانية أبواب ، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون** » (١).

وعن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن في الجنة بابًا يقال له : الريان** » ، **يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحدٌ غيرهم ، فإذا دخلوا أُغلق ، فلم يدخل منه أحد** » (٢).

وزاد الترمذي : « **من دخله لم يظمأ أبدًا** » .

باب الريان ، الريان على وزن فعلان بمعنى « كثير الري » نقيض العطش ، سمي به لأنه جزاء للصائمين على عطشهم وجوهم .

فكلمة الريان : مسمى الباب تبعث على الراحة .

فسبحان الله كيف قابل الله ظمأهم وعطشهم بباب مسماه يبعث على الراحة ، فما ظنك بما وراء الباب ؟

وفي هذا التخصيص فضل عظيم حين يقول رسول الله ﷺ : « **فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد غيرهم** » ، كرر نفي الدخول تأكيدًا منه ﷺ .

قال العز بن عبد السلام : « أما تخصيص دخولهم الجنة بباب الريان فإنهم ميزوا بذلك الباب لتميز عبادتهم وشرفها » (٣).

فإن قال قائلٌ : أن هناك حديثًا في فضل الذكر عقب الوضوء وهو الشهادة لله

---

(١) البخاري (١٨٩٦) .
(٢) مسلم (١١٥٢) .
(٣) فوائد الصوم لعز الدين بن عبد السلام .

بالتوحيد وللنبي بالرسالة ، من قاله تفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ، فهذا يناقض هذا الاختصاص .

ورد المناوي في « فيض القدير ٢/ ٤٦٤ » ، ردًا جليلًا .

قال : « ولا يناقضه أن المتشهد عقب الوضوء تفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ، لجواز أن يصرف الله مشيئة ذلك المتشهد عن دخول باب الريان ، إن لم يكن من مكثري الصوم » . ا.هـ .

الفضيلة السادسة : الصيام جنة من النار :

الصيام وقاية من النار وستر من الشهوات الموصلة إليها وإضعافها ، فهو وقاية لأنه سترة من الآثام ، قال ابن العربي : إنما كان الصوم جُنَّة من النار ؛ لأنه إمساك عن الشهوات ، والنار محفوفة بالشهوات ، فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترًا له من النار في الآخرة .

وعن عثمان بن أبي العاص : « الصيام جُنَّة كجُنَّة أحدكم من القتال » [(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : « الصيام جُنة ، وحصن حصين من النار » [(٢)].

وإن الصوم في سبيل الله يباعد من النار .

قال رسول الله ﷺ : « **من صام يومًا في سبيل الله ، باعد الله منه جهنمَ مسيرةَ مئة عام** » [(٣)].

وقال أيضًا : « **من صام يومًا في سبيل الله ، باعد الله منه جهنمَ سبعين عامًا** » [(٤)].

---

(١) النسائي (٤/ ١٦٧) .
(٢) أحمد في المسند (٢/ ٤٠٢) ، صفوة البيان في دروس رمضان ، د/ يسري هانئ .
(٣) رواه النسائي عن عقبة بن عامر ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٣٠) .
(٤) صحيح الترغيب والترهيب (٦٣٣١) .

وقال ﷺ : « **من صام يومًا في سبيل الله ، جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض** » [١].

وقال ﷺ : « **من صام يومًا في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار ، بذلك اليوم سبعين خريفًا** » [٢].

فكل هذه نصوص نبوية تدل على أن الصيام يباعد عن النار ، فإذا كانت أعز أمنية لآخر أهل النار خروجًا منها ـ وهو من يخرج حبوًا ـ صرف وجهه عن النار قبل الجنة لا يسأل مولاه غير ذلك ، فكيف إذا باعد الله وجهه ، وجعل بينه وبين النار خندقًا مسافة خمسمائة عام ، هذا بصيام يوم واحد نفلًا فما ظنك بصيام شهر رمضان وهو الفريضة [٣] ؟!

فيا له من فضل عظيم لهذا الشهر الذي تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب جهنم ، وتسلسل فيه الشياطين ، وهم أصل كل شر وإثم .

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين** » [٤].

إن الله ﷻ ، يصب الخير صبًا على أمة الإسلام ، في هذا الشهر الكريم ، فتفتح أبواب الجنة ، وتغلق أبواب النار ، وهذا كله علامة للملائكة لدخول هذا الشهر ، وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين ، وقد أخرج النسائي في سننه قوله ﷺ : « **ينادٍ منادٍ كل ليلة يا طالب الخير : هلم ، ويا طالب الشر : أمسك** » [٥].

وفي ذلك إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وفتح أبواب الطاعات ، وهي أسباب

---

(١) صحيح الترغيب (٨٩١) .
(٢) صحيح الجامع (٦٣٣٤) .
(٣) نداء الريان : (١/ ٤٨، ٤٩) .
(٤) البخاري (١٨٩٩).
(٥) النسائي في الصيام (٤/ ١٣٠) .

لدخول الجنة بتوفيق الله لهم وحسن قبول أعمالهم ، كما أن غلق أبواب جهنم يشير إلى صرف همم الصائمين عن المعاصي التي تدخلهم النار ، والتخلص من البواعث إليها بقمع الشهوات .

وأما سلسلة الشياطين أو تصفيدهم ، فمعناه : إن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلم إلى ما يخلصون إليه في غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع للشهوات ، وبقراءة القرآن والذكر ، وسواء صفدت الشياطين كلهم أو المردة منهم كما جاء في بعض الأحاديث ، فالمراد تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات ، أو عن تصفيدهم حقيقة لكي لا يتم لهم ما يريدون .

قال القرطبي ~ : فإن قيل : كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرة فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك ؟

والجواب : أنها إنما تقل عن الصائمين الذين يصومون صومًا كاملًا بشروطه وآدابه ، ولا يلزم من تصفيد مردتهم أو تصفيدهم جميعًا ألا يقع شر ولا معصية ؛ لأن لذلك أسبابًا أخرى غير الشياطين ، كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة ، والشياطين الإنسية [١] .

وهنا لفتة عظيمة في تصفيد الشياطين في رمضان ، أن في ذلك إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له : قد كُفت الشياطين عنك ، فلا تعتل بهم في ترك الطاعة وفعل المعصية [٢] .

فاللهم احفظنا من شياطين الجن والإنس .

الفضيلة السابعة : شفاعة الصيام يوم القيامة لصاحبه :

الصيام يشفع لصاحبه في هذا اليوم الشديد في يوم الحسرة والندامة على العاصين ، في

---

(١) صفوة البيان في دروس رمضان (٣٩، ٤٠) .
(٢) فتح الباري (١٤/ ١١٤) .

يوم تدنو الشمس فيه من الرؤوس يوم العطش الأكبر ، فيأتي الصيام شفيعًا لصاحبه لينجيه من هذا كله ، عن عبد الله بن عمرو { أن رسول الله ﷺ قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول القرآن : أي ربِّ ، إني منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ، ويقول القرآن : ربِّ منعته النوم بالليل ، فشفعني فيه ، قال : فيشفعان** » (١).

قال المناوي : « وهذا القول يُحتمل أنه حقيقة بأن يُجسد ثوابُها ، ويَخْلُقُ الله فيه النطق : ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٤٨] .

وقال الألباني : أي : يشفعهما الله فيه ، ويُدخله الجنة .

فاللهم شفع فينا الصيام والقرآن .

الفضيلة الثامنة : دعوة الصائم لا ترد :

قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث دعوات مستجابات ، دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر** » (٢).

وقال ﷺ : « **ثلاث دعوات لا ترد : دعوة الوالد لولده ، ودعوة الصائم ، ودعوةُ المسافر** » (٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث لا ترد دعوتهم : الصائم حين يُفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم** » (٤).

فأعظِمْ به من دعاءٍ تنطِقُ به شفاهُ ذابلة من الصيام ، يصعد إلى السموات ، فما يَردُهُ ـ بكرمه ربنا الرحمن .

ولذلك تخللت آيات الصيام آية الدعاء ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

(١) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤١١) .
(٢) صحيح الجامع (٣٠٣٠) .
(٣) صحيح الجامع (٣٠٣٢) .
(٤) **حسن** : أخرجه ابن حبان في صحيحه .

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

[البقرة:١٨٦]

وهذا الدعاء هو شعار الأبرار ، كما قال سيد الأخيار ﷺ : « **جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، ليسوا بأثمة ولا فجار** » . (١)

قال المناوي : والظاهر أن المراد بالصلاة هنا الدعاء ، من قبيل دعائه لقومٍ أفطر عندهم قوله : « **صلت عليكم الملائكة** » (٢).

فانظر رحمك الله إلى شعار الأبرار كما وصفهم رسول الله ﷺ ، قيام الليل ، وصيام النهار ، والأبرار هؤلاء هم سادات المتقين .

اللهم اجعلنا من الأبرار برحمة منك يا عزيز يا غفار .

الفضيلة التاسعة : خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، والصيام لي ، وأنا أجزي به ، ولخلوفُ فمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك** » (٣).

فم الصائم رائحته أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة .

وهذا شعار الصائمين يوم القيامة ، كما أن التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرق بينهم وبين سائر الأمم ، وشعارهم يوم القيامة بصومهم طِيبُ خلوفهم أطيبُ من ريح المسك ليُعْرفوا بذلك ، يوم القيامة ورائحة الفم هذه هي ما يتصاعد من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام ، وهذه الرائحة قد يستكرهها بعض الناس

---

(١) السلسلة الصحيحة (١٨١٠) .
(٢) فيض القدير (٣/ ٣٤٨) .
(٣) البخاري (١٩٠٤) .

إلا أنها أطيب عند الله من ريح المسك .

فإذا كان هذا الخلوف بتغير رائحة الفم له هذا الفضل ، فما ظنك بصلاته وقراءته وسائر عباداته ؟!

« ويؤخذ من قوله : « **أطيب من ريح المسك** » ؛ أن الخلوفَ أعظم من دم الشهيد ؛ لأن دم الشهيد شُبِّه ريحه بريح المسك ، والخلوف وُصِفَ بأنه أطيب ، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصوم أفضل من الشهادة لما لا يخفى ، ولعل السبب في ذلك النظر إلى أصل كلٍّ منهما ، فإن أصل الخلوف طاهر ، وأصل الدم بخلافه ، فكان ما أصله طاهر أطيب ريحًا »[1] .

ومعنى طيب ريح الخلوف للصائم عند الله :

إن السر في ذلك : أن الصيام كان سرًا بين العبد وربه في الدنيا ، يعني لا يعْلم أن فلان صائم أو غير صائم ، فلما كان سرًا في الدنيا ، أظهره الله في الآخرة علانية للخلق ، ليُعرفوا بصيامهم بين الناس جزاء إخفائهم صيامهم في الدنيا .

رحم الله ابن رجب حين قال :

« كل شيء ناقص في عُرف الناس في الدنيا ، حتى إذا انتسب إلى طاعة الله ورضاه فهو الكامل في الحقيقة ، فمثلًا خُلوف أفواه الصائمين له أطيب من ريح المسك .

نَوْح المذنبين على أنفسهم من خشيته أفضل من التسبيح .

عُرْى المحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل .

انكسار المخبتين لعظمته هو الجبر .

ذُل الخائفين من سطوته هو العز .

---

(١) فتح الباري (٤/ ١٢٨) .

تهتك المحبين في محبته أحسن من الستر .

بذلُ النفوس للقتل في سبيله هو الحياة .

جوع الصائمين لأجله هو الشبع .

عطشهم في طلب مرضاته هو الرِّيُّ .

نصبُ المجتهدين في خدمته هو الراحة ...

ذُلُّ الفتى في الحب مكرمةٌ وخُضُوعُه لحبيبه شرفٌ[1]

الفضيلة العاشرة : فرحة الصائمين :

وهذه خاتمة الفضائل ، الفرحة بفضل الله تعالى ومنه على الصائمين ، فهم يفرحون بفرحتين ، فرحة في الدنيا ، وفرحة في الآخرة .

قال المعصوم ﷺ : « **قال الله تعالى : وللصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه** »[2] .

فرحة الصائم عند فطره : بفضل الله عليه أن أعانه على الطاعة والصبر عليها ، والنفس مجبولة على ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح ، فإذا منعت منه في وقت من الأوقات ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحته ، والصائم عند فطره كذلك .

فالصائم في عبادة وإن كان نائمًا على فراشه .

وأما فرحُه عند لقاء ربه : فبما يجده عند الله من الثواب المدخر ، قال تعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:٢٠] .

وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران:٣٠] .

---

(١) لطائف المعارف (ص١٧٩ــ ١٨٢) .
(٢) البخاري (١٩٠٤).

وهـذا الفـرح يتمثـل في الأجـر المـدخر الـذي لا يعلـم عـدده إلا الله تعـالى ، واختصاص باب في الجنة للصائمين وحدهم ، فلا يدخل منه أحد غيرهم .

شفاعة القرآن والصيام في يوم يفر الأخ من أخيه والابن من أمه وأبيه ، والـزوج من زوجهِ وبنيه ، فهذه الأمور كلها تجلبُ الفرحَ يوم القيامة .

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨] .

*****

الفصل الرابع

قيام الليل في رمضان

إن قيام الليل من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه جل وعلا ، وفيه خلوة بين العبد وربه حيث يهدأ الكون في الليل ، ويركن الخلق ، ويتجلى الرب سبحانه ، وينزل إلى السماء الدنيا ، فيغفر لمن يستغفر ، ويعطي من سأله ، ويستجيب لمن دعاه .

فهو محراب العابدين ومثوى الساجدين ، وروضة المخبتين ، حيث إنه سمت من سمات المتقين وعلامة من علامات عباد الرحمن .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٤] .

وهذه جملة من آيات القرآن تبين فضل قيام الليل :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[الإسراء:٧٩]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات] .

وقال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان] .

وقال تعالى عن الذين يحذرون الآخرة ويرجون رحمة ربهم : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر] .

وقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل] .

فضل قيام الليل :

وهذا فضل قيام الليل في سنة الحبيب النبي ﷺ :

١ـ قيام الليل سبب دخول الجنة :

فقد أوصى النبي ﷺ أبا هريرة قائلًا له : « **أطب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصل الأرحام ، وصل بالليل والناس نيام ، ثم ادخل الجنة بسلام** » (١) .

ولرهبان الليل فضل عظيم يُعد لهم في جنة الخلد والنعيم ، عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « **إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام** » (٢) .

حقًا : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠] .

٢ـ قيام الليل أفضل الصلوات بعد الفريضة :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أفضلُ الصلاةِ بعدَ المكتوبةِ الصلاة في جوف الليل** » (٣) .

فصلاة الليل بلغت هذا الفضل لما فيها من الإسرار والقرب من الإخلاص ؛ لأن الناس نيام ، فهي أفضل صلاة يُتقرب بها إلى الله بعد الفريضة ، وإن من أفضل ما يتقرب العبد به إلى ربه النوافل ، وعلى رأس هذه النوافل قيام الليل .

وقال ابن مسعود ﷺ : « فضل صلاة الليل على النهار كفضل صدقة السر على

---

(١) ابن حبان في صحيحه وأبو نعيم في الحلية ، كما في صحيح الجامع (١٠١٩) .
(٢) أحمد وابن حبان والبيهقي كما في صحيح الجامع (١٢٣) .
(٣) مسلم والنسائي كما في صحيح الجامع (١١١٦) .

العلن » [١].

٣ـ الوقاية من النار في قيام الليل :

عن عبد الله بن عمر { قال : « كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ وكنت غلامًا شابًا ، وكنت أبيت في المسجد على عهد رسول الله ﷺ ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناسٌ قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، قال : فلقينا ملك آخر فقال لي : لم تُراع ، فقصصتها على حفصة فقصتها على رسول الله ﷺ ، فقال : « **نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل** » ، فكان بعدها لا ينام من الليل إلا قليلًا » [٢].

٤ـ قيام الليل مهر الحور العين :

إذا قام المجتهد إلى تهجده ، فقد قام إلى مخطوبته ، فإذا دخل إلى الصلاة ، فقد شرع في إعداد المهر ، فإذا فرغ فقد استوفاه ، ولا يزال في شوق إلى تمام العقد ، حتى يقترب الوعد بإذن الله تعالى .

نام أبو سليمان الداراني فأيقظته حوراء قالت : « يا أبا سليمان ، تنام وأنا أُربي لك في الخدر ، منذ خمسمائة عام » [٣] .

ويحكى عن مالك بن دينار أنه قال : سهرت ليلة عن وردي ونمت ، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون ، في يدها رقعة فقالت لي : أتحسن القرآن ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إليَّ رقعة فإذا فيها :

ءَأَلْهَتْكَ اللذائِذُ والأَمَانِي عَنِ البِيضِ الأَوانِسِ في الجِنَانِ

---

(١) الزهد لابن المبارك (٢٢٦) .
(٢) فتح الباري (٣/ ١٠) .
(٣) لطائف المعارف (ص١١٠) .

تعـــيشُ مُخلـــدًا لا مَـــوتَ فيـــهِ وَتَلهُـــو في الجنَـــانِ مَـــع الحِـــسَانِ
تَنبْـــه مِـــنْ مَنَامِـــكَ إنَّ خَـــيْرًا مِـــنْ النـــوم التهجـــد بِـــالْقُرآنِ

٥ـ قيام الليل يوصل إلى حب الله تعالى :

يقول النبي ﷺ : « **ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم : الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله ﷻ ، فإما أن يُقْتَل ، وإما ينصره الله ويكفيه ، فيقول : انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ؟**

والذي كان له امرأة حسنة وفراش لين حسن ، فيقوم من الليل ، فيقول الله : يذر شهوته ويذكرني ، ولو شاء رقد .

والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ، ثم صحوا ، فقام من السحر في ضراء وسراء » [(١)].

هذه البشارة النبوية للذين يحبهم الله وأعلن الحب لهم ، من هؤلاء الثلاثة اثنان من الذين يضحك الله إليهم من قوام الليل .

٦ـ قيام الليل يجعل صاحبه من الذاكرين الله كثيرًا :

قال النبي ﷺ : « **من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كُتبا ليلتئذٍ من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات** » [(٢)].

ركعتان خفيفتان في جوف الليل تعدل ذكرًا كثيرًا يستغرق وقتًا طويلًا ، والفطن من عرف السبيل إلى أعظم الأجر بأيسر الجهد [(٣)].

ومع هذا الذكر العظيم جعل بشارة الرحمة الربانية إذا أيقظ الرجل امرأته ، أو أيقظت المرأة زوجها ، قال الناطق بالوحي ﷺ : « **رحم الله رجلًا قام من الليل**

(١) الطبراني في الكبير ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٢٥) .
(٢) السلسلة الصحيحة (٦٤٢) .
(٣) صفقات رابحة ص (٩٧) .

فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ، وأيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء » [١].

قال المناوي : فقوله : « **رحم الله رجلًا** » تنبيه للأمة ، بمنزلة رش الماء على الوجه لإيقاظ النائم ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما قال ما قال بالتهجد من الكرامة ، أراد أن يحصل لأمته حظًا من ذلك ، وحثهم عليه عادلًا عن صيغة الأمر للتلطف [٢].

فهذا أبو هريرة رضي الله عنه كان يقوم ثلث الليل ، وتقوم امرأته ثلث الليل ، ويقوم ابنه ثلث الليل ، إذا نام هذا قام هذا [٣].

٧ـ قيام الليل من النوافل الجابرة :

قيام الليل من التطوع الذي يجبر كسر الفريضة وتمام نقصها ، فيجبر في الصلاة من خلل فيها بسبب سهر أو تضييع خشوع و تأخير وقت ، قال الناطق بالوحي ﷺ : « **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، وإن انتقص من فريضة قال الرب : انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله بعد ذلك** » [٤].

ألا تريد بذلك أن يكون لك رصيد ينفعك يوم الحسرة والندامة ؟

٨ ـ قيام الليل علاج رباني :

من أهم فوائده وفضائله أنه يطرد الداء عن الجسد ، وهو شعار الصالحين ، وقربة إلى رب العالمين ، وينهى عن الآثام ، ويكفر المعاصي والموبقات .

قال الناطق بالوحي ﷺ : « **عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ،**

---

(١) أبو داود والنسائي وابن ماجه ، كما في صحيح الجامع (٣٤٨٨).
(٢) فيض القدير (٤/ ٢٦٠٢٥) .
(٣) الزهد للإمام أحمد (ص٢٢١) .
(٤) الترمذي والنسائي وابن ماجه كما في صحيح الجامع (٢٠٢٠) .

وقربة إلى ربكم ، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء من الجسد »[١].

٩ـ الأجر الخفي لقيام الليل :

قد أخفى الليل تعالى الجزاء في الجنة للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، قال تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة] ، فهذه الجائزة الكبرى في الجنة .

قال مجاهد والحسن : « تتجافى جنوبهم ، يعني : قيام الليل »[٢].

سؤال : ما هو حكم قيام الليل في حق الرسول ﷺ وفي حق أمته ؟

قيام الليل في حقه ﷺ ، كان فرضًا ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء] ، ثم نُسخ الوجوب ، فصار قيام الليل تطوعًا بعد ما كان فريضة كما قالت أم المؤمنين عائشة < ، فعن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة < : أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ ، فقالت : ألست تقرأ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ ؟ قلت : بلى ، قالت : فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام النبي وأصحابه حولًا ، وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرًا في السماء ، حتى أنزل الله آخر هذه السورة التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة[٣].

وعلى هذا يكون الأمر بالتنفل في الآية : ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ ، على جهة الندب ، ويكون تخصيص النبي ﷺ بالخطاب ؛ لأنه مغفورٌ له ، وغيره من الأمة تطوعهم كفارات وتدارك لخلل يقع في الفرائض .

---

(١) الترمذي والبيهقي والحاكم في المستدرك عن بلال كما في صحيح الجامع (٣٩٥٨) .
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٤) .
(٣) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين (٧٤٦/ ١٣٩).

قال ابن حجر : حكى النووي في زياداته عن الشيخ أبي حامد أن الشافعي نص على أنه نسخ وجوبه في حقه ﷺ ، كما نسخ في حق غيره ، وقال : هذا هو الأصح ، وفي صحيح مسلم ما يدل على ذلك [١] .

ويجوز للإمام القراءة من المصحف ، ويجوز للمأموم حمل المصحف ومتابعته ، وإن كان الأولى للمأموم عدم حمله لما فيه من الانشغال عن العبادة ، ولأنه لا حاجة في ذلك ، والله أعلم .

هديه ﷺ في قيام الليل :

وختامًا : هذا هديه ﷺ في قيام الله :

١ـ تأخير القيام إلى النصف الثاني من الليل :

وهذا هو المستحب ، وإن كان القيام يبدأ من بعد صلاة العشاء ، وهذا هو التهجد الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء:٧٩] .

فالتهجد يختص بما بعد الهجوع والهجوع يعني « النوم » .

ولذا وصف النبي ﷺ أن أحب الصلاة صلاة داود فقال رسول الله ﷺ : « **أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ﷺ ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، وكان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يومًا ويفطر يوم** » [٢] .

٢ـ الصلاة مثنى مثنى:

فعن عبد الله بن عمر { ، قال : أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ : كيف صلاة الليل ؟ قال : « **مثنى مثنى ، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة** » [٣] .

وفي رواية أخرى قيل لابن عمر : ما معنى مثنى مثنى ؟

قال : أن يسلم كل ركعتين .

---

(١) التلخيص الحبير (٣/ ١٢٠) .
(٢) البخاري (١١٣١) .
(٣) البخاري (١١٣٧) .

٣ ـ افتتاح القيام بركعتين خفيفتين :

وهذا لقول رسول الله ﷺ : « **إذا قام أحدُكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين** » (١).

ويتضح فعله ﷺ من حيث ابن عباس { عند مبيته عند خالته ميمونة ..... الحديث (٢).

٤ ـ إقامة بعضها في البيت :

قال الناطق بالوحي ﷺ : « **اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا** » (٣).

ولذا يستحب أيها الأخ الكريم أن تستغل رمضان لتقوم بأهلك في البيت ركعات تكون تعويدًا لهم على القيام ، وكما كان رسول الله يقول : « **أيقظوا صواحب الحُجَرْ** » .

٥ ـ التطويل بعد ركعتي الافتتاح :

وهذه هي أفضل الصلاة طول القنوت ، وعلى قدر القراءة في صلاة الليل يكون الأجر ، وكان النبي ﷺ يطيل القيام حتى تتفطر قدماه .

قال رسول الله ﷺ : « **من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمئة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين** » (٤).

٦ ـ تحري الدعاء في جوف الليل :

فقد كان النبي ﷺ يدعو : « **الله أكبر كبيرًا ـ ثلاثًا ـ ، والحمد لله كثيرًا ـ ثلاثًا ـ ،**

---

(١) مسلم (٧٦٨/ ١٩٨) .
(٢) أبو داود ، كتاب الصلاة (١٣٦٤) .
(٣) مسلم (٢٠٨/ ٧٧٧) .
(٤) صحيح إبن خزيمة (١١٤٤) .

وسبحان الله بكرة وأصيلًا ــ ثلاثًا ــ أعوذ بالله من الشيطان ، من نفخه ونفثه وهمزه » [(١)].

ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة من سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : بأي شيء كان النبي ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان يقول : « **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** » [(٢)].

٧ـ التسوك عند القيام :

فقد قال حذيفة بن اليمان : كان النبي ﷺ إذا قام للتهجد يشوصُ فاه بالسواك [(٣)].

فهذه سنة مستحبة .

فهذا ما كان يفعله النبي ﷺ في قيام الليل .

وخير الهدي هدي محمد ﷺ .

السُبل الميسرة لقيام الليل :

فقد ذكر الإمام الغزالي في الإحياء أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرًا وباطنًا وهذا بعون الله وتوفيقه للعبد .

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

أولا : من الأسباب الظاهرة :

١ـ تخفيف المعدة من ثقل الطعام :

أي لا يكثر الإنسان الأكل والشرب ، فيغلبه النوم ، ويثقل عليه القيام ، وكان

---

(١) صحيح ابن حبان (١٧٨٠) .
(٢) مسلم (٢٠٠/ ٧٧٠) .
(٣) البخاري (١١٣٦).

بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرًا ، فتشربوا كثيرًا ، فترقدوا كثيرًا ، فتتحسروا عند الموت كثيرًا .

فإذا أردت أخي الكريم أن يتيسر لك القيام فتقلل ما أمكنك من الطعام والشراب ، وبخاصة عند الإفطار في رمضان ، فإننا نرى كثيرًا من الناس إذا جلسوا على مائدة الإفطار أكلوا أكل المحرومين ، ثم شربوا شرب الهيم ، لا سيما إن تعلقوا بالبرامج الهابطة ، والأفلام والمسلسلات الفارغة ، التي يتفنن أهل اللهو في تقديمها في عصر الفضاء المفتوح ، نعوذ بالله من الخذلان والخسران .

٢ـ إعطاء النفس قسطًا من الراحة بالنهار :

وهذا حتى تقوى النفس على القيام بالليل ؛ لأن الأعمال التي يعيا بها الجسد وتضعف بها الأعصاب تؤدي ولا ريب إلى النوم الذي لا تمكن النفس مغالبته ، ولا ينبغي للإنسان أن يصلي وهو نائم ، لأنه لا يدري ما يقول ، فبدلًا من أن يدعو لنفسه يدعو على نفسه ، وفي الحديث عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فطر فليرقد** » [(١)] .

٣ـ القيلولة بالنهار :

وهذا ما دل إليه رسول الله ﷺ في حديث ابن عباس { قال : قال رسول الله ﷺ : « **استعينوا بطعام السحر على صيام النهار ، وبالقيلولة على قيام الليل** » [(٢)] .

وقال ﷺ : « **قيلوا ، فإن الشياطين لا تقيل** » [(٣)] .

فلا تجعل الشيطان قدوة لك فتلعب وتصخب بالنهار ، قال الحسن البصري لما

---

(١) البخاري (١١٥٠) .
(٢) الحاكم في المستدرك (١٥٥١) .
(٣) الطبراني في الأوسط ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٠٧) .

مر في السوق فرأى صخبهم ولغطهم فقال : أما يقيل هؤلاء ؟ قالوا : لا ، قال : إني لأرى ليلهم ليل سوء [١].

٤ـ اجتناب الذنوب والأوزار ، والتنزه عن أكل الحرام :

فإن الخير يدعو إلى الخير ، والشر يدعو إلى الشر ، والقليل مهما قلّ يجر إلى الكثير ، وأكل الحرام وفعل الذنوب يُقسي القلب .

وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فكذلك الفحشاء والمنكر تنهى عن الصلاة وعن فعل الخيرات .

يقول الفضيل بن عياض : « إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل ، كبلتك خطيئتك » [٢] .

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم : إني لا أقدر على قيام الليل ، فصف لي داوء ، قال له : لا تعصه بالنهار وهو يقمك بين يديه بالليل ، فإن وقوفك بين يديه بالليل من أعظم الشرف ، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف » .

فلا تعصه يقمك يا عبد الله .

وزيادة على ذلك احرص على استخدام منبه يضبط على الساعة التي تريد أن تقوم عليها ، وكذلك الاستعانة برفيق خير ينبهك بالمرور عليك أو الاتصال عليك ، فقد قال علي ﷺ : أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يا رسول الله ، أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف النبي ﷺ حين قلت ذلك ، ولم يرجع إليَّ شيئًا ثم سمعته يقول وهو مُولٍّ ، يضرب فخذه ويقول : « **وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا** » [٣].

نسأل الله الإعانة ، فعلى قدر المؤونة تكون المؤونة .

---

(١) رهبان الليل (٢/ ٤٦١) ، د/ سيد العفاني .
(٢) حلية الأولياء (٨/ ٩١) .
(٣) اللؤلؤ والمرجان (٤٤٣) .

فهذه هي الأسباب الظاهرة لتيسير القيام بالليل بين يدي الله تبارك وتعالى .

ثانيًا : الأسباب الباطنة :

١ـ سلامة القلب من الحقد على المسلمين :

خلو القلب من الانشغال بالدنايا الدنيوية ، كالحقد والحسد وغيرهما من أمراض القلوب .

اللهم طهر قلوبنا .

٢ـ تخويف النفس وقصر الأمل :

فإن القلب إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه ، وعظم حذره ، كما قال طاوس : « إن ذكرت جهنم طار نوم العابدين » .

وقال العابد الزاهد عبد الله بن المبارك :

إذا مـــا الليـــلُ أظلَـــم كَابَـــدُوُه فيـــسفرُ عـــنهم وهُمـــو ركُـــوعُ

أطـــار الخـــوف نـــومهم فقـــاموا وأهـــلُ الأمـــنِ في الـــدُنيا هُجُـــوعُ

٣ـ معرفة فضل قيام الليل :

وهذا من خلال آيات القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام التي ذكرناها قبل قليل .

وصدق من قال : اعرف قدر السلعة يهن عليك دفع الثمن .

وتتبع أخبار السلف عليهم رضوان الله تعالى ، أمثال منصور بن المعتمر ، لما سَألتْ بنت جار منصور بن المعتمر أباها : يا أبت ، أين الخشبة التي كانت في سطح منصور ؟ قال : يا بنية ، ذلك منصور كان يقوم الليل .

يعني يظل منتصبًا كالخشبة طول قيامه [١] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠٣).

٤ـ الحب لله والصدق معه :

وهذا هو أشرف الأسباب الحب لله وقوة الإيمان به ، والصدق مع الله في النية ، فمن صدق مع الله وحسنت نيته ، وأخذ بالأسباب ، ونام على ذلك أخذ أجر القيام ، وإن نام في فراشه ، وهذا لصدق نيته .

قال النبي ﷺ : « **من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل ، فغلبته عينه ، حتى يصبح كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه** » [(١)].

فهذه هي الأسباب الظاهرة والباطنة الميسرة لقيام الليل عامة [(٢)].

قيام رمضان :

إن قيام الليل في رمضان مدرسة الصالحين يكفر الخطيئة ، ويضيء الوجه بالنهار ، ويطرد الداء عن الجسد ، وفيه القرب من الله تعالى جل في علاه .

قيل للحسن البصري : ما بال القائمين بالليل أنضر الناس وجوهًا ؟ قال : « لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره » .

فضائل قيام الليل في رمضان :

١ـ قيام رمضان يغفر الذنوب المتقدمة :

قال النبي ﷺ : « **من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** » [(٣)].

ولكن هذا مشروط بشرطين :

الأول : الإيمان . **الثاني : الاحتساب .**

إيمانًا يعني : تصديقًا لقول رسول الله ﷺ ، واحتسابًا يعني : ابتغاء الأجر والثواب عند الله تعالى .

---

(١) النسائي وابن ماجه ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٤١) .
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٤٨٨) بتصرف .
(٣) **متفق عليه** : أخرجه البخاري في صلاة التراويح (٢٩٠٠) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩) .

٢ـ القائم من الصديقين والشهداء :

وهذا فيض الكريم وجوده يسوقه ﷺ ، وفيه الغُنْمُ كُلُّ الغُنْم .

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال : أرأيت إن شهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمتُ رمضان وقمته ، فممن أنا ؟ قال : « **من الصديقين والشهداء** » [(١)].

المتأمل في نص هذا الحديث النبوي يرى أن السائل لم يزد على أركان الإسلام إلا قيام رمضان ، واستحق بهذه الزيادة اسم الصديقين والشهداء .

وكان عمر بن الخطاب ﷺ قال : إذا دخل رمضان يقول : أما بعد ، فإن هذا الشهر كُتب عليكم صيامه ، ولم يكتب عليكم قيامه ، فمن استطاع منكم أن يقوم فليقم ، فإنها نوافل الخير التي قال الله » [(٢)].

٣ـ من قام مع إمامه كُتِبَ له قنوت ليلة :

أي قيام ليلة كاملة في الأجر والثواب ، وهذا لحديث أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الرجلَ إذا صَلَّى مع الإمام حتى ينصرفَ حُسب له قيامُ الليلة** » [(٣)].

قال الألباني : « والشاهد من هذا الحديث قوله : من قام مع الإمام » .

ظاهره الدلالة على فضيلة قيام رمضان مع الإمام .

وقال صاحب « عون المعبود » : « أي : حصل له ثواب ليلة تامة » .

فاتق الله في عمرك ، وأقبل على صلاة التراويح يقبل الله عليك ، وانظر إلى سلفك من الصحابة ، فقد كانوا ﷺ يربطون الحبال بين السواري ، ثم يتعلقون بها من طول القيام في التراويح .

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٣) .
(٢) المصنف لعبد الرزاق .
(٣) أبو داود ، واللفظ له (١٣٧٥).

وكان أبو الدرداء يقول : « صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور ، وصوموا يومًا شديدًا حره لحر يومِ النشور ، وتصدقوا بصدقةٍ لشر يوم عسير » .

فرحم الله رجلًا قدَّم لآخرته ، فأحيا ليله ، وأيقظ أهله ، وقدم مهره ، فإنما مهر الحور الحسان طول التهجد بالقرآن ، ولا تكن ممن يُعظِّم الخطبة ويسيء المهر [(١)] .

٤ـ قيام رمضان وقناطير الحسنات :

قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْمُقَنْطِرِينَ** » [(٢)] .

من القانتين : أي : من الداعين ، فالقنوت هو الدعاء .

ومن المقنطرين : أي : ممن كُتب له قنطار من الأجر .

وقال الحافظ ابن حجر : « من سورة « تبارك الذي بيده الملك » إلى آخر القرآن ألف آية » ، والله أعلم .

فهذه أمثلة من فضائل قيام رمضان ، وهذا القيام يسمى بصلاة التراويح .

*** ما معنى صلاة التراويح ، ولماذا سميت بهذا الاسم ؟**

التراويح : جمع ترويحة ، وهي المرة الواحدة من الراحة كتسليمة من السلام .

وسُميت بهذا الاسم ؛ لأن الصحابة كانوا يستريحون بين كل تسليمتين ، قاله ابن حجر رضي الله عنه في الفتح [(٣)] .

صلاة التراويح في جماعة :

عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال : « خرجت مع عمر بن الخطاب ليلةً في رمضان إلى المسجد فإذا الناسُ أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل

---

(١) بغية الإنسان في وظائف رمضان (ص٢٩) .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٦٣٥) .
(٣) فتح الباري (٤/ ٢٢٨) .

فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه والتي تنامون عنها أفضل مما يقومون ـ يريد آخر الليل ـ وكان الناس يقومون أوله » [(١)].

سؤال : ما معنى قول عمر ﷺ : نعم البدعة هذه ؟ وهل معنى ذلك أن عمر مبتدع ؟

يجيب على هذا السؤال الحافظ ابن حجر ﷺ قائلًا : « البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق ، وتطلق في الشرع في مقابل السنة ، فتكون مذمومة ، والتحقيق : أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع تكون حسنة ، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة ، وإلا فهي من قسم المباح » [(٢)].

معنى البدعة :

البدعة اللغوية ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية : « نعمت البدعة هذه » فإنها بدعة في اللغة العربية ، لكونهم فعلوا ما لم يكونوا يفعلون في حياة رسول الله ﷺ ، ومثال ذلك ـ إخراج اليهود من جزيرة العرب ومصر الأمصار كالكوفة والبصرة ، وجمع القرآن في مصحف واحد وغير ذلك ، فقيام رمضان سنة الرسول ﷺ ، وعمر ليس مبتدعًا ، والدليل : ورد في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة < أن رسول الله ﷺ خرج من الليل فصلى في المسجد وصلى رجالٌ بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فصلى رسول الله ﷺ فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجزَ المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر فأقبل على الناس ، فتشهد ثم قال : « **أما بعد فإنه لم يَخْفَ عليَّ مكانكم ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها** » ، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك [(٣)].

---

(١) البخاري (٢٠١٠) .
(٢) فتح الباري (٢٩٨/ ٤) .
(٣) البخاري (٢٠١٢) .

إذًا عمر ليس مبتدعًا ، فالجماعة في قيام رمضان لها أصل من السنة ، بجانب أن عمر هذا من الخلفاء الراشدين الذين قال عنهم النبي ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ** » .

النواجذ : يعني الأضراس لأنها أعظم في القوة [(١)] .

والجماعة أولى من الفرد .

يعني صلاة التراويح في جماعة أفضل من أن تصلى فرادى دون جماعة ، وهذا لفعل النبي ﷺ ، وأمر عمر بن الخطاب ﷺ أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يصليا بالناس جماعة لحث الناس عليها .

ولقوله ﷺ بعد فعله حين قال : « **إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قام مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ بقيةُ لَيْلة** » [(٢)] .

مما سبق يتضح أن صلاة التراويح في جماعة أولى وأفضل من أن تصلى فرادى ، وهذا لفعل النبي وقوله ، ولأمر الفاروق عمر لأبي تميم الداري أن يصليا بالناس جماعة ، وإقرار الصحابة على ذلك ، وفي ذلك إظهار لشعائر الإسلام .

عدد ركعات القيام في رمضان :

إحدى عشرة ركعة كان يصليها النبي ﷺ في قيامه ، فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنه سأل عائشة < : كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان فقالت : ما كان يزيد في رمضان ، ولا غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلى أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثًا ، فقلت : يا رسول الله ، أتنام قبل أن توتر قال : « **يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي** » [(٣)] .

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢٤/ ٢٢) .
(٢) **صحيح** : أبو داود (١٣٧٥) .
(٣) **صحيح** : البخاري (٢٠١٣) .

فهذا حديث عائشة < ويفيد أن أغلب عدد ركعات قيام رسول الله ﷺ من الليل إحدى عشرة ركعة .

وهناك حديث آخر دل على أن رسول الله ﷺ صلى ثلاث عشرة ركعة .

فعن عبد الله بن عباس { أنه قال : عند ميمونة « وهي خالته » قال : فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قريبًا منه ، فاستيقظ يمسح النوم عن وجهه ، ثم قرأ عشر آيات من آل عمران ، ثم قام رسول الله ﷺ إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن الوَضُوءَ ثم قام يصلي ، فصنعت مثله فقمت إلى جنبه فوضع يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني يفتلها ، ثم صلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع ، حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح »[1] .

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن النبي ﷺ صلى ثلاث عشرة ركعة غير ركعتي الفجر .

وَرُد على هذه الزيادة بركعتين على حديث أم المؤمنين عائشة ، ما قاله الحافظ ابن حجر : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل لِيُصَلِي افتتح صلاة بركعتين خفيفتين .

قال أبو هريرة ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « **إذا قام أحدُكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين** »[2] .

وعلى عهد عمر كانوا يصلون بثلاث وعشرين ركعة ، عشرون ركعة ويوترون بثلاث ، وهذا ما قاله السائب بن يزيد قال : كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب ﷺ في شهر رمضان بعشرين ركعة وكانوا يقومون بالمئين ، وكانوا يتوكؤون

(١) البخاري (٩٩٢) .
(٢) مسلم (٧٦٨) .

على عصيهم في عهد عثمان من شدة القيام [١].

وأما ما روي عن أهل المدينة أنهم كانوا يصلون بتسع وثلاثين ركعة .

يقول الإمام النووي في المجموع : « وما نقل عن أهل المدينة ، قال أصحابنا : أن أهل مكة يطوفون بين كل ترويحتين طوافًا ويصلون ركعتين ، ولا يطوفون بعد الترويحة الخامسة ، فأراد أهل المدينة مساواتهم ، فجعلوا مكان كل طواف أربع ركعات ، فزادوا ست عشرة ركعة وأوتروا بثلاث فصار المجموع تسعًا وثلاثين » . والله علم [٢].

وأخيرًا قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« كما أن نفس قيام رمضان لم يوقت النبي ﷺ فيه عددًا معينًا ، بل كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة ركعة لكن كان يطيل الركعات .

ولما جمعهم عمر بن الخطاب ، كان يصلي بهم عشرين ركعة ويوتر بثلاث ، ثم كان طائفة من السلف يقومون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث ، وآخرون قاموا بست وثلاثين وأوتروا بثلاث ، وهذا كله سائغ ، فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن » [٣].

الخلاصة :

ما جاء في قيام رمضان من العدد خمسة أقوال :

١ـ ثمان ركعات وثلاث وتر ٨+٣=١١ ركعة .

٢ـ عشر ركعات وثلاث وتر ١٠+٣=١٣ ركعة .

٣ـ عشرون ركعة وثلاث وتر ٢٠+٣=٢٣ ركعة .

---

(١) **صحيح** : البيهقي (٢/ ٤٩٦) .
(٢) المجموع شرح المهذب (٤/ ٣٢) .
(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٧٢) .

٤ـ ست وثلاثون ركعة وثلاث وتر ٣٦+٣= ٣٩ ركعة .

٥ـ أربعون ركعة وثلاث وتر ٤٠+٣=٤٣ ركعة [١].

فائدة :

بعد هذا العرض لأقوال العلماء ألفت نظرك أيها القارئ الكريم إلى أمر يتعلق بالبدعة : فمن الناس من يسرع في الرمي بالبدعة .

الذي يقرأ حديث عائشة أن النبي ﷺ لم يكن يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة ، فقد تجد شخصًا يرى من يصلي عشرين ركعة ، أو أكثر أو أقل فيسارع ويرمي فاعله بالبدعة .

مجرد الزيادة فيما لا يحدده رسول الله ﷺ لا يعد بدعة ، وكذلك فعل ما لم يفعله النبي ﷺ مما لم يأت فيه نهي أو لم يلحق بمنهي عنه لا يعد بدعة .

ومثال ذلك : الاجتماع على أذكار الصباح والمساء ، وقراءة القرآن والأذكار ، وطالما هذا الفعل لم يصادم النصوص الشرعية فلا بأس به ، والله أعلم .

أفضل وقت لأداء صلاة التراويح :

أما عن وقت صلاة التراويح فهناك سعة في وقتها من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **إن الله زادكم صلاةً وهي الوتر ، فصلوها بين صلاة العشاء إلى صلاة الفجر** » [٢].

وتأخيرها إلى ثلث الليل الأخير هو المستحب لقول عمر رضي الله عنه : « والتي ينامون عنها أفضل ما يقومون ـ يريدون آخر الليل ـ وكان الناس يقومون أوله » [٣].

وصلاتها في جماعة أولى من صلاتها منفردة .

---

(١) مختصر قيام رمضان للمروزي (٤١).
(٢) **صحيح** : أحمد في المسند (٧١٦) .
(٣) **صحيح** : البخاري (٢٠١٠) .

مقدار القراءة في كل ركعة :

لم يرد عن رسول الله ﷺ شيء مسنون في مقدار القراءة في ركعات القيام ، ولكن ورد عن السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى بعض الآثار .

١ـ عن عاصم عن أبي عثمان أن عمر ﷺ جمع القراء في رمضان فأمر أخفهم قراءةً أن يقرأ ثلاثين آية ، وأوسطهم خمسًا وعشرين آية ، وأثقلهم قراءة عشرين [(١)].

٢ـ عن السائب بن يزيد : أن عمر ﷺ أمر أبي بن كعب ، وتميمًا الداري أن يقوما للناس في رمضان فكان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام ، وما كنا نتصرف إلا في بزوغ الفجر .

وعن عبد الله بن أبي بكر : سمعتُ أبي يقول : « كنا ننصرف في رمضان من القيام ، فنستعجل الخادم بالطعام مخافة الفجر » [(٢)].

٣ـ وعن أبي داود : سُئل أحمد عن الرجل يقرأ القرآن مرتين في رمضان يؤم الناس ؟ فقال : هي عندي على قدر نشاط القوم وإن فيهم العُمال ، وقال النبي ﷺ لمعاذ : « **أفتان أنت يا معاذ** » [(٣)].

فالأمر يرجع إلى مراعاة حال المؤمنين وعدم الإفراط في التطويل فقد قال الناطق بالوحي ﷺ : « **إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي ـ مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه** » [(٤)].

سؤال : هل يجوز حمل المصحف في صلاة التراويح ؟

الراجح في هذه المسألة والله أعلم : جواز حمل المصحف وذلك إذا دعت الحاجة إليه ، كافتقاد إمام حافظ لكتاب الله وغير ذلك .

---

(١) **صحيح** : عبد الرزاق في مصنفه (٧٧٣٢).
(٢) **صحيح** : البيهقي (٢/ ٤٩٧) .
(٣) مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود عنه (٦٣) .
(٤) مسلم (٤٧) .

ودليل حمل المصحف قياسًا على حمل النبي ﷺ لأمامة بنت العاص ، عن أبي قتادة قال : خرج علينا النبي ﷺ ، وأمامة بنت أبي العاص على عاتقة فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع دفعها [١].

وعن ابن أبي مليكة أن زكوان أبا عمرو كانت عائشة أعتقته عن دبر فكان يؤمها ومن معها في رمضان في المصحف ، قال : وكان « يؤم » من يدخل عليها إلا أن يدخل عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فيصلي بها » [٢].

*****

(١) البخاري في الصحيح (٥٩٩٦) .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٤) ، وعبد الرزاق (١٢/ ٣٩٤) .

الفصل الخامس

في صريح القرآن

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [البقرة:١٨٣- ١٨٥] .

فهذا نداء ندي من الرب العلي به يخف الثقيل ، ويسهل الصعب وبه تطمئن القلوب ؛ لأنه نداء الرحمن على أصحاب القلوب العامرة بالإيمان .

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾ أي : فرض كما فرض على الذين من قبلكم .

﴿ٱلصِّيَامُ﴾ الصيام لغة : الإمساك والكف والامتناع ، ومنه قول الله تعالى : ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ [مريم:٢٦] .

والمعنى الشرعي : الامتناع والإمساك عن الاستجابة لكل ما كان مباحًا من شهوة البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى .

وتمام هذا الصيام وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات .

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ .

أي : كما فرض على الذين من قبلكم ، قيل المراد بالذين من قبلكم هم : النصارى ، وقيل : هم اليهود والنصارى « أهل الكتاب » .

وقيل المراد : عموم من كان قبلنا ممن أرسل الله إليهم رسلًا ، وأنزل إليهم كتبًا

وشرع لهم شرائع ، وذلك لعموم قوله تعالى : ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ، وهذا هو الظاهر والله أعلم .

سؤال : ما هو وجه الشبه بين فرض الصيام علينا وفرض الصيام على الذين من قبلنا ؟

أولًا : وجه الشبه في الفريضة والوجوب أي : أن الصوم كان مفروضًا على الذين من قبلنا ، ولكن هل كان مفروضًا عليهم رمضان مثلنا أم لا ؟ وما هي صفة صيامهم ؟ هل هي كصيامنا أم مختلفة عنا ؟ لم يثبت في ذلك نص ، فغاية الأمر أن الله فرض علينا الصيام كما فرضه على الذين من قبلنا .

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تتقون ما حكم وفرض الله عليكم .

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي : مُحصيات يَعدها العاد ، أو موقتات بعدد معلوم كما قال تعالى : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ .

[يوسف:٢٠]

وهذه الأيام المعدودات هي أيام رمضان وهي المفسرة بقوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وهذا ما قاله الطبري ~ : قال : وأولى ذلك بالصواب عندي قول من قال : عنى الله جل ثناؤه بقوله : ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أيام شهر رمضان ، وذلك أنه لم يأت خبر تقوم به حجة ، بأن صومًا فرض على أهل الإسلام غير صوم شهر رمضان [1] .

وقت فريضة الصيام والحكمة من التوقيت :

وهذا الصوم فرض على المؤمنين ـ كمعظم شرائع الإسلام ـ في المدينة بعد الهجرة .

---

(١) التسهيل لتأويل التنزيل : (٣/ ٦٩، ٧٠) .

فقد كان العهد المكي عهد تأسيس العقائد ، وترسيخ أصول التوحيد الخالص ، ودعائم القيم الإيمانية والأخلاقية ، في القلوب والعقول ، وتطهيرها من رواسب الجاهلية في العقيدة والفكر والسلوك .

أما بعد الهجرة ، فقد أصبح للمسلمين كيان وجماعة متميزة ، تنادي بـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فشرعت عندئذٍ الفرائض ، وحدت الحدود ، وفصلت الأحكام ، ومنها الصيام .

ولم يشرع في مكة إلا الصلوات الخمس ، لما لها من أهمية خالصة ، وكان ذلك ليلة الإسراء .

أما فريضة الصيام فقد كانت في السنة الثانية من الهجرة ، فتوفي النبي ﷺ وقد صام تسعة رمضانات [1] .

مراحل تشريع الصيام :

شُرِعَ صيام رمضان على مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة التخيير : أي تخيير المكلف المطيق للصوم بين أمرين : الصيام وهو الأفضل أو الإفطار مع الفدية ، وهي إطعام مسكين ، فمن زاد على ذلك فهو خير وأبقى .

وفي ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة] .

فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وفدى .

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٠).

المرحلة الأخرى : وهي مرحلة الإلزام والتحتيم : أي الإلزام بالصوم ، ونسخ التخيير الذي رخص في الآية السابقة .

وفي ذلك نزل قول الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

[البقرة:١٨٥]

ففي الصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي : كان من أراد أن يفطر ويفتدي ، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها [(١)] .

وفي رواية لمسلم : حتى أنزلت هذه الآية : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾ .

[البقرة:١٨٥]

فأوجب الله بهذه الآية الصيام على الصحيح المقيم ، ورخص في الإفطار للمريض والمسافر ، وهذا هو المنهج الحكيم الذي اتخذه الإسلام في تشريعاته ، سواء في فرض الفرائض أم في تحريم المحرمات ، وهو منهج التدرج في التشريع ، الذي يقوم على التيسير لا التفسير .

وهذه المرحلة الإلزامية جاءت أيضًا على رتبتين :

الرتبة الأولى : فقد كانوا يأكلون ويشربون ويباشرون نساءهم ما لم يناموا أو يصلوا العشاء فإذا ناموا وصلوا العشاء لم يجز لهم شيء من ذلك الليلة القابلة .

فعن البراء بن عازب قال : كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر

---

(١) **متفق عليه** : اللؤلؤ والمرجان : (٧٠٢) .

الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يُمسي ، وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟

قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك ، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رأته قالت : خيبة لك ، فلما انتصف النهار غُشي عليه .

فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧] (١) .

ففرح المسلمون فرحًا شديدًا ، فقد أباح لهم الرفث ـ الجماع ـ والطعام والشراب في جميع الليل ، إلى أن يتبين الفجر ، رحمة ورخصة ورفقًا ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .

حكمة الصوم :

إن الله تعالى لم يشرع في دينه شيئًا إلا لحكمة ، علمها من علمها ، وجهلها من جهلها ، وكما لا تخلو أفعال الله تعالى من حكمة فيما خلق ، لا تخلو أحكامه سبحانه وتعالى من حكمة فيما شرع ، فهم حكيم في خلقه ، حكيمٌ في أمره ، لا يخلق شيئًا باطلًا ، ولا يشرع شيئًا عبثًا .

فالله تعالى هو الغني عن عباده وهم الفقراء إليه ، فهو سبحانه لا تنفعه طاعة الطائعين ، كما لا تضره معصية العاصين ، فالحكمة في الطاعة عائدة إلى مصلحة المكلفين أنفسهم .

حكم الصيام :

وفي الصيام حِكم ومصالح كثيرة أشارت إليها نصوص الشرع ذاتها ومن هذه الحِكم :

١ ـ تقوى الله .

وهذه الحكمة التي ذكرها رب البرية حين فرض الصيام على عباده المؤمنين فقال :

---

(١) البخاري في صحيحه (١٩١٥) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣] .

فإن أول هذه الثمرات الإيمانية والحكم الربانية تقوى الله تعالى ، هذه التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين ، وهذه التقوى معناها مأخوذ من الوقاية ، أي اجعلوا لأنفسكم وقاية كي تقيكم من سخط الله وغضبه ، وهذا الصيام سبيل من سُبل التقوى الخالصة ، ولذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة ، التي إذا استولت عليها أفسدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى : ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [(١)] .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ ، أي : لعلكم تتقون ما حرم الله عليكم هذا قول قاله بعض العلماء .

وقال آخرون : لعلكم تتقون ما فعله من كان قبلكم من تحريف وتغيير وتبديل كما كان عند النصارى ، فقد كان صوم رمضان مكتوبًا عليهم فغيروا وبدلوا وزادوا فيه ونقصوا .

وقال آخرون : لعلكم تحصل لكم التقوى بالصيام ، فالصيام يكسر الشهوة كما قال النبي ﷺ : « **فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » [(٢)] .

وإن الصيام من أكبر أسباب التقوى ؛ لأن فيه امتثال أمر الله تعالى واجتناب نهيه ، فالصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع وهي الشهوات التي تميل إليها نفسه ، متقربًا بذلك إلى الله ، راجيًا بتركها ثوابه ، فهذا من التقوى .

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٩) .
(٢) التسهيل لتأويل التنزيل (٣/ ٢٧) .

ومنها أن الصائم كذلك يدرب نفسه على المراقبة ، فيترك ما تهوى نفسه ، مع قدرته عليه ، لعلمه باطلاع الله عليه .

والشعور بهذه المراقبة يحول بين العبد وبين المعصية ، فالمسلم حين يعلم أن الله يسمع ويرى ويعلم ما في النفس ، لا يقول ولا يعمل شيئًا يغضب ربه ، لأنه علم أنه عليه رقيب وهذا واضح أشد الوضوح في الصيام .

أخي الصائم :

إذا ما خَلَوْتَ الدَّهْرَ يومًا فلا تَقُلْ : خلوت ولكنْ قُلْ عليَّ رَقِيبُ
ولا تَحْسَبَنَّ الله يَغْفُلُ ساعَةً ولا أَنَّ ما يَخْفَى عليه يَغِيبُ

٢ـ الصبر :

فالصيام يربي النفس البشرية على الصبر بكل معانيه ، فالصبر ثلاث درجات ، صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارم الله ، وصبر على أقدار الله المؤلمة ، وهذه الأنواع كلها في الصوم ، وقد صح عن النبي ﷺ : « **صوم شهر الصبر ، وثلاثة أيام من كل شهر وَحَر الصدر** »[(١)] .

وَحَر الصدر : غِشه ووساوسه .

وقيل : الحقد والغيظ .

وجزاء الصابرين لا يعلمه إلا الله تعالى ، والملائكة حين يسلمون عليهم يوم القيامة جزاء صبرهم في الدنيا : ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد] .

٣ـ الشكر :

هذه حكمة خفية في آيات الصيام قال تعالى : ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ

(١) البزار ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٠٤) .

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

والصيام نعمة من نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى ، ولكن كثيرًا من الناس لا يشعرون بهذه النعمة إلا إذا فقدوها ، لذلك فالصيام مدرسة تربي الإنسان على الشكر ، لأنك عندما تذوق ألم الجوع ، وتتجرع مرارة الحرمان من الطعام والشراب تشعر بقدر هذه النعم ، فالإنسان إذا صام عرف نعمه الله عليه في الشبع والري فشكرها ، لذلك فإن النعم لا تعرف مقدارها إلا بفقدها [(١)] .

وقال الطبري رحمه الله تعالى : ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي : تشكرون الله على ما أنعم عليكم به من الهداية والتوفيق والتيسير ما لو شاء عسَّر عليكم ، و« لعل » في هذا الموضوع بمعنى « كي » ولذلك عطف به على قوله تعالى : ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي : إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه وترك محارمه ، وحفظ حدوده فلعلكم تكونون من الشاكرين على ذلك [(٢)] .

فالصيام بهذا المعنى يربي في الإنسان صفة الشكر على النعم ، وهي غاية لا يصل إليها إلا من وفقه الله تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣] .

٤ـ التوازن بين الجسد والروح :

فإن الله تعالى خلق الإنسان من الجسد والروح ، هذا الجسد من الطين والروح ، فهو نفخة عُلوية من روح الله تعالى ، ولكن هل حقيقة الإنسان هذه الجثة القائمة وهذا الهيكل المنتصب ؟

---

(١) فوائد الصيام لعز الدين بن عبد السلام ص(٢٥) .
(٢) التسهيل لتأويل التنزيل (٣/ ١٠٧) .

هل هو هذه المجموعة من الأجهزة والخلايا واللحم والدم والعظم والعصب ؟ إن كان الإنسان هو ذلك فما أحقره وما أصغره !!

نعم إن الإنسان ليس هو ذلك الهيكل المحسوس فقط ، إنما هو روح سماوية تسكن في هذا الجسد .

فحقيقة الإنسان في هذه اللطيفة الربانية ، والجوهرة الروحانية التي أودعها الله في هذا الجسد يعقل بها ويفكر ، ويشعر بها ويتذوق ، وبها أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم فقال أمرًا حكيمًا : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص] ، ذلكم هو الإنسان روح علوي ، وجسد سُفلي ، فالجسد بيتٌ والروح صاحبته وساكنته ، والجسد مطية الروح ، والروح راكبة مسافرة عليها ، فلم يخلق البيت لنفسه ، ولا المطية لذاتها ، ولكن البيت لمصلحة الساكن ، والمطية منفعة الراكب ، ما أعجب هؤلاء الآدميين الذين أهملوا أنفسهم وعُنوا بمساكنهم ، وجعلوا من ذواتهم خدمًا لمطاياهم ، وأعملوا أرواحهم ، وعبدوا أجسادهم ، فللجسد وحدهم يعملون ، ولإشباع غرائزهم الدنية ينشطون ، وحول بطونهم وفروجهم يدورون ، نشيدهم الدائم قول القائل :

إنما الدنيا طعام وشراب ومنام

فإذا فاتك هذا فقل على الدنيا السلام

أولئك الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان] .

فالإنسان روح وجسد ، فللجسد مطالبه من جنس عالمه السفلي ، وللروح مطالبها من جنس عالمها العلوي ، فإذا أخضع الإنسان أشواق روحه لمطالب جسده ، وحكم غريزته في عقله ، فهذا صدق فيه قول القائل :

يـا خـادم الجـسد كـم تـشقى لخدمتـه أتطلــب الــربح ممــا فيــه خــسران
أقبـل عـلى الـنفس واسـتكمل فـضائلها فأنــت بــالنفس لا بالجــسم إنــسان

أما إذا عرف الإنسان قيمة نفسه ، وأدرك سر الله فيه ، وعُني بالراكب قبل المطية ، وبالساكن قبل الجدران ، وغلبت أشواق الروح على نوازع الجسد ، فيصدق فيه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة:٧] .

ومن هنا فرض الصيام ليتحرر الإنسان من سلطان الغريزة ، وينطلق من سجن الجسد ، ويتغلب على نزعات شهوته ، ويضبط غريزته الجنسية التي هي من أخطر أسلحة الشيطان في إغواء الإنسان ، ولذلك نصح الصادق المصدوق ﷺ الشباب الذين لا يجدون نفقات الزواج بالصيام فقال ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » [(١)] .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

« الوجاء » هو رض الخصيتين ، وقيل : رض عروقهما ومن يفعل ذلك تنقطع شهوته ، ومقتضاه أن الصوم قامع لشهوة النكاح [(٢)] .

وقد ثبت ذلك علميًا أن في الخصيتين خلايا متخصصة في إنتاج هرمون التيستستيرون ، وهو الهرمون المحرك والمثير للرغبة الجنسية ، وقطع الخصيتين يذهب هذه الرغبة ويخمدها تمامًا .

ولذلك قال المعصوم ﷺ : « **خصاء أمتي الصيام** » [(٣)] .

فلا يتحدث بهذه العبارة الموجزة والتي تحوي كل هذه الدقة العلمية إلا نبي

---

(١) البخاري في صحيحه (١٩٠٥) .
(٢) فتح الباري (٥/ ٥٩٤).
(٣) أحمد في المسند وصححه الألباني فقي صحيح الجامع (٣٢٢٨) .

يوحي إليه خالق الإنسان بدقائق تكوينه [١].

٥ـ الحكمة الاجتماعية :

وهذا يظهر بجلاء في هذا الجوع الذي فرض إجباريًا على الصائمين فهذا يُوجد نوعًا من المساواة الإلزامية في الحرمان ، ويزرع في أنفس الموسرين والواجدين الإحساس بآلام الفقراء والمحرومين .

أو كما قال ابن القيم : يذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين ، وفي هذا التذكير العملي الذي يدوم شهرًا ، ما يدعو إلى التراحم والمساواة والتعاطف بين الأفراد والطبقات بعضهم البعض .

ولذا كان رسول الله أجود الناس مطلقًا في رمضان وفي غيره ، ولكن كان أجود ما يكون في رمضان ، فكان أجود من الريح المرسلة ﷺ .

ومن أجل هذا كان من أفضل ما يثاب عليه المسلم تفطير الصائم ، كما في الحديث : « **من فطّر صائمًا كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا** » [٢].

وإن من أهم فوائد الصيام الاجتماعية بجانب المساواة والعطف على الفقراء والمساكين أن فيه علاجًا للكبر والطغيان والتعالي على الناس ؛ لأن الكل صائم والكل يعاني من الجوع ، والكل يمسك ويفطر دون تفريق أو امتياز ، لا يستثنى من ذلك أحد لغناه ، أو لمنصبه أو جاهه ، فأكرمنا عند الله أتقانا ، وأفضلنا أزكانا .

فلم الكبر والطغيان والله يقول : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾ [الإنسان] .

فيا أيها الأغنياء ، تذكروا في رمضان نعمة الله عليكم حيث وسع لكم ، وأسبغ

---

(١) الصيام معجزة علمية : د/ عبد الجواد الصاوي (ص١٧٦) . .

(٢) أحمد والترمذي وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه كما في صحيح الجامع (٦٤١٥).

عليكم النعم ، وتذكروا بذلك جوع المساكين والفقراء من إخوانكم في بلاد المسلمين .

٦ـ الاهتمام بالوقت :

هذه الحكمة من الحكم البديعة للصوم تعليم الأمة النظام في المعيشة ومعرفة أهمية الوقت وشرف الزمان ، فالصوم مدرسة لتنظيم وقت المسلم واستثماره في مرضات الله تعالى ؛ إذ إن الصائم في نهاره متفرغ للعمل ثم للعبادة في الليل وقد عوفي من التشاغل بألوان الطعام وما يشابهه ، وهو في الليل متعبد متهجد قارئ للقرآن ذاكر لله ﷻ ، يبادر بالأعمال ويسارع بالخيرات ، ويسابق للجنات ، وهذا الإحساس يشعره بقيمة الوقت وشرف الزمان ، فالوقت إما عمار وإما دمار .

وصدق من قال :

دَقَّاتُ قلبِ المرءِ قائِلَةٌ لَهُ ... إنَّ الحياةَ دَقَائِق وَثَوانِ

فَارْفَعْ لِنَفْسكِ قَبْلَ موتك ذكرها ... فالذكرُ للإنسان عُمرٌ ثانٍ

فإن الوقت هذا نعمة سيسأل عنها العبد يوم القيامة .

قال رسول الله ﷺ : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ** » [(١)] .

وقال أيضًا : « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ...** » [(٢)] .

وقد وصف الله حال المفرطين في أوقاتهم المضيعين لها فقال : ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾

(١) الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، والسلسلة الصحيحة (٩٤٦) .
(٢) الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، والسلسلة الصحيحة (٩٤٦) .

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون] .

وصدق أحد الصالحين حين قال : العمر قصير فلا تقصره بالغفلة .

والناظر إلى الصيام يجد أنه حقًا يعلم المؤمن كيف يحافظ على وقته لأنه عمره الذي يعيشه ، ففي حديث رسول الله ﷺ : « **إذا أذن بلال فلا تمسكوا ولكن أمسكوا إذا أذن ابن أم مكتوم** » [1] .

كم الفرق بين أذان بلال وأذان ابن أم مكتوم ؟ قال الراوي : ما بينهما إلا أن ينزل هذا ويصعد هذا إذن هي بضع دقائق .

وانظر أيضًا إلى الصائم الذي صام طيلة النهار ، ثم لم يصبر وأفطر قبل المغرب بدقيقة أو ثلاث عمدًا ؟ لا شك في بطلان صيامه فهذا درس عظيم من الصيام في المحافظة على الأوقات .

وتعجب من الذين يفرطون ويضيعون أوقاتهم من أهل الغفلة الذين تراهم في نهار رمضان يتسكعون في الطرقات ، وينتقلون من مقهى إلى أخرى ، فإذا سألت أحدهم لماذا تفعل ذلك ؟

أجابك : إني أضيع الوقت إلى الإفطار ، وآخر يقول : أتسلى كي لا أشعر بالصيام ، وآخر يقول : أقتل الوقت ، وكأن الوقت أضحى عدوًا له فهو يقتله !!

وما درى المسكين أنه يقتل نفسه !!

وجماع ذلك كله : أن الصيام يُعد الإنسان لدرجة التقوى ، وهي الحكمة العالية التي ذكرها الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة] .

*****

(١) البخاري في صحيحه (١٩١٨، ١٩١٩).

الفصل السادس

المحرومون في رمضان

إن الحرمان له ضروب متنوعة ، فمن الحرمان مثلًا أن يحرم العبد نعمة المال فيعيش فقيرًا ، أو يحرم من نعمة العافية فيعيش مريضًا أو يُحرم من نعمة العلم فيعيش جاهلًا ، أو يحرم من نعمة الولد ، فهذه أنواع من الحرمان ولكنها قد تعوض في الدنيا أو الآخرة عند دخول الجنة ، ولكن من أشد أنواع الحرمان أن يُحرم العبد من رحمة الله تعالى ، وهذا بعدم التزام أمر الله واجتناب ما نهى عنه الله ، فإن رمضان إما أن يكون نفحات أو لفحات .

نفحات لمن تعرض للرحمة والمغفرة في شهر التوبة والغفران ، في شهر بالصيام الحقيقي الذي يرضى الله تعالى ، ويكون على هدي رسول الله ﷺ .

أما الذي يغفُل عن هذا الفضل العظيم ولا يغتنم هذه الفرصة العظيمة فهذا محروم حرم نفسه من فضل الله في هذا الشهر المبارك ، فلم تصبه نفحة من نفحات الخير ، إنما أصابته لفحة من لفحات الشر والسخط ، وهذا حقًا هو المحروم .

١ـ فمن المحرومين في رمضان : الذي حرم نفسه من الصيام مع القدرة عليه ، ولا عذر له في عدم صيامه ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **عُرا الإسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أسس الإسلام ، من ترك منهن واحدة فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان** »[(١)] .

وقد قال الإمام الذهبي في الكبائر : « وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم

---

(١) أبو يعلى والديلمي بسند حسن ، وقال الذهبي : حديث صحيح ، انظر : فتح القدير (٤/ ١١٣) رقم (٥٤١٤) .

رمضان بلا مرض ولا عرض أنه شر من المكاس والزاني ومدمن الخمر ، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال » [١].

وعن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي « عضُدي » فأتيا بي جبلًا وعرًا فقالا لي : إصعد فقلت : إني لا أطيقه فقالا : إنا سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل ، إذا أنا بأصوات شديدة فقلت : ما هذه الأصوات قالوا : هذا عواء أهل النار ، ثم انطلق بي ، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم ، مشققة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دما ، قال : قلت : من هؤلاء قال : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم** » [٢].

هذه رؤيا رآها النبي ﷺ ، ورؤيا الأنبياء وحي صادق ، رأى هذا اللون من العذاب الشديد بسبب أنهم يفطرون قبل غروب الشمس ، ولو بدقائق معدودات فكيف بمن يفطر اليوم كله ؟

وعن عائشة < قالت : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث أحلف عليهن ، لا يجعل الله تعالى من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ، وأسهم الإسلام ثلاثة : الصلاة ، والصوم ، والزكاة** » [٣].

ففي هذه الأحاديث الوعيد الشديد والشنيع الفظيع على من تعمد الفطر في رمضان ، بلا عذر ولا رخصة .

ومما يؤلم النفس ويضيق الصدر ، أن ترى هذه الأحاديث تنطبق على من بعض الذين يزعمون أنهم مسلمون ، فيفطرون في رمضان جهارًا في الشوارع والأسواق ولا يجدون من ينهاهم ، وإذا نهاهم إنسان قل أن يسلم من أذاهم ، فإنا لله وإنا إليه

---

(١) فيض القدير (٤/ ١١٣) رقم (٥٤١٤) .
(٢) ابن حبان ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٥) .
(٣) أحمد في المسند ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢١).

راجعون ، ولكن ينبغي أن يُنْهَى عن هذا المنكر ، وإلا من سكت عن ذلك فهو مشارك في الإثم ، لأن هذا يعد تعاونًا على الإثم والعُدوان .

وهذا نداء إلى أرباب المطاعم والمشارب والمقاهي بأن يغلقوها في رمضان ، ويُحرم عليهم تقديم الطعام والشراب نهارًا لأي مكلف بالصيام ، لما في ذلك من التعاون على الإثم والعُدوان والتهاون بأحكام الدين ، وترك الدين ترك النهي عن المنكر ، وفي تركه الضرر العام وانتشار المعاصي والتظاهر بها .

أليس هذا محرومًا حَرَم نفسه من فضل الله عليه .

٢- ومن المحرومين في رمضان أيضًا : الذين لا يصومون إيمانًا واحتسابًا ، أي يصومون عن الطعام والشراب دون أن يؤثر فيهم ويغير من حياتهم ، يحرُمون من وقاية الصيام لهم ووقوفه بجانبهم في أوقات المحنة والشدة .

ومن أشد المواقف التي تمر بالإنسان في الدنيا والآخرة ، ثلاثة مواقف عند السكرات ، وعند القبر ، وعند القيامة ، وسبحان الله العظيم ، فإن الصوم في هذه المواطن الثلاثة يقف بجانب الصائم موقف الصديق الوفي بجانب صديقه .

الموقف الأول : عند الموت والسكرات :

وهذا الموقف هو أشد المواقف التي يمر بها الإنسان في الدنيا حيث تتصل فيه آخر كربة من كريات الدنيا بأول كربة من كربات يوم الآخرة ، والإنسان في الغالب يموت على ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه ، فمن عاش على الصيام وأخلص فيه مات عليه بُشر بالجنة كما في حديث رسول الله ﷺ : « **من ختم له بصيام يوم دخل الجنة** »[1] .

الموقف الثاني : عند القبر :

القبر هو أول منازل الآخرة ، القبر الذي لا ينفع فيه إلا العمل الصالح ، فإما أن يكون روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، في هذه الحفرة الضيقة

(١) البزار ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٤).

الموحشة التي يدخلها الإنسان وحيدًا فريدًا ، حيث يُغلق على الإنسان الباب ، ويتركه الأهل والأحباب ، والأقارب والأصحاب ، ولا يبقى معه إلا عمله يؤنسه قال الناطق بالوحي ﷺ : « **يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله** » (١) .

ففي هذا المكان الموحش المظلم يقف الصيام بجانب الصائم عند سؤال الملكين له ، فيدافع عنه حتى يهدأ ويطمئن ويثبت عند السؤال ، كما في حديث رسول الله ﷺ : « **إن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين ، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه ، وكان الصوم عن يمينه ، وكانت الزكاة عن يساره ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه ، فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل ، ويؤتى من عن يمينه ، فيقول الصوم : ما قبلي مدخل ، ويؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ويؤتى من قبل رجليه ، فيقول فعل الخيرات : ما قبلي مدخل ، فيقال له : اقعد فيقعد فتمثل له الشمس قد دنت للغروب ، فيقال له : ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وما تشهد به ؟ فيقول : محمد ﷺ أشهد أنه عبد الله وأنه جاء بالحق من عند الله ، فيقال له : على هذا حييت ، وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله** » (٢) .

والموقف الثالث : في يوم الحسرة والندامة في يوم القيامة :

في ذلك اليوم الشديد ، في يوم الجمع الذي لا ريب فيه ، في اليوم الذي يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، وهذا كله بسبب أن لكل امرئ منهم شأنا يغنيه .

في اليوم الذي لا تملك فيه نفسٌ لنفسٍ شيئًا والأمر يومئذٍ لله ، في هذا الوقت العصيب فيحتاج العبد إلى من يقف بجانبه ، فيأتي الصيام فيتمثل في صورة حسية

---

(١) مسلم (١٦٣١) .

(٢) ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في المستدرك ، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٧٢) .

ويدافع ويشفع عند الله ﷻ كما جاء في حديث النبي ﷺ : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي ربِّ ، إني منعته الطعام والشهوات فشفعني فيه ، ويقول القرآن : رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان** » (١).

فيقبل الله شفاعة الصيام وشفاعة القرآن ، وعندها يكون الخير العظيم لهذا العبد ، وهذا الموقف من دواعي الفرح للصائمين يوم القيامة .

ألا يكون من المحرومين من لا يقرأ القرآن ويتدبر آياته ، مع أنه يصوم ويخلص في صيامه ؟

٣ـ ومن المحرومين : من لا يدرك ليلة القدر ، الليلة التي هي خير من عبادة ألف شهر ، الليلة التي من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، الليلة التي من حرمها حُرم الخير كله ، ولا يُحرم خيرها إلا محروم .

فعن أنس بن مالك ﷺ قال : دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ : « **إن هذا الشهر قد حضركم ، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرِمَها فقد حُرم الخير كله ، ولا يُحرم خيرها إلا محروم** » (٢).

فهذه ليلة يربح فيها من فهم ودرى ، ويصل إلى مراده كل من جد وسرى ، فهي ليلة العمر ، بل يهون العمر كله إلا هذه الليلة ، فمن لم يغتنمها فقد حُرم الخير كله وحقًا هذا هو المحروم .

٤ ـ ومن المحرومين : الذي يستطيع العمرة في رمضان ولم يعتمر ، ولم يحج إلى بيت الله الحرام مع استطاعته ، فالعمرة في رمضان ، قال عنها النبي ﷺ : « **عُمرة في رمضان كحجة معي** » (٣).

---

(١) أحمد في المسند والحاكم في المستدرك ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٢) .
(٢) **حسن** : ابن ماجه ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٠) .
(٣) **صحيح** : وصحيح الجامع (٤٠٩٨) .

قال المناوي : « أي : تقابلها وتماثلها في الثواب ؛ لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت ، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع »[١].

فمن فرط في ذلك ولم يغتنمه ويمر عليه رمضان ورمضان ، ولا يعتمر مع قدرته واستطاعته بل لا يعتمر في رمضان ولا في غير رمضان فهذا حرم نفسه من خير كثير ، فالعمرة تعدل حجة ومع من ؟ من الرفيق فيها ؟ مع رسول الله ﷺ .

فالمفرط في ذلك قد حرم من خيرين الأول : حرمانه من هذا الأجر المضاعف في الثواب حيث أن العمرة تعدل حجة أي : في الأجر والثواب عند الله .

الثاني : حرمان الرفقة مع رسول الله ﷺ ، فالنبي قال : « **حجة معي** » ، هل هناك حرمان أشد من ذلك .

٥ـ ومن المحرومين : الذي لم يفطِّر صائمًا ولو على تمرة أو جرعة ماءٍ محروم ، حرم نفسه من خير عظيم مع أن العمل قليل ، تمرة يعطيها لصائم أو مزقة لبن أو شربة ماء وأجرها أن ينال أجر الصائم دون أن ينقص من أجر الصائم شيء .

وهذا من الفقه في دين الله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : « **فالفقيه العامل يعمل قليلًا ويؤجر كثيرًا** »[٢].

قال رسول الله ﷺ : « **من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء** »[٣].

٦ـ ومن المحرومين : الذي يمر عليه رمضان وينقضي ولم يغفر له فيه ، ولم يكتب في ديوان الغفران ، ولم يعتق من النيران ، فهذا محروم محروم محروم أشد الحرمان ، وقد دعا جبريل على من أدرك رمضان ولم يغفر له ، وأمَّنَ النبي ﷺ على دعائه .

---

(١) فيض القدير (٤/ ٤٦١) .
(٢) البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧) .
(٣) صحيح الترمذي (٨٠٧) ، وصحيح ابن ماجه (١٤٢٨) .

قال رسول الله ﷺ : عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : صعد النبي ﷺ المنبر فقال : « **آمين ، آمين ، آمين** » . فقال ﷺ : « **أتاني جبرائيل عليه السلام فقال : يا محمد ، من أدرك أبويه فمات فدخل النار فأبعده الله ، فقل : آمين ، فقلت : آمين .**

فقال : يا محمد من أدرك رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله ، فقل : آمين ، فقلت : آمين .

فقال: يا محمد ، ومن ذكرتَ عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله ، فقل : آمين فقلت : آمين » [1].

أخي الصائم : كن أو لا تكون ، كن من الصائمين المتسحرين المخلصين ، ولا تكن محرومًا تحرم نفسك من هذا الخير والبركة ومن التوبة والمغفرة والرحمة ، فلا تحرم نفسك من دخول الجنة من باب الريان ، والمحروم الذي حرم نفسه من صلاة الله والملائكة عليه بتركه للسحور الذي كله بركة ، فكن أو لا تكون !

*****

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٩١) .

الفصل السابع

شهر رمضان شهر القرآن

إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد ﷺ المتعبد بتلاوته ، نزل في شهر رمضان ، وهذا فضل الله تعالى لهذا الشهر المبارك ، فلم يذكر شهر من الشهور في القرآن باسمه صريحًا إلا شهر رمضان .

فقال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥] .

فشهر رمضان شهر طيب اختاره الله لنزول الكتب السماوية كلها ، وليس القرآن وحده .

فعن واثلة بن الأسقع ، عن رسول الله ﷺ قال : « **أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ وَالإِنْجِيلُ لِثَلاث عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ** »[(١)] .

فالصحف التي أنزلت على إبراهيم ، والتوراة التي أنزلت على موسى ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ، والزبور الذي أنزل على داود ، كل هذه الكتب نزلت في رمضان .

والقرآن نزل في رمضان فقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان] .

---

(١) **حسن** : رواه الطبراني في الكبير ، وأحمد في مسنده ، وابن عساكر ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٩٧) .

والقرآن الكريم نزل في شهر رمضان وعلى التحديد في ليلة القدر ومر القرآن في نزوله بعدة مراحل تنزلية .

مراحل نزول القرآن :

المرحلة الأولى : نزوله من عند الله ﷻ إلى اللوح المحفوظ بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى منزل الكتاب .

قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢ ﴾ [البروج] .

وقال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣ ﴾ [الحديد] .

المرحلة الثانية : نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة في ليلة مباركة هي ليلة القدر ، وفي ذلك قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ ﴾ [الدخان:٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر:١] .

فهذه الآيات الثلاث تدل بمجموعها على أن هذا القرآن العظيم قد نزل أولًا غير منجم « مفرق » ، ثم نزل مفرقًا على أنه نوع آخر من أنواع التنزلات ، فعن سعيد بن جبير قال : نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر ، في شهر رمضان ، فجعل في سماء الدنيا .

وعن ابن عباس { قال : أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا جملة واحدة ، ثم فرق في السنين فيما بعد ، وتلا ابن عباس { : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ

ٱلنُّجُومِ ﴾ [الواقعة: ٧٥] ، قال : نزل مفرقًا [١] .

المرحلة الثالثة : نزول القرآن الكريم من بيت العزة في السماء الدنيا على قلب رسول الله ﷺ ، منجمًا في نحو ثلاث وعشرين سنة هدى للناس .. وتبيانًا لكل شيء .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء] .

تنبيه :

ومما يجب الجزم به أن يُعلمَ أن جبريل عليه السلام نزل بألفاظ القرآن المعجزة من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس ، وتلك الألفاظ هي كلام الله وحده لا دخل لجبريل ولا لرسول الله محمد ﷺ ، إنما هي من عند الله تعالى ، وليس لجبريل عليه السلام إلا الحكاية لرسول الله ﷺ [٢] .

فالقرآن الكريم روح المؤمن ، قال رسول الله ﷺ : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « **أوصيك بتقوى الله تعالى ؛ فإنها رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ؛ فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض** » [٣] .

وقال ﷺ : « **من سره أن يُحبَّ الله ورسولَهُ فلينظر في المصحف** » [٤] .

وقال ﷺ : « **من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنةٌ ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : « ألم » حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف** » [٥] .

وقال النبي ﷺ : « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرؤه ويتتعتع**

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١١٤، ١١٥) .
(٢) اللآلئ الحسان د/ موسى شاهين لاشين (ص١٣) .
(٣) **حسن** : أحمد في المسند ، وحسنه الألباني صحيح الجامع (٢٥٤٣).
(٤) **حسن** : البيهقي في شعب الإيمان ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٩) .
(٥) البخاري في تاريخه ورواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦٩) .

فيه وهو عليه شاق له أجران » [(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « **يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب ، فيقول : أنا الذي أسهرتُ ليلَك وأظمأت نَهَارَكَ** » [(٢)].

فإن شهر رمضان شهر القرآن ، وكان رسول الله ﷺ يعرض القرآن على جبريل في كل رمضان مرة ، وفي العام الذي توفي فيه عارضه مرتين ، فهو شهر العلم والذكر والقرآن .

فيا من ضيع عمره في غير طاعة .

يا من فرط في شهره بل في دهره وأضاعه .

يا من بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة .

يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان ، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة .

فهذا ـ عباد الله ـ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، وفي بقيته للعابدين مستمتع ، وهذا كتاب الله يُتلى فيه بين أظهركم ويسمع ، وهو القرآن الذي لو أُنزل على جبل لرأيته خاشعًا يتصدع ، ومع هذا فلا قلب يخشع ، ولا عينٌ تدمع ، ولا صيام يُصان عن الحرام فينفع ، ولا قيامٌ استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع ، وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع » [(٣)].

حال السلف مع القرآن في رمضان :

قال ابن رجب ~ : « كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها .

فهذا الأسود يختمُ القرآن في رمضان كل ليلتين ، وكان يختم في غير رمضان كل

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٧) .
(٢) قال الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣١٤) : « ضعيف يحتمل التحسين » .
(٣) لطائف المعارف (١٩٤، ١٩٥) .

ست ليال .

وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا جاء العشرُ ختم في كل ليلة مرة .

وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة ، وفي بقية الشهر في ثلاث .

وكان الشافعي يختم في شهر رمضان ستين ختمة ، وما منها شيء إلا في صلاة .

وهذا مجاهد ، قال عنه النووي : كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء ، وكان يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربعه الليل .

وقال عنه ابن رجب : وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان .

وهذا الزهري إذا دخل رمضان قال : إنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام .

وهذا الإمام مالك ، قال عنه ابن عبد الحكم : « كان مالك إذا دخل رمضان يفرُّ من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم » .

وهذا سفيان الثوري قال عنه عبد الرزاق : كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن [(١)].

وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث ليال على المداومة على ذلك ، وهذا القول عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ : « **لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث** » [(٢)].

فعلى القارئ أن يتأمل ما يقرأ ويتدبره عملًا بقوله تعالى : ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤] ، أي : اقرأه على تمهل فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره [(٣)].

---

(١) انظر : لطائف المعارف (١٩١) ، التبيان (١١، ١٢).
(٢) الترمذي (٢٩٤٩) ، وقال : حسن صحيح .
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤٣٤) .

وقال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه ، ولا في علم ليس فيه تفهم ، ولا في قراءة ليس فيها تدبر .

وقال ابن عباس { : « **لأن أقرأ : « إذا زلزلت » و« القارعة » ، أتدبرهما أحب إليَّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرًا** » [(١)].

وهذا زيد بن ثابت ﷺ قال : لأن أقرأ القرآن في شهر أحب إليَّ من أن أقرأه في خمس عشرة ؛ ولأن أقرأه في خمس عشرة أحب إليَّ من أن أقرأه في عشر ؛ ولأن أقرأه في عشر أحب إليَّ من أن أقره في سبع ، أقف وأدعو » [(٢)].

ولكن مع ما سبق من هذا النهي الوارد في القراءة في أقل من ثلاث ليال ، وما ذكر عن حال السلف لا تعارض فيه ، فقد قال ابن رجب ~ : « أما الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصًا في الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر ، أو الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها ، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان ، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة ، وعليه يدُل عمل غيرهم كما سبق ذكره » [(٣)].

وإذا كان هذا حال السلف مع القرآن من ناحية التدبر والتفهم ، فإننا ـ الآن ـ وللأسف نقرأ القرآن غالبًا دون وعي لما نقرؤه ، بل يشتكي القرآن إلى ربه أن هؤلاء القوم اتخذوا هذا القرآن مهجورًا .

هجر القرآن :

الهجر لغة :

مأخوذ من مادة « هـ ج ر » التي تدل على القطيعة ، ومن هذا الهجر الذي هو

---

(١) ذكره أبو طالب المكي في القوت ، وذكره الغزالي في الإتحاف شرح الإحياء للزبيدي (٤/ ٤٧٨) .
(٢) ابن أبي شيبة في المصنف ، وذكره الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٧٨).
(٣) لطائف المعارف (١٩١، ١٩٢).

ضد الوصل ، والهُجر بالضم : الكلام المهجودِ لقبحه [١].

هجر القرآن اصطلاحًا :

وهجر القرآن هو الإعراض عنه ، أو اللغو فيه ، والقول فيه بغير حق ، كالزعم بأنه سحر أو شعر ، ونحو ذلك من سيئ القول ، وترك العمل به وتلاوته أو نسيانه بعد حفظه .

وقد ذم الله هجر كتابه فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان:٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه١٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ .

[فصلت:٢٦]

مظاهر هجر القرآن :

لهجر القرآن مظاهر متعددة منها :

١ـ القول فيه بغير الحق .

وهذا صنيع الكفار الذين حكى عنهم قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ .

قال القرطبي : أي قالوا فيه غير الحق من أنه سحر أو شعر [٢] .

٢ـ الإعراض عن القرآن واللغو فيه :

وهذا في قول الله تعالى : ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ .

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٥٠).
(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٠) .

يقول الطبري : وذلك أن الله أخبر أنهم قالوا ذلك ، وذلك هجرهم إياه [١] .

٣ـ ترك تلاوته بالكلية :

أي : لا يقرأ فيه ويُتْرك ، وقال ابن عباس { : الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب [٢] .

٤ـ نسيان القرآن بعد حفظه :

وإلى هذا المعنى أشارت الآية الكريمة : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه:١٢٤ـ ١٢٦] .

٥ـ ترك العمل بالقرآن :

أي يجعل الإنسان القرآن خلفه ويهمل تلاوته والعمل بما فيه ، وهذه الصورة ظاهرة في عصرنا هذا ، فالقرآن إنما يُقرأ في المناسبات يبدأ به ويختم به ، اتخذوه للمآتم ، واتخذوه وسيلة لجمع المال ، اتخذوه كتابًا للأموات يقرأ عليهم ليُرحموا ، ولم يتخذوه للأحياء ليعملوا به ، ويجعلوه منهاج حياتهم وشريعتها .

إن القرآن الكريم لم ينزله الله عبثًا ، لم ينزله الله ليوضع داخل السيارات ، أو ليوضع على الصدور ، أو مجرد ثقافة واطلاع ، ولكن الله أنزله للعمل به ، وليكون منهج حياة .

قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩]

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٣٨٥) .
(٢) الترمذي (٢٩١٣) ، وقال : حسن صحيح ، والحاكم (١/ ٥٤٤) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح (٣/ ٢٩٠) .

وغالب هذه الأشياء ظاهرة بين المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أنواع هجر القرآن :

أحدها : هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه .

والثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه ، وإن قرأه وآمن به .

والثالث : هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه .

والرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .

والخامس : هجر الاستشفاء به في جميع الأمراض .

والسادس : الحرج منه ، أي الحرج الذي في الصدور من إنزاله ، وكونه حقًا من عند الله ، أو كونه مخلوقًا من مخلوقاته ، أو تارة يكون من جهة كفايته وعدمها ، وإنه لا يكفي العباد إلى غير ذلك .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : والذي نفسي بيده إن حق تلاوته ، أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأ كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئًا على غير تأويله [(١)].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال لابن عمر : « إنك إن بقيت سَيَقْرأ القرآن ثلاثة أصناف : فصنف لله ، وصنف للجدال ، وصنف للدنيا ، ومن طلب به أدرك » [(٢)].

مضار هجر القرآن :

١ـ إن القلوب إذا لم تعمر بالقرآن سكنتها الشياطين .

٢ـ هجر القرآن يضعف الإيمان بالله ﷻ .

٣ـ من هَجَرَ القرآن ترك تدبره والعمل به وترك الامتثال لأوامره ولم يجتنب

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (١/ ٥٦٧) .
(٢) الدارمي (٣٣٢٩) .

نواهيه وزواجره .

٤ـ الذي يقرأ القرآن ليتكسب به الأموال ، يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزعة لحم .

٥ـ من يقرأ القرآن ولا يعمل به تكن قراءته عليه لا له .

أخي ، شهر رمضان فرصة عظيمة لقراءة القرآن وتدبره والعمل بما فيه ، والاعتبار بآياته ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ .

* هذه الأيام ينبغي أن تصان ، فهي كالتاج على رأس الزمان ، ويفهم ذلك من قوله تعالى : الرحيم الرحيم : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ .

* يا واقفًا في مقام التحير ، هل أنت عازم على التغير ؟ إلى متى تستمر بالنزول في منزل الهوان ؟ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ .

* هل مضى من يومك يومٌ صالح ، سلمت فيه من جرائم القبائح ؟! تالله لقد سبق المتقي الرابح وأنت راضٍ بالخسران . ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ .

* عينك مطلقة في الحرام ولسانك منبسط في الآثام ، ولأقدامك على الذنوب إِقْدَام ، والكل مثبت في الديوان . ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ .

* تالله لو علمت حالك أو ذكرت ارتحالك ، أو تصورت أعمالك ، لبنيت بيت الأحزان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ .

* في كل لحظة تقرب من قبرك ، فانظر لنفسك في تدبير أمرك ، وما أدراك إلا كأول شهرك ، الأول والآخر سيان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ .

* سيشهد رمضان عليك بنطق لسانك ، ونظر عينيك ، وسيشار يوم الجمع إليك ، شقي فلان وسعد فلان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ .

زنوا أفعالكم في هذا الشهر بميزان ، واشتروا خلاصكم بما عز وهان ، فإن عجزتم فسلوا المعين وقد أعان ، إن كان في الماضي قد قبح الوصف فقم الآن ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (١) .

* وأخيرًا فما هو حق القرآن علينا ونحن في شهر القرآن ؟

حق القرآن علينا عظيم ؛ لأنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب رسولنا ﷺ .

فهل أُنزل القرآن ليقرأ على الأموات في القبور ؟

هل أنزل ليوضع في البراويز الفضية والذهبية ويعلق على الجدران ؟

هل أنزل القرآن ليوضع في العلب القطيفة الفخمة الضخمة التي توضع في مؤخرة السيارة ؟

هل أنزل القرآن ليحلي به النساء صدورهن في مصاحف صغيرة ؟

ما أنزل القرآن إلا لهداية الأمة .

قال تعالى : ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ .

[طه]

يعني : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى به ، أو لتشقى الأمة من بعدك به ، أو لتشقى بحدوده وأوامره ونواهيه وتكاليفه ، كلا بل أنزل الله القرآن لتقام به الأمة حياتها ، ولتسعد به البشرية في الدنيا والآخرة .

وصدق ربنا جل وعلا : ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩] .

---

(١) التبصرة (٢/ ٩٦، ٩٧) .

حقوق القرآن على الأمة :

١ـ التدبر والتفهم :

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤] .

فأول حق للقرآن قراءته بتدبر وتفهم وتعقل ، والذي يقرأ القرآن بتدبر وفهم مأجور بالأجور العظام ، فعن أم المؤمنين عائشة < قالت : قال رسول الله ﷺ : « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ـ أي الملائكة ـ والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران** » (١) .

فهذا الحديث بشرى عظيمة لمن يتلوه بصعوبة ، وهو يقرأ ، لمن ينطق بالكلمة أو الحرف كأنه يحمل حجرًا ، لأنه لا يحسن التلاوة ، ولا يجيد القراءة ، ولكن الأول وهو الماهر بالقرآن له أجر السفرة الكرام البررة ، فما معنى الماهر بالقرآن ؟

معنى الماهر بالقرآن :

الماهر بالقرآن هو : الذي يقرأ بمهارة ويحسن الأداء والتلاوة ، فهذا جزاؤه مع الكرام البررة ، ومنزلته مع الملائكة ، والسبب في هذا الترقي العظيم ، التدبر والتفهم عند قراءة القرآن الكريم .

٢ـ حق السماع لمن لا يحسن التلاوة :

فإن الاستماع للقرآن الكريم من أسباب استجلاب الرحمة من أرحم الراحمين سبحانه وتعالى : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

ولا يَسمع القرآن إلا صاحب القلب الحي الذي يصغي بأذن عقله وأذن قلبه ليسمع عن الله ﷻ ، لينتفع بآيات الله المتلوة في كتابه ، وهذه الأذن مسؤولة عما

---

(١) البخاري في صحيحه (٤٩٣٧) .

تستمع إليه إن خيرًا فخيرًا ، وإن شرًا فشر .

ولذا قال رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **كتب الله على ابن آدم نصيبه من الزنى ، فهو مدرك ذلك لا محالة ، العينان تزنيان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه** »[1] .

لذلك كان الصائمون والصائمات يحرصون على طهارة الأذن من الزنى ، فلا يملؤون آذانهم من نغمة محرمة ، أو كلمة آثمة ، إنما يستمعون القرآن حتى يمتلئ القلب إيمانًا ونورًا ، وحكمة وسكينة وأنسًا وطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد] .

ولقد مدح الله قومًا بجودة سماعهم وحسن استماعهم فقال : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ [المائدة:٨٣] .

٣ـ العمل بالقرآن :

هذا العمل هو قمة الاستجابة التي نادى بها رب العالمين على عباده المؤمنين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال:٢٤] .

استجابة كاملة عند كل أمر أو نهي ، والوقوف عند كل حد من الحدود لسان حالهم : ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة] .

إن الصحابة رضوان الله عليهم كانت لهم استجابة قوية عند سماع القرآن والعلم به والعمل بما فيه .

فمثلًا : في مسألة تحريم الخمر ، ومراحل تطوره كان الأمر الإلهي بالتحريم

---

(١) مسلم في صحيحه (٢٦٥٧) .

كلية ، فقال لهم تبارك وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة] .

فقالوا : انتهينا يا ربنا .

فلما قرأ رسول الله ﷺ الآية ، ما أكمل صحابي جرعة الخمر في يده ، قام أنس بن مالك فسكب آنية وجرار الخمر ، وسكب الصحابة الخمر في الشوارع حتى سالت في طرقات المدينة ، ولسان حالهم : « انتهينا ربنا » .

ولقد نعى الله ﷻ على الذين لم يحكموا بشرع الله ويعملوا بكتابه ، فقال تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة]

فحق القرآن علينا أن نعمل بما فيه .

٤ـ الأدب مع القرآن الكريم :

الأدب مع القرآن لأنه كلام الله ﷻ ، فينبغي على القارئ للقرآن أن يستحضر في قلبه عظمة الله ﷻ ، ويعلم أنه ما يقرؤه ليس من كلام البشر .

فمن استحضر عظمة الله في قلبه عند القراءة فإنه يترقى فكأنه يسمع القرآن من ربه ، فالقرآن فهم العقل ، ونور الحكمة ، وأحدث الكتب بربه ، فالنبي ﷺ كان إذا أمطرت السماء يتلقى المطر بثوبه ويقول : « **إنه حديث عهد بربه ، فما ظنكم بالقرآن** » .

وهذه نصيحة أهمس بها في أذن الذين يهجرون القرآن .

يا أيها الذي لا يقرأ القرآن في رمضان فمتى تقرؤه ؟

القرآن يا أمة القرآن . فاللهم اجعلنا أهلًا لفهم كتابك .

*****

الفصل الثامن

الجود وشهر رمضان

عن عبد الله بن عباس { قال : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَد مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المْرسَلَةِ » [١].

الجود لغة واصطلاحا :

الجود مأخوذ من مادة « ج و د » التي تدل على كثرة العطاء ، يقال : رجل جَوادٌ ، وقوم أجواد والجَواد « بفتح الجيم » المطر الغزير [٢].

وقال الزبيدي : الجواد هو الذي يعطي بلا مسألة ، صيانة للأخذ من ذل المسألة ، وقال :

وما الجود من يعطي إذا ما سألته ولكن من يعطي بغير سؤال [٣]

الفرق بين الجود والكرم :

قال الكفوي : الكرم يكونُ مسبوقًا باستحقاق السائل والسؤال منه .

والجُود : صفة ذاتية للجَوَاد ولا يستحق بالاستحقاق والسؤال أي : يُعطي بلا مسألة ، أما الكريم فهو الذي يعطي بعد سؤال [٤].

شرح الحديث :

كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، وكان أحسن الناس ،

---

(١) البخاري في صحيحه (١/ ٥) ، واللفظ له ، ومسلم في صحيحه (٢٣٠٨) .
(٢) لسان العرب : (ص٧٢٢) ، مقاييس اللغة (١/ ٤٩٣) .
(٣) تاج العروس للزبيدي (٤/ ٤٠٣) .
(٤) الكليات للكفوي (٣٥٣) .

ولما لا ؟ والذي أدبه ورباه ذو الجلال ، وهو ﷺ يتخلق بأخلاق الله تعالى ، فالله هو الكريم الجواد .

كما قال الله تعالى عن جلال نفسه ، فيما قال رسول الله ﷺ : « **يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ .**

يَا عِبادِي ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .

يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » (١) .

وفيه عند الترمذي وغيره : « **ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ أَفْعَلُ مَا أُرِيد عَطَائِي كَلَامٌ ، وَعَذَابِي كَلَامٌ ، إذا أردت شيئًا فإنما أَقُول لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ** » (٢) .

فإن الله جواد ماجد سبحانه ، ورسول الله ﷺ يتخلق بأخلاق الله تعالى ، ورسول الله ﷺ يحدثنا عن جوده فيقول ﷺ : عن جبير بن مطْعم ﷺ قال : بينما أنا أسيرُ مع رسول الله ﷺ ، ومعه الناس مقفلة من حنين ، فعلقت الناس يسألونه حتى

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) .

(٢) الترمذي (٢٤٩٥) ، وقال : حديث حسن ، وابن ماجه (٤٢٥٧) ، وهذا لفظه ، وأحمد (٥/ ١٤٥) .

اضطروه إلى سَمُرَةٍ فخطفت رداءه ، فوقف النبي ﷺ فقال : « **أعطوني ردائي ، لو كان عدد هذه العِضَاهِ نَعَمًا لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا** » (١) .

جُبير بن مُطْعِم الصحابي الجليل ، كان مع رسول الله ﷺ عند رجوعه من حنين ، والناس مقفلة أي : راجعة إلى مكة ، والناس يسألونه من المسألة ، فبينما هو يمشي إذ تعلق رداؤهُ في شجرة ذات شكوك فوقف النبي ، وقال لهم : أعطوني ردائي ، ثم قال : لو كان عدد هذه العضاه « شجر ذي شوك ، يعني : بعدد هذا الشجر نَعمًا لقسمتها بينكم ، وهذا من جوده ثم نفى عن نفسه البخل والكذب والجبن .

وكان جوده ﷺ بجميع أنواع الجود ، من بذل العلم والمال ، وبذل النفس لله تعالى ، وإظهار دينه ، وهداية عباده ، وإيصال النفع إليهم بكل طريق ، من إطعام جائعهم ، ووعظ جاهلهم ، وقضاء حوائجهم .

ولم يزل رسول الله ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ ، ولذا قالت له خديجة أم المؤمنين < : « .... والله لا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرحِمَ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ » (٢) .

وقد حدث النبي ﷺ أمته بالقول والفعل على الجود :

قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الأعمال أن تدخل السرور على أخيك المؤمن السرور ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطعمه خبزًا** » (٣) .

وقال ﷺ : « **أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ للناس ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله ﷻ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَينًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي المسلم فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتكِفَ فِي الْمَسْجِدِ**

(١) البخاري في صحيحه (٢٨٢١) .
(٢) البخاري (٣) .
(٣) **حسن** : البيهقي في شعب الإيمان ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٩٦) .

شَهْرًا »[١].

قال ﷺ : « **الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل الصائم النهار** »[٢].

وقال ﷺ : « **خير الناس أنفعهم للناس** »[٣].

وقال رسول الله ﷺ : « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والصدقة خفية تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم زيادة في العمر ، وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة** »[٤].

يا هذا ، اسمع إلى حديث رسول الله ﷺ : قال : « **بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحَرُّ ، فوجد بئرًا فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث ؛ يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خُفَّهُ ، ثم أمسكه بفيه حتى رقي ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له** » ، قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجرًا ؟ فقال : « **في كل ذات كبد رطبة أجر** »[٥].

أو هذا الحديث .... قال : « **بينما كلب يطيف** « يدور » **بركية** « ببئر » **كاد يقتله العطش ، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل ، فنزعت موقها** « **خفّها** » **فاستقت له ، فغفر لها** » .

فهذا كلبٌ ، فما ظنك بالصائم الطائع لربه ؟! وما ظنك بعظيم المغفرة حتى للمرأة المومس ؟!

---

(١) **حسن** : الطبراني في الكبير عن ابن عمر { ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦) .
(٢) البخاري (٥٣٥٣) ومسلم (٢٩٨٢) .
(٣) **حسن** : رواه البيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٨٩) .
(٤) **صحيح** : رواه الطبراني في الأوسط ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٦) .
(٥) **صحيح** : صحيح الجامع (٤٢٦٣) ، وصحيح الترغيب والترهيب (٩٤٦) .

عن المقداد ﷺ قال : أقبلت أنا وصاحبان لي ، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجَهْدِ « الجوع والمشقة » فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ فليس أحدٌ منهم يقبلنا ، فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهله ، فإذا ثلاثة أعنُز فقال النبي ﷺ : « **احتلبوا هذا اللبن بيننا** » ، قال المقداد : فكُنا نحتلبُ فيشرب كُلُّ إنسان منا نصيبه ، ونرفع للنبي ﷺ ، قال : فيجيءُ من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان ، قال : ثم يأتي المسجد فيصلي ثم يأتي إلى شرابه فيشرب .

فأتاني الشيطان ذات ليلة ، وقد شربتُ نصيبي فقال : « أي : الشيطان الرجيم » محمدٌ يأتي الأنصار فيتحفُونَهُ ويصيب عندهم ، ما به حاجة إلى هذه الجُرعة فأتيتها فشربتها ، فلما أن وغلت في بطني ، وعلمت أنه ليس إليها سبيل ، قال : فندمني الشيطانُ فقال : ويحك ما صنعتَ ؟ أشربت شراب مُحمدٍ ؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فَتَهلِك فتذهب دنياك وآخرتك ، وعليَّ شملةٌ إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي ، وجعلَ لا يجيئني النومُ ، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت .

قال : فجاء النبي ﷺ فسلم كما كان يسلمُ ، ثم أتى المسجد ، فصلى ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئًا ، فرفع رأسه إلى السماء ، فقلت : الآن يدعو عليَّ فأهلك ، فقال ﷺ : « **اللهم أطعم من أطعمني واسق من أسقاني** » ، قال : فعمدت إلى الشملة فشددتها عليَّ وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنُز أيها أسمن ، فأذبحها لرسول الله ﷺ فإذا هي حافلةٌ ، مملتئ ضرعها باللبن » وإذا هن حُفْلٌ كُلُّهنُ فعمدت إلى إناءٍ لآل محمد ﷺ ، ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه ، قال : فحلبت فيه حتى علته رغوةٌ ، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال : « **أشربتم شرابكم الليلة ؟** » ، قال : قلت : يا رسول الله ، اشرب فشرب ثم ناولني ، فقلت : يا رسول الله اشرب ، فشرب ثم ناولني ، فلما علمتُ أن رسول الله ﷺ قد رَوِيَ ، وأصبت دعوته ،

ضحكتُ حتى أُلقيتُ إلى الأرض « فرحًا بدعوة رسول الله » قال : فقال النبي ﷺ : « **إحدى سوآتك يا مقداد** » .

فقلت : يا رسول الله ، كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا .

فقال النبي ﷺ : « **ما هذه إلا رحمة من الله** » « يشير النبي إلى إحداث اللبن في غير حينه » ، « **أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها** » ، قال : فقلت : والذي بعثك بالحق ما أُبالي إذا أصبتها ، وأصبتُها معك من أصابها من الناس » [(١)] .

فحقًا كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وهذا في كل أحيانه ، ويزداد جوده في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن .

أسباب كثرة جوده في رمضان :

وفي تضاعف جوده في شهر رمضان أسباب كثيرة منها :

١ـ شرف الزمان « شهر رمضان » ومضاعفة أجر العامل فيه .

٢ـ و إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم .

٣ـ و الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « **من أصبح منكم اليوم صائمًا** » ، قال أبو بكر : أنا ، قال : « **من تبع منكم اليوم جنازة ؟** » ، قال أبو بكر : أنا ، قال : « **من تصدق بصدقة ؟** » ، قال أبو بكر : أنا ، قال : « **فمن عاد منكم اليوم مريضًا ؟** » ، قال أبو بكر : أنا ، قال : « **ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة** » [(٢)] .

وقال بعض السلف : الصلاة تُوصِّلُ صاحبَها إلى نصف الطريق ، والصيام يوصِّلُه إلى باب الملك ، والصدقة تأخذه بيده فتدخله على الملك .

---

(١) مسلم في صحيحه (٢٠٥٥) .
(٢) مسلم في صحيحه (١٠٢٨) .

وللقرآن صلة مع الصدقة فالقرآن الذي كان يراجعه رسول الله مع جبريل عليه السلام هو الذي حث على الكرم والجود والسخاء ، ودعا إلى التخلق بذلك ورغب فيه .

وذم الشح والبخل والكنز والإسراف والأثرة .

فمن حث القرآن الكريم على الصدقة والإنفاق بجود وكرم .

قوله تعالى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران] .

قال تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة] .

قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾ [البقرة] .

قال تعالى : ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة:١٠٣]

قال تعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة] .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨﴾ [الحديد] .

أي حافز للصدقة أوقع وأعمق من شعور المعطي بأنه يقرض الغني الحميد سبحانه وتعالى ، وأن يتعامل مع مالك الوجود ؟ وأن ما ينفقه مُخلف عليه مُضَّعف ،

وأن له بعد ذلك كله أجرًا كريمًا ؟

وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل].

ماذا ينتظر هذا الأتقى الذي يؤتي ماله تطهيرًا ، وابتغاءَ وجه ربه الأعلى ؟

إن الجزاء الذي يطالعُ القرآن به الأرواح المؤمنة هنا عجيب ومفاجئ وعلى غير المألوف ، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل] .

إنه الرضا يسكب في قلب هذا التقي ، ولسوف يرضى بدينه ، ويرضى بربه ، ويرضى بقدره ، فلا يقلق ولا يستعجل ، إن الرضا جزاءُ أكبر من كل جزاء ، جزاء لا يمنحه إلا الله ، اللهم إننا نسألك الرضا عنا يا رب العالمين ، فإن الله يحب الجود والكرم ، ويكره الشح والبخل .

وقد ظهرت الحكمة في مدارسة القرآن وأثر ذلك على ازدياد الجود ، ويزيدنا الإمام ابن حجر وضوحًا بقوله : قيل الحكمة فيه أن ازدياد الجود في رمضان أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس ، والغنى سبب الجود ، والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ، وهو أعم من الصدقة .

وأيضًا فرمضان موسم الخيرات ؛ لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره ، فكان النبي ﷺ يؤثر متابعة سنة الله في عباده ، فبمجموع ما ذكر من الوقت والمنزول به ، والنازل والمذاكرة حصل له المزيد من الجود . والعلم عند الله تعالى .

وقوله : « **فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة** » أي : المطلقة ، يعني أنه في الإسراع بالجود أسرع من الريح ، وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة ، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه [١] .

وذكر ابن مفلح قول بعض الحكماء : عجبًا للبخيل المتعجل للفقر الذي منه

---

(١) الفتح (١/ ٤٠) .

هرب، والمؤخر للسعة التي إياها طلب ، ولعله يموت بين هربه وطلبه ، فيكون عيشه في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء ، مع أنك لم تر بخيلًا إلا غيره أسعد منه بماله ؛ لأنه في الدنيا مهتم بجمعه ، وفي الآخرة آثم بمنعه ، وغيره آمن في الدنيا من همه ، وناج في الآخرة من إثمه [١] .

فوائد تعود على المنفق من الجود :

١ـ الجود دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام .

٢ـ دليل حسن الظن بالله .

٣ـ حب الناس له وقربهم منه .

٤ـ قليلٌ أعداؤه وحساده .

٥ـ حسن ثناء الناس عليه .

وصدق الإمام حسن البصري حين قال : بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود [٢] .

*****

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (٣/ ٣١٨) .
(٢) الإحياء (٣/ ٧٢٤) .

الفصل التاسع

رمضان شهر الانتصارات

عندما يذكر الانتصار في شهر رمضان ، ينصرف الذهن مباشرة إلى الانتصارات العسكرية التي حققها المسلمون على أعدائهم في هذا الشهر ، من بدر إلى فتح مكة إلى عين جالوت إلى حرب العاشر من رمضان ، وغيرها من الملاحم الإيمانية التي كتب الله فيها النصر المؤزر لعباده المؤمنين ، وهذا حق ، ولكن مجالات الانتصار في رمضان بالنسبة للمؤمن غير مقتصرة على هذا الجانب فقط ، بل إن الانتصارات التي تحققت وتتحقق على أعداء الأمة والمتآمرين عليها خلال شهر رمضان منذ بدء الرسالة إلى يوم الناس هذا ، ما كانت إلا نتيجة للأجواء الروحانية التي يصنعها رمضان بفيوضاته ورحماته وجوائزه ومآثره التي يغدقها المولى ﷻ فيه على عباده المؤمنين الصائمين ، مما يهيئ لهم أسباب النصر لينتصروا ، فإن شهر رمضان فيه انتصارات للعبد المؤمن على مستواه الفردي والجماعي في شهر الصيام كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد:٧] .

وضابط ذلك ومدى نجاحه في نجاح العبد في مجاهدة نفسه للوصول إلى تلك الانتصارات .

فالانتصارات بشتى أنواعها واختلاف مجالاتها في شهر رمضان ، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببعضها البعض ، فكلما ارتفع مؤشر هذه ارتفع منسوب تلك واقترب موعدها وتوفرت أسبابها ، وكلما حدث فشل وتقصير في هذه ، أصبحت الأخرى بعيدة المنال وهكذا ، وقد قيل : من لم ينتصر في حي على الفلاح لا ينتصر في حي على الكفاح ، كمثال على هذا الارتباط .

لذلك فإن مدرسة الصيام محطة مهمة ليجعل العبد المؤمن لنفسه فيها برنامجًا عمليًا لتحقيق الانتصارات بمفهومها الشامل ، وقد أحصيت عددًا معتبرًا من الانتصارات التي يجب على المؤمن الصائم أن يحققها وينجح في امتحانها ، ليتأكد ويطمئن أنه فعلا استطاع أن يستثمر أجواء الانتصارات الإيمانية الرمضانية وخرج منها بحظ وافر :

انتصارات المسلم في رمضان :

١ـ الانتصار على الرياء :

رمضان شهر الإخلاص بلا منازع ، وقد توفرت كل عوامل النجاح للمؤمن فيه على كل دواعي الرياء وأسبابه ، وتنمية عنصر المراقبة والتجرد لله ﷻ لديه ، فامتناع الصائم عن الطعام والشراب والشهوات المادية والمعنوية طيلة يومه ، استجابة لأمر ربه وهذا هو عين الإخلاص ، وإن تحقيق هذا النوع من الانتصار هو الأساس الذي تنبني عليه كل الانتصارات الأخرى ، فإن تربى العبد على الاستحضار الدائم لعامل المراقبة هذا ، وذلك بألايجعل الله أهون الناظرين إليه ، وأن يتجنب ما لا يرضيه من فعل أو قول أو خلق أو سلوك سرًا أو علانية ، فيكن بذلك قد تجاوز عتبة الانتصار الأول والمهم في مدرسة الصيام ، ليصحبه صحبة دائمة لازمة طيلة العام .

٢ـ الانتصار على الشيطان :

وقد هيأ المولى سبحانه وتعالى ذلك للصائم ، فصفده له ليسهل له ، وعليه هذا النوع من الانتصار ، ولكي يقوي عناصر المناعة الإيمانية لديه ، ويستحضر كل مسببات القوة اللازمة ، لينتصر في معركته مع شيطانه بشكل دائم أو غالب على الأقل ، ورمضان فرصة مواتية لتنتقم من شيطانك وتغلبه وتصرعه بسهولة ويسر ، لأنك إن فشلت في معركتك معه في شهر الصيام ، فأنت فيما سواه من الشهور أفشل ، تصور نفسك في حلبة تصارع خصما مكبل اليدين والرجلين ، وأنت حر

طليق في كامل قوتك ولياقتك وعافيتك ونشاطك ، فسيكون من العيب والقصور والحرمان ألا تنتصر عليه عند ذلك .

فاعمل جاهدًا واستغل الفرصة لتذق طعم الانتصار على الشيطان ، كي يغريك ذلك في الاستمرار في صرعه فيما سوى ذلك من الأوقات .

٣ـ الانتصار على الشهوات :

رمضان تمرين عملي للصائم على التغلب على شهواته المختلفة من شهوة البطن والفرج والنظر والسمع والكلام والقلب والنفس وغيرها ، بحيث يتحرر من أسر هذه الشهوات له ، ويتعالى على جواذبها التي تجذبه إلى مستنقعها الآسن ، ويخلص نفسه من كل دواعي الاستجابة لإغراءاتها .

والانتصار في معركة الشهوات قضية مصيرية بالنسبة للمؤمن ، لأنه إن انهزم فيها ، وفشل في مقاومتها ، وسلم العنان والخطام لها ، أدى به ذلك ـ دون شك ـ إلى الانهزام في كل معاركه الأخرى ، فالشهوات حواجز تحجز عنه موارد التوفيق ، وصوارف تصرفه عن النجاح في أمر آخرته الذي هو رأس الأمر له .

وما انتصر أسلافنا على أعدائهم إلا بعد ما انتصروا في معركة الشهوات هذه ، وما انهزموا وانكسرت شوكتهم إلا لما استسلموا لشهواتهم وانهزموا أمامها ، وما خسارتنا للأندلس السليب إلا خير دليل على ما أقول .

٤ـ الانتصار على الشح والبخل :

إن التخلص من داء الشح والبخل ، وتطهير النفس منهما ، والذي عده رسول الله ﷺ من المهلكات ، والمتسبب في كثير من الموبقات ، لما قال : « **إياكم والشح ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا** » [(١)] ، فالقضاء على البخل من مقاصد الصيام المهمة ،

(١) أبو داود (١٦٩٨) ، وأحمد (٢/ ١٥٩، ١٦٠) ، وقال أحمد شاكر : إسناده **صحيح** .

لذلك كان ﷺ أجود ما يكون في رمضان ، حتى كان كالريح المرسلة ، فليتأس المؤمن به ، ويعلنها حربا لا هوادة فيها على كل ما له علاقة بالشح والبخل ، فالفلاح الذي هو غايته ومبتغاه في الدنيا والآخرة ، لا يمكن أن يحوزه إلا إذا نجح في معركته مع الشح ، كما قال تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن] .

فالصيام مدرسة يتعود فيها العبد على السخاء ، وإطلاق اليد بالعطاء ، ويتعمق لديه فيها الشعور بمعاناة المحرومين ، ويدوس فيها على أنانيته وحبه لذاته ، لأن الروح التي يطلبها الإسلام هي الروح السخية المعطاءة التي تستلذ رفع العنت والقهر عن المحتاجين ، وتأخذ بأيديهم وتسد حاجتهم .

فتحقيق الانتصار في هذا الجانب هو ديدن العبد الصائم في شهر السخاء ، والهزيمة في المعركة مع الشح والبخل أدعى لتوالي الهزائم فيما عداها .

٥ ـ الانتصار على اللسان وآفاته :

عندما نسمع حديث المصطفى ﷺ : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه** »[(١)] .

ولا بد أن ندرك أهمية هذا النوع من الانتصار في شهر رمضان ، فمن لم يستطع أن ينتصر في معركته مع لسانه ـ خاصة وهو صائم ـ لا يمكنه أن ينتصر في معركته مع شيطانه وشهواته ، بل إن الانهزام أمام اللسان وآفاته يؤدي بصاحبه إلى الإفلاس الذي عبر عنه النبي ﷺ بقوله : « **أتدرون من المفلس ؟** » ، قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال ﷺ : « **إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ،**

---

(١) **صحيح** : رواه أحمد في المسند ، والبخاري في الصحيح ، والترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٣٩) .

وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته من قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ثم طرح في النار » [١] .

لذلك كان الصيام تدريبًا عمليًا للعبد على ممارسة عبادة : « **أمسك عليك لسانك** » ، وامتلاك القدرة على التحكم فيه وكبح جماحه ، وتوظيفه في الخير والطيب من القول ، وقد ربط القرآن الكريم بين الهداية إلى صراط الله المستقيم ، وبين الهداية إلى الكلام الطيب ، وكأنه يريد أن يؤكد لنا أنهما متلازمان ، لا يمكن أن يتحقق الثاني ، حتى يتم الالتزام بالأول ، فقال سبحانه : ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج] .

فالانتصار على اللسان وآفاته من عدمه معيار مهم يعرف من خلاله المؤمن الصائم مدى توفيقه ونجاحه في مدرسة رمضان ، وحصوله على كنوزه ومنحه ونفحاته وجوائزه التي لا تعد ولا تحصى .

٦ـ الانتصار على السلبية واللامبالاة :

الصيام ميدان رحب لتحقيق كل مظاهر الجدية والإيجابية لدى المؤمن ، من خلال مضاعفة أجر الطاعات ، وفتح أبوابها على مصراعيها ، وترغيبه فيها من طرف مولاه ، بأن صفد له الشياطين ، وأكرمه بجملة من التكريمات من رحمة ومغفرة وعتق من النار ، وفرحتين ، وباب الريان ، وخلوف فمه كريح المسك وغيرها .

فالصيام ينمي روح الإيجابية والفعالية والشعور بالمسؤولية ، فيتعلم فيه الفرد فن الانتصار على السلبية ، واللامبالاة ، وتنمية الشعور بالتبعة ، وعدم التفريط في القيام بالواجب ، ويحدث كل هذا ببركات الصيام وفضله وأجوائه ، فهي نقلات نوعية في

---

(١) **صحيح** : رواه أحمد في المسند والترمذي ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٤٧) ، ومختصر مسلم (١٨٣٦) .

الانتقال بنفسه إلى مراتب العاملين العابدين المتحركين النشطين ، فيستشعر طعم الإيجابية ويتعود ويتدرب عليها ، فيصاحبه ذلك حتى بعد رمضان ، فيتخلص إلى غير رجعة ، إن شاء الله ـــ من كل صفات القعود والانعزالية والانسحابية وانسداد شهية العمل والحركة ، فيغرس فيه الصوم كل عوامل الجدية ، ليصبح عنصرا فعالا نافعا مؤثرا صانعا للحياة من حوله .

٧ـ الانتصار على أمراض القلوب :

بما أن القلب السليم هو العملة الرابحة التي تنفع صاحبها يوم القيامة وتنقذه من عذاب الله ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ .

[الشعراء]

وبما أن القلب الأسود المظلم بأمراض الأحقاد ، والبغضاء ، والكراهية ، والحسد ، والكبر ، والاستعلاء على الناس ، وغيرها حاجز لرحمة الله حائل دون توفيقه مانع لمعيته الخاصة للعبد ، وبما أن هذه الأمراض حالقة للدين كما جاء في الحديث : « **دب إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين** »[(١)] .

فإن شهر الصيام فرصة ذهبية للتخلص منها ، والانتصار عليها ، لأن وسائل التنظيف والتطهير للقلب متوفرة بكثرة ، والمحفزات المساعدة على ذلك ميسرة إلا من أبى .

ومعركة أمراض القلوب معركة فاصلة في تحديد قيمة العبد ومقامه عند مولاه ، وما تفاضل من تفاضل من الصالحين إلا بها ، وما بشر من بشر بالجنة وهو حي إلا بها ، لذا أحرى بالعبد المؤمن ألا يتهاون في الفوز بها ، مهما كانت التضحيات ، لأن لها ما بعدها ـ كما قلنا ـ في ضمان موقعه الريادي في الدنيا والآخرة ، فسيد القوم من لا

(١) أحمد في المسند والترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٢) .

يحمل الحقد هذا في الدنيا ، فما بالك في الآخرة التي قال الله ﷻ في حق أهل جنته : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر] .

٨ـ الانتصار على اليأس والإحباط :

فمن لم يستطع أن يتجاوز روح اليأس والإحباط ، وينتصر عليها في رمضان ، فهو فيما سواه أعجز ، لأن ما يوفره الشهر من أجواء إيمانية وفرص ربانية وشفافية روحية ، تساعد المؤمن الصائم وتدفعه دفعا إلى الأمل والتفاؤل ، وتكون سندا قويا له على التعافي من كل مظاهر اليأس والإحباط ، التي تكون قد لازمته قبل رمضان .

وبما أن من صفات شهر الصيام أنه شهر الانتصارات ، فإنه يتنافى وكل عوامل اليأس والإحباط ، وما تحققت هذه الانتصارات للأمة على مدار تاريخها كله ، إلا لما تخلصت من الروح اليائسة المحبطة المستسلمة للواقع ، وتجاوزت حالتها المنكمشة المكتفة الأيدي ، المنتظرة مصيرها على أيدي أعدائها دون أن تنتفض وتنهض ، بل إنها لما كسرت طوق اليأس هذا ، ونزعت عن نفسها قيود الإحباط والذل والهوان ، انطلقت تحقق النصر تلو النصر ، وتكسب الجولة بعد الجولة ، والمؤمن كذلك على مستواه الفردي ، إذا أراد أن يحقق الانتصارات التي ذكرناها ، فما عليه إلا أن يتحرر من شرانق الإحباط ، التي حبس نفسه فيها ، ليرى أنوار الأمل المشرقة البراقة من حوله تملأ الدنيا ببركات ونفحات هذا الشهر الفضيل .

٩ـ الانتصار على سوء الخلق :

فرمضان مدرسة الأخلاق الفاضلة كذلك ، فيه يتعلم الصائم ويتدرب ويمارس كل أنواع الخلق الحسن ، التي رغب فيها الإسلام وحث عليها ، وقد يجد بعض الممارسات والأفعال من الناس لتختبر فيه مدى تمسكه بحسن الخلق ، سواء مع جيرانه أو أهل بيته أو زملائه في العمل أو معامليه في الأسواق ، لذلك كان الحديث : « **الصيام جُنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب** » ـ وفي رواية :

« **ولا يجهل ـ فإن امرؤ سابه أو قاتله فليقل : إني صائم ، مرتين** » [١] .

كدلالة على أن سوء الخلق يمحق بركات الصيام ، وأنه ـ أي الصيام ـ ما فرض إلا ليتدرب فيه الصائم عمليا على حسن الخلق ، وذلك لما له من عاقبة حميدة ، تقربه من مجلس رسول الله ﷺ يوم القيامة ، وهو والله العز والشرف ، كما أنه يثقل ميزانه عند الحساب ، وهو عين النجاة ، كما جاء في الحديث : « **إن أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا** » [٢] .

وقال أيضًا : « **ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء** » [٣] .

لذلك فإن الانتصار على السيئ من الأخلاق ، وعلى العادات السيئة كذلك التي يكون العبد قد تعودها قبل رمضان من الغايات العظمى التي ينبغي أن يجعلها المؤمن على سلم أولوياته في هذا الشهر .

١٠ـ الانتصار على التآكل والهزال الروحي :

إن هموم الحياة ومشاغلها وضغوطها ، تنحت من الجانب الروحي والإيماني للمؤمن ، فإن لم يتعهدها دائمًا بالتجديد والتزود فإنه الهلاك بعينه ، فتأتي نفحات رمضان وفيوضاته الروحية ، ليستدرك بها وفيها ما نقص من إيمانه ، وما تآكل وهزل وجف من روحه ، فيجدد التوبة والأوبة والرجوع إلى مولاه ، ويكثر من الاستغفار والتذلل والانكسار والإنابة إليه ، ويتصالح مع الصلاة والقرآن والأذكار ، ويكثر من الصدقة والإنفاق في سبيل الله ، فما يمر عليه الشهر إلا وهو

---

(١) **صحيح** : رواه أحمد في المسند ، والبخاري في الصحيح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٧٧) .

(٢) **حسن** : رواه ابن عساكر ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩٢) .

(٣) **صحيح** : رواه أحمد في المسند ، وأبو داود في السنن ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧٦) ، وفي صحيح الجامع (٥٧٢١) .

ممتلئ روحيًا يقظ إيمانيًا ، ويجد نفسه وقد ردت إليه روحه التي كاد أن يفقدها في زحمة المغريات والشهوات والجواذب والصوارف ، وتخلص من تآكلها وهزالها وجفافها ، بعد أن كانت قاحطة جدباء ، وأنها قد أشرقت بنور ربها ، بعد أن أظلمت وادلهمت بكثرة الذنوب والمعاصي والآثام والتقصير في جنب الله ﷻ ، فيخرج من محطة الصيام وهو أقوى إيمانًا ، وأرق فؤادًا ، وأنور قلبًا ، وأهنأ بالًا ، وأكثر اطمئنانًا وأشف روحًا ، وأشد عزمًا ، وأصلب عودًا ، وأوفر سكينة ، وأعظم زادًا ، فما عليه إلا أن يواصل الترقي الروحي ، ويحافظ على كل ذلك لينتفع بها بعد رمضان .

فالحذر كل الحذر أن يخرج عليك رمضان ــ أخي المؤمن ــ وأنت لا تراوح مكانك روحيًا ، فلا أنت تخلصت من جفافها وتآكلها ، ولا أنت استطعت أن تتفوق في عمليتي التخلية والتحلية ، فإن كان ـ وهو ما لا نتمناه لك ـ فأعلم بأنك قد انهزمت في معركة الروح ، وأنك حرمت بركات الشهر وفضائله .

فهذه عشارية من الانتصارات ينبغي على العبد المؤمن الصائم أن يحققها ، وأن تكون برنامجه العملي في رمضان ، حتى يحكم له بأنه قد كتب في عداد الفائزين والناجحين والحاصلين على الجوائز ، وأنه قد قدم الدلائل العملية البينة والقوية للقبول في مدرسة الثلاثين يوما ، ووضع لبنة صالحة لتقريب موعد النصر وزيادة فرصه للأمة لتحقيق السيادة لدينها ، وبألا يكون حجر عثرة في طريق تحقيق ذلك بتكاسله وهزائمه المتكررة أمام شيطانه وشهواته ونفسه وهواه ولسانه .

جعلنا الله وإياكم من المنتصرين ومن المقبولين .

*****

من انتصارات الأمة في رمضان

غزوة بدر الكبرى : (١٧ من رمضان من السنة الثانية من الهجرة النبوية)

قبل أن نتحدث عن هذه الغزوة وعن أسبابها ونتائجها ، نسأل سؤالًا : لماذا وصفت هذه الغزوة بغزوة بدر الكبرى دون سائر الغزوات ؟ فمثلًا لم تسم غزوة أحد بغزوة أحد الكبرى أو الخندق الكبرى ؟

لقد وصفت بذلك ـ في الحقيقة ـ لتميزها عن غزوتين أخريين بنفس الاسم ، وكانتا أقل شأنًا وهما : غزوة بدر الأولى ، وغزوة بدر الثالثة .

غزوة بدر الأولى :

سببها أن رجلًا اسمه جابر الفهري أغار على سرح « يعني مرعى » في المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه فلم يدركه ، حتى بلغ واديًا يقال له : صفوان من ناحية بدر ، وكانت هذه الغزوة في جمادى الآخرة سنة ٢هـ .

غزوة بدر الثالثة :

سببها أن أبا سفيان بن حرب لما توقف القتال في غزوة أحد بين المسلمين والمشركين في شوال « سنة ٣هـ » صاح قائلًا : يوم بيوم والحرب بيننا سجال ، وموعدنا بدر من العام القابل ، فأمر النبي ﷺ من رد عليه بقول رسول الله : « **هو بيننا موعد** » .

وخرج النبي في شوال من السنة الرابعة من الهجرة عند « بدر » ولكن أبا سفيان والمشركين لم يأتوا إلى بدر[1] .

من هنا كان السبب في تسمية غزوة بدر بالكبرى .

وهذه الغزوة كانت في يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان للسنة الثانية من

---

(١) خاتم النبيين ، للإمام محمد أبي زهرة .

الهجرة النبوية .

وكانت هذه الغزوة بين قوى الشرك المتمثلة في قريش بقيادة أبي جهل ، وقوى الحق المتمثلة بقيادة رسول الله ﷺ .

سبب هذه الغزوة :

هذه الغزوة لم يتخذها المسلمون للقتال لأن نيتهم لم تكن للقتال ، فإن الغزوة السابقة غزوة العشيرة التي لم يلحقوا فيها العير ، ولكن فرت العير إلى الشام فكانوا في انتظار عودتها من الشام ، وحقًا بعث النبي عينًا له وهو « بُسيسة » هذا الرجل الأنصاري ، ويقال : بسبس بن عمرو ، وهو من الخزرج وهذا قوله كما رواه الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسَةَ عينًا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ فحدثه الحديث ، فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال : « **إن لنا طَلبةً فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا** » ، فجعل رجال يستأذنونه في ظهرهم في علو المدينة فقال : « **لا إلا من كان ظهرُهُ حاضرًا** » [(١)] .

فخرج النبي في بضعة عشر وثلاثمائة من أصحابه ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرس للمقداد بن الأسود ، وفرس للزبير بن العوام ، وكان معهم سبعون بعيرًا ، يتعقب الرجلان على البعير الواحد حتى رسول الله كان له زميلان يتعاقبان معه بعيرًا .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا يوم بدر كُلُّ ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلي بن أبى طالب زميلي رسول الله ﷺ ، وكانت عقبة رسول الله ﷺ « أي جاء دوره ليمشي » فقال أبو لبابة وعلي بن أبي طالب : يا رسول الله ، نحن نمشي عنك ـ

(١) مسلم (٣/ ١٩٠١) .

ليظل راكبًا ـ فقال : « **ما أنتما بأقوى على المشي مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما** »[(١)].

فهذا هو رسول الله ﷺ القدوة والأسوة الحسنة .

فماذا كان رد أبو سفيان ومن معه لما حدث ؟

لما علم أبو سفيان بخروج النبي ﷺ ليتعرض العير ويستولي على القافلة ، فبعث أبو سفيان رجلًا يخبر قريشًا بما قصده محمد ﷺ ، وهذا الرجل اسمه « ضمضم بن عمرة الغفاري » بعشرين مثقالًا من الذهب على أن يأتي مكة ، ويخبر قريشًا بما خرج له محمد ﷺ ، يا ترى ماذا فعل ؟

دخل مكة راكبًا بعيره وقد جَدَعَ أنفه وأذنه ، وشق قميصه ، وجعل ظهره للوراء ، وأخذ يصرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، اللَّطيمة اللَّطيمة ، أي أدركوا اللَّطيمة وهي : « العير التي تحمل الطيب » أموالكم قد خرج محمد يعترضها ما أرى أن تدركوها ، ولئن أصاب محمدٌ أموالكم هذه المرة لن تفلحوا أبدًا ، الغوث !! الغوث !!

وخرج أشراف مكة ليخلصوا تجارتهم من محمد وأصحابه ، فخرجوا نحوًا من الألف ، معهم مائة فرس ، مع كل فارس درعه ، ومعهم المغنيات يضربن بالدف ويغنين بهجاء المسلمين .

فتذاكروا ما بينهم وبين كنانة ، فكأنهم قعدوا عن الخروج ، فجاءهم الشيطان في صورة سراقة بن مالك ، رجل من أشراف بني كنانة ، وقال لهم : إني جار لكم إن تأتيكم كنانة من خلفكم ، فسروا بذلك الجوار ، وخرجوا ، فلما قدموا إلى أبي سفيان أنبئهم أن العير قد نجت ولا داعي للقتال ، ولكن ما كان من أبي جهل إلا أن أصرَّ على الخروج والوصول إلى بدر ، قائلًا : والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر فتقيم فيها ثلاثًا ، وننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، حتى تسمع بنا العرب

(١) أحمد في المسند بإسناد صحيح (٣٩٠١) .

وبمسيرنا فلا يزالون يخافوننا ، ويهابوننا بعد ذلك اليوم .

فقام الأخنس بن شريق ، وقال : يا بني زهرة ! لقد نجى الله عيركم وأموالكم ارجعوا ، فرجع الأخنس بن شريق في مائة من بني زهرة .

وحاول بنو هاشم الرجوع ، فشدد عليهم أبو جهل فلم يخرجوا ، حتى انتهوا إلى بدر ، فأتى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، فأشار النبي أصحابه .

مشورة النبي لأصحابه :

استشار النبي ﷺ أصحابه في لقاء العدو فقال بعضهم : ما خرجنا إلا للعير ، وما أردنا النفير ، ولم نستعد له ، فكره رسول الله قوله .

ثم قال : « **أشيروا عليَّ أيها الناس : فتكلم أبو بكر وأحسن ، فأعرض عنه النبي وتكلم عمر فتكلم وأحسن ، ثم أعرض عنه** » .

رأي الأنصار :

فقام سعد بن عبادة فقال : إيانا تريد يا رسول الله « الأنصار » وقال : لقد أمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

رأي المهاجرين :

وقال كذلك المقداد بن الأسود :

قال لرسول الله : يا رسول الله ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا هنا قاعدون ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن

شمالك ، ومن بين يديك ومن خلفك »[١] .

قال عبد الله بن مسعود : فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وَسَرَّهُ ما سمع من المقداد ، ثم قال رسول الله : « **سيروا على بركة الله** » .

تجهيز الغزوة :

أرسل النبي ﷺ عيونه « الجواسيس » يأتونه بأخبار القوم ، فانطلق علي والزبير في بعض أصحاب النبي ﷺ ، حتى نزلوا على ماء بدر ، فعثروا على راوية لقريش « الراوية هي : الإبل التي يُسقى عليها الماء ، فيها غلامان فأتوا بهما » ، والنبي قائم يصلي فسألوهما ، والنبي ﷺ يسمع وهو يصلي ، لمن أنتما ؟ فقالا : نحن سقاة قريش ، أرسلونا نسقي لهم ، فساء الصحابة أن يكونا لقريش ، وتمنيا أن يكونا لأبي سفيان ، لأنهم يريدان العير ولا يريدان القتال ، فضربوهما لما قالا : نحن سقاة قريش ، فلما أوجعوهما ضربًا قالا : نحن لأبي سفيان فتركوهما ، فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة ، قال : « **إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتوهما ، والله إنهما لقريش** » ، ثم استدعاهما النبي ﷺ فقال لهما : « **أين القوم ؟** » ، فقالا : هما والله وراء هذا الكثيب بالعدوة القصوى .

قال ﷺ : « **كم عددهم ؟** » .

قالا : ما ندري ، قال ﷺ : « **كم يذبحون كل يوم ؟** » ، قالا : يذبحون يومًا تسعًا ويومًا عشرًا ، فقال النبي ﷺ : « **القوم ما بين التسعمائة والألف** » .

ثم قال ﷺ : « **من فيهم من أشراف قريش ؟** » ، فقالا : فيهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، وسميا رجالًا ، فقال النبي لأصحابه : « **هذه قريش قد ألقت إليكم بأفلاذ كبدها** » ، ثم دعا لأصحابه : « **اللهم**

---

(١) رواه البخاري (٣٩٥٢) .

إنهم حفاة فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم إنهم جياع فأشبعهم » ، ثم جعل يبشر أصحابه ليبث فيهم روح الثقة ، هذا مصرع فلان غدًا ، وهذا مصرع فلان غدًا ، وهذا مصرع فلان غدًا ، فوالله ما أخطأ أحدٌ سمّى رسول الله ﷺ مصرعه أبدًا .

العون الإلهي لرسول الله ومن معه من الصحابة :

استغاث النبي ﷺ بربه ﷻ وهو في العريش الذي اقترحه له سعد بن معاذ ﷺ قائلًا : « **اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تعبد في الأرض** » ، فكانت النتيجة :

١ـ تثبيت الله لرسوله :

أغفى النبي ﷺ إغفاءه فأوحى الله إلى الملائكة : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢] ، فأفاق النبي ﷺ من إغفاءته هذه مبتسمًا وهو يقول : « **يا أبا بكر ، أبشر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه عليه آلة الحرب** » .

فأنزل الله جنودًا من الملائكة متتابعين ، يتبع بعضهم بعضًا استجابة لاستغاثة النبي ﷺ .

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال] .

ويتضح ذلك من قصة أسر العباس بن عبد المطلب .

جيء بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا جاء به رجل من الأنصار قصير ، يقول : يا رسول الله أسرت هذا ، فقال العباس : يا رسول الله ، ما أسرني هذا ، ولكن أسرني

رجل أبلح ، على فرس أبلق ، وجهه كأحسن وجوه الناس ، لا أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا يا رسول الله الذي أسرته ، فقال : « **اسكت ، لقد أعانك الله عليه بملك كريم** »[(١)]، حقًا وما يعلم جنود ربك إلا هو .

٢ـ النعاس والنوم :

لقد من الله تعالى على المؤمنين بالنوم والنعاس قبل القتال ، وبعد السهر والضنى والسفر الطويل ، فناموا واستراحت أجسامهم ، واطمأنت نفوسهم فقاموا من نومهم ، وكأنهم خلق جديد بنفسية جديدة مستقرة هادئة ، فقال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال:١١] .

٣ـ إنزال المطر :

لقد شح الماء على المؤمنين ، وهم بحاجة إليه ليشربوا ويتوضؤوا حتى يؤدوا الصلاة المفروضة ، وازدادت حاجتهم إليه حين استيقظ بعضهم من نومه جنبًا ، فأراد أن يتطهر فلم يجد ماءً ، فوسوس الشيطان إلى بعضهم : كيف تصلون مجنبين دون أن تغتسلوا ؟

ولكن الله سبحانه وتعالى أكرم عباده المؤمنين المجاهدين فأنزل الماء عليهم ، فتوضؤوا واغتسلوا وشربوا : ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال:١١] .

تأمل كيف قدر الجار والمجرور على المفعول به في قوله : ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ للاهتمام بالمقدم « عليكم » اختصاص لأنه سيكون في حق الآخرين نقمة ، وليس نعمة ، ففي جانب المشركين أوحلت الأرض من تحت أقدامهم ، وفي جانب المؤمنين نعمة ثبّت به الأقدام ، فكان هذا المطر جندًا من جند الله .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند بسند صحيح (٢/ ٩٤٨) .

٤ـ إلقاء الرعب في قلوب المشركين :

والذي يلقي هذا الرعب في قلوب المشركين هو من بيده القلوب جل شأنه فبعد أن أوصى الله ﷻ الملائكة أن يثبتوا أهل الإيمان ومقابل هذا الثبات سيملأ قلوب الأعداء خوفًا وذلة وصَغارًا ، فما عليكم أيها المؤمنون ، إلا الأخذ بالأسباب والنتيجة على المسبب جل وعلا ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان .

قال تعالى : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال:١٢] .

إن هذه الرؤوس العفنة ، والأدمغة الفارغة من الخير ، التي كانت تتفنن في كل شر وإيذاء ، إن هذه الرؤوس قد جاء الوقت لقطعها من فوق الأجساد .

٥ـ رميه المشركين بالحصباء :

لقد أوحى الله ﷻ إلى رسول الله ﷺ أن يأخذ قبضة من الحصباء ، ثم يرمي بها المشركين ، فاستقبل ﷺ قريشًا ورماها قائلًا : « **شاهت الوجوه** » ، فأوصل الله تعالى ذرات الرمل إلى أعين المقاتلين المشركين ، ومناخرهم وأفواههم ، فامتلأت ترابًا ، فانشغل كل واحد منهم بما حدث له عن القتال .

نعم كانت الرمية من الرسول ﷺ ، وكان إيصال الحصا إلى أعين المشركين بقدرة الله تعالى : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنفال] .

يالها من نعمة جليلة ، بها يسر الله على المسلمين مقاتلة المشركين وقتلهم والنصر عليهم .

وختم الله تعالى بهذا الأمر الإلهي : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنفال] ، لا وزن لهذا الكيد ، ولا قيمة لهذا المكر ، مع قدرة الله تبارك وتعالى وجبروته

وعلمه وحكمته .

وقد قال تعالى في آيات سورة الأنفال : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال] .

ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة : أنا أبا جهل وغيره من قادة قريش حين أرادوا السير لقتال المسلمين تعلقوا بأستار الكعبة ، وقالوا : « اللهم أينا كان أفجر ، وأقطع للرحم فأحنه « فأهلكه » الغداة » ، فنزلت الآية [(١)] .

بداية وقود المعركة :

كانت هذه البداية مع هؤلاء الثلاثة الذين قدموا إلى رسول الله ﷺ يدعون إلى المبارزة وهم من عائلة مشركة واحدة ، عتبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة ، وأخوه شيبة بن ربيعة .

فنادى عتبة في صفوف المسلمين : من يبارز ؟ فانتدب له شباب من الأنصار ، فقال عتبة : من أنتم ؟ فأخبروه ، أي من الأنصار ، فقال : لا حاجة لنا فيكم ، إنما أردنا بني عمنا ، فقال النبي ﷺ : « **قم يا حمزة ، قم يا علي ، قم يا عبيدة بن الحارث** » .

فقام حمزة إلى عتبة ، فقتل حمزة عتبة .

وقام علي إلى شيبة ، فقتل عليٌّ شيبة .

وقام عبيدة بن الحارث إلى الوليد ، فقتله عبيدة بمعاونة حمزة وعلي [(٢)] .

فكانت هذه هي البداية .

---

(١) تفسير البيضاوي (٢٣٧/ ١) .
(٢) **صحيح** ، صحيح أبي داود (٢٣٢١) .

اشتداد المعركة :

ورسول الله ﷺ يبعث في قلوب أصحابه الحمية والقتال ، فقال لهم : « **قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض** » ، فقال عمير بن الحمام : يا رسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : « **نعم** » ، فقال : بخ بخ ، فقال رسول الله ﷺ : « **ما حملك على قولك : بخ بخ ؟** » ، قال : رجاء أن أكون من أهلها ، فقال : « **فأنت من أهلها** » ، فأخرج عمير تمرات ليأكلها فجعل يأكلها ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة ، ثم رمى بالتمرات وأقبل على القوم وقُتل رضي الله عنه [(١)].

وقاتل المسلمون وانتصروا عليهم بعون الله ومعيته وحفظه ، كما وضح لنا آنفًا من العون الإلهي لرسول الله ومن معه من الصحابة .

ولما رأى « الشيطان ـ الذي كان في صورة سراقة بن مالك ـ الملائكة تنزلت من السماء ولى مدبرًا ، وحاول بعضهم الإمساك به وهو يقول : إلى أين يا سراقة ؟ أين ما وعدتنا ؟ والشيطان يقول : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ ﴾ [الأنفال:٤٨] .

وعبثًا حاول أبو جهل أن يكف بأس الذين آمنوا ، فتقدم قومه ، وهو يصرخ : واللات والعُزى ، لا نرجع حتى نفرقهم في الجبال ، خذوهم أخذًا ، فما زال كذلك حتى قتله غلامان من أصغر القوم سنًا ، وهما : معاذ ابن عفراء ، ومعاذ بن عمرو ابن الجموح .

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : رأيتني في يوم بدر في الصف بين فتيين حديثة أسنانهما ، تمنيت لو كنت بين أكبر منهما ، قال : فغمزني الذي عن يميني ، وقال : يا عماه ، أين أبو جهل ؟ فقلت : يا بن أخي ، ومالك ولأبي جهل ؟ قال : يا عماه ، لقد أخبرت أنه كان يسبُّ رسول الله ، لئن لقيته لا يفارق سوادي سواده

---

(١) مسلم (١٩٠١) .

حتى يموت الأعجل منا ، قال : ثم غمزني الذي عن يساري وأسرَّ إليَّ بمثلها ، فلم أنشب « لم أثبت » أن رأيت أبا جهل يجول حول الناس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه ، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، وكان الغلامان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ ابن عفراء [١] .

من روائع الإيمان في غزوة بدر :

تجلت هذه المعركة بمناظر رائعة ، وبرزت فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ ، ففي هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء ، والأخوة بالأخوة .

كان عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف صديقين واقتتلا .

وقتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن المغيرة .

وانقطع سيف عُكاشة بن محصن فأعطاه النبي جذلًا من حطب ، فقال : قاتل بهذا يا عكاشة ، فأخذه من رسول الله ﷺ وهزه فإذا هو سيف طويل القامة ، وكان هذا السيف يسمى : « العون » .

وكذلك : بعد أن انتهت المعركة مر مصعب بن عمير بأخيه أبي عزيز الذي خاض المعركة ضد المسلمين ، فمر به واحد من الأنصار يشد يده ، فقال مصعب للأنصاري : شد يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ؟ فقال أبو عزيز بن عمير : أهذه وصيتك بي ؟ فقال : إنه « أي الأنصاري » أخي دونك .

وكذلك رأى أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة رأى أباه عتبة بن ربيعة ، وهو يُجرُّ إلى القليب ، فنظر النبي إلى وجه حذيفة فوجده قد تغير ، فقال له رسول الله : « **يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك في شأن أبيك شيء ؟** » ، فقال لرسول الله : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في مصرع أبي ، ولكنني كنت أعرف منه رأيًا وحلمًا وفضلًا ، فكنت أرجو أن يهديه الله للإسلام ، فدعا له النبي بالخير .

---

(١) **متفق عليه** : البخاري (٣١٤١) ، ومسلم (١٧٥٢) .

وهكذا انتهت المعركة بالنتيجة الآتية :

انتهت المعركة بهزيمة ساحقة بالنسبة للمشركين ، وبفتح مبين للمسلمين .

قتلى المسلمين :

استشهد أربعة عشر رجلًا ، ستةٌ من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

قتلى المشركين :

قتل منهم سبعون قتيلًا عامتهم القادة .

الأسرى :

وأسر منهم سبعون أيضًا .

ولما انقضت الحرب وانتهت أقبل النبي على القتلى فقال لهم : « **بئس العشيرة أنتم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وخذلتموني ونصرني الناس ، وأخرجتموني وأواني الناس** » ، ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب بدر ، وقال لهم النبي : « **يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا ؟** » .

قال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي قومًا قد جيفُوا ؟

قال : « **ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني** » .

وذهبت البشرى إلى المدينة :

أرسل رسول الله مبشرين إلى المدينة بالنصر المؤزر الذي أيدهم الله به ، وكانت المدينة في هذه الفترة في حالة حزن لوفاة رقية بنت رسول الله ﷺ ، وقد كان معها زوجها عثمان بن عفان ﷺ يمرضها حتى ماتت ، ولم يحضر الغزوة لهذا العذر الشديد .

قضية الأسارى :

عن عبد الله بن عباس { قال : لما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « ما **ترون في هؤلاء الأسارى ؟** » ، فقال أبو بكر : أرى أن نأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار ، ولعل الله أن يهديهم إلى الإسلام ، فقال رسول الله : « **ما ترى يا بن الخطاب ؟** » .

قال : والله يا رسول الله ما أرى رأي أبي بكر ، ولكن أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكني من فلان « نسيب لعمر » فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله ما قال أبو بكر ولم يهو ما قال عمر .

وهناك رأي ثالث لعبد الله بن رواحة : فقد قال لرسول الله ﷺ : أنت في وادٍ كثير الحطب ، فأضرم الوادي عليهم نارًا ، ثم ألقهم فيه [(١)] .

وإنما عاتب الله نبيه والمؤمنين على قبول الفداء وإطلاق سراح الأسرى ؛ لأن هؤلاء الأسرى لم يكونوا مجرد محاربين ، وإنما كانوا ـ كما يقال بلغة العصر : مجرمي حرب .

حكم النبي ﷺ في أسرى بدر :

وبعد أن استمع النبي ﷺ إلى ما قاله أبو بكر وعمر وعبد الله بن رواحة ﷺ جميعًا .

ورأى أن أكثر الناس يميلون إلى رأي أبي بكر ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « **إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وأن مثلك يا أبا بكر مثل : إبراهيم عليه السلام حين قال :** ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، **وكمثل عيسى :** ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٦) .

فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة] ، **وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال** : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [نوح] ، **وكمثل موسى قال** : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ » .

[يونس:٨٨]

ثم قال النبي ﷺ : « **أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو بضربة عنق** » [(١)] .

فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ ، وأبو بكر كانا قاعدين يبكيان .

فقلت : يا رسول الله ، نبئني ما الذي يبكيكما ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيت معكما ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟

فقال رسول الله : « **أبكي لما عُرض عليَّ من أخذهم الفداء ، لقد عُرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة** » ، لشجرة قريبة من رسول الله ﷺ ، ثم عفا عنهم ، وأنزل العفو مع العتاب مقترنًا .

فقال سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾[(٢)] .

[الأنفال]

منزلة أهل بدر عند الله :

قد أعلن الله تعالى مغفرته لأهل بدر كما ختم الآية الكريمة : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنفال] .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٥٩) .
(٢) مسلم (١٧٦٣) .

بعد هذا كله كان نصر الله لأهل بدر نصرًا عظيمًا ، وكان اليوم نفسه يوم الفرقان ؛ لأنه فرق فيه بين الحق والباطل ، وسمعت العرب واليهود فهابوا النبي ﷺ وأصحابه .

وإنا نتوسل إلى الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى يومًا كيوم بدر ، يفرق فيه بين الحق والباطل ، قريبًا وأهله ، ويخذل فيه الشرك وأهله ، وأن يظهر الله المسلمين في فلسطين على الصهاينة أبناء القردة والخنازير ، وعسى أن يكون قريبًا .

*****

غزوة فتح مكة (١٠ من رمضان سنة ٨هـ)

سبب الغزوة :

كان رسول الله ﷺ قد صالح قريشًا عام ٦ هـ بصلح الحديبية ، وأعطاهم فيه كل ما سألوه مما يعظم حرمات الله تعالى .

وكان من شروط الصلح توقف الحرب عَشْرَ سنين ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد محمد دخل فيه ، فدخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش ، وتفرغ النبي بعد هذا الصلح لمهام الدعوة ، وظل النبي ﷺ وفيًا لقريش بعهدها ، ملتزمًا بكل شروط الصلح ، حتى إذا كانت السنة الثامنة من الهجرة ، اعَتدَت بنو بكر حليفة قريش على خزاعة حليفة رسول الله ﷺ ، وقتلت منهم رجالًا ، وعاونتهم قريش على هذا القتال ، فعزم النبي على غزو قريش ودخول مكة ، وتجهز لذلك ، وأمر أصحابه فتجهزوا .

إذًا السبب في غزو مكة هو نقض العهد من قريش .

التجهيز للغزوة :

بدأ النبي يجهز للغزو في خفاء إلا أن أحد الصحابة وهو حاطب بن أبي بلتعة كتب كتابًا إلى قريش يخبرهم فيه بخبر غزو النبي لهم .

إلا أن الوحي من السماء كان أسبق من الكتاب إلى قريش فماذا فعل رسول الله ﷺ ؟

عن علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد ، فقال النبي ﷺ : « **انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ** » مكان بين مكة والمدينة وهو من المدينة أقرب ـ **فإن**

بها ظعينة معها كتاب من حاطب فأتوني به » .

قال علي : فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا روضة خاخ فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، قالت : ما معي من كتاب ، فقلنا : لتخرج الكتاب أو لنلقينَّ الثياب ، فأخرجته من عقاصها « شعرها » فأتينا به رسول الله ﷺ .

فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى نفر من قريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **ما هذا يا حاطب ؟** » ، فقال : يا رسول الله ، لا تعجل عليَّ ما فعلته كفرًا بعد إسلام ، ولا ردة عن الدين بعد إذ هداني الله إليه ولكن السبب : أني كنت امرأ ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسهم ، وما من أحد من أصحابك إلا له أهل في قريش يحمون ماله وأهله ، فأردت إن فاتني ذلك من النسب أن أتخذ بهذا الكتاب عندهم يدًا يحمون بها مالي وأهلي ، فقال رسول الله ﷺ : « **قد صدقكم** » ، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله دعني أضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : « **يا عمر ، أوليس قد شهد بدرًا ؟ وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم** » ، فأنزل الله تعالى في حاطب بن أبي بلتعة وكتابه الذي بعث إلى قريش سورة الممتحنة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١] [(١)] .

الخروج للغزوة :

عمَّى الله تبارك وتعالى عن قريش خبر خروج رسوله ﷺ إليهم ، فخرج النبي في العاشر من رمضان من السنة الثامنة من الهجرة ، ومعه عشرة آلاف مقاتل .

وخرج النبي صائمًا وصام الجيش معه ، حتى كان النبي بالكديد ، أفطر النبي وأظهر فطره أمام الجيش ليروه ليقتدوا به فيفطروا ، فلما رأوه أفطر فطروا [(٢)] .

---

(١) البخاري (٤٢٧٤) .
(٢) البخاري (٤٢٧٦) .

فالنبي أخذ برخصة المسافر وهي الإفطار وقصر الصلاة .

وكان العباس عم النبي في مكة ، وكان مسلمًا وقد عزم على الخروج من مكة واللحوق بالمدينة ، فخرج ، ولم يعلم بقدوم رسول الله فلقيه في الطريق ولزمه .

ما هو رد فعل قريش حين علموا بخروج رسول الله إليهم ؟

أرسلت قريش كلًا من : أبى سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيْل ابن ورقاء يتحسسون الأخبار .

والنبي ﷺ لما مر بمرّ الظهران « مكان قبل مكة » نزل ، به والجيش ، وأمرهم أن يوقدوا نارًا ، فأوقد عشرة آلاف نار ، فصارت الصحراء كلها منيرة ، فلما مر ركب قريش بمر الظهران ورأوا النار ، قال أبو سفيان : كأنها نيران عرفة ، وذلك لأن الناس قديمًا كانوا إذا نزلوا بعرفة ، أوقدوا نارًا يستضيئون بها ويستدفئون ، وبينما هم يتحدثون إذ مر عليهم عُيونُ رسول الله ﷺ ، التي كان قد أرسلها فأخذتهم ، وكان دور العباس عم رسول الله لما رأى ذلك قال : لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن تستأمنه قريش لقد هلكت قريش ، فركب العباسُ بغلة رسول الله ﷺ ، وبينما يسير العباس يبحث عن رسولٍ يرسله لأهل مكة أن يخرجوا فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم .

فسمع صوت أبي سفيان وبُديل ابن ورقاء يتحدثان .

فقال العباس : أبا سفيان قال : فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل « كنية العباس » فقال : قلت : نعم .

فقال العباس : رسول الله والناس ، قال أبو سفيان : ويحك فما الحيلة ؟

قال العباس لأبي سفيان : اركب ورائي فركب وراءه .

فأتى به إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، فقال العباس عم رسول الله : إن أبا سفيان

رجلٌ يحب الفخر ، فاجعل له منه شيئًا .

فقال النبي ﷺ : « **نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن** » (١) .

فأراد أبو سفيان أن ينصرف فيخبر قريشًا ، فقال النبي للعباس : « **يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ، حتى تمر به جنود الله فيراها** » (٢) .

ففعل العباس ما أمره به رسول الله ﷺ ، فأخذ أبا سفيان ومرت عليه القبائل التي خرجت للقتال قبيلة قبيلة ، حتى خرجت كتيبة خضراء ، فقال أبو سفيان للعباس : من هؤلاء ، قال : رسول الله ومعه المهاجرون والأنصار .

فقال أبو سفيان مقرًا بقوله هذا : يا أبا الفضل « كنية العباس » لقد أصبح مُلك ابن أخيك عظيمًا ، فقال العباس لأبي سفيان : ليس الملك ولكنها النبوة .

ماذا قال أبو سفيان لقومه وبما ردوا عليه ؟

صرخ فيهم : يا معشر قريش ، إن محمدًا قد جاءكم ، بما لا قبل لكم به اليوم ولا طاقة ، فأقبلت إليه هند بنت عتبة امرأته تأخذ بشاربه ، وتقول : اقتلوا الأحمق قبحك الله من طليعة قوم ، فقال : يا معشر قريش ، لا تغرنكم هذه بقولها ، بادروا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقالوا له : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟

قال : ومن أغلق عليه داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى المسجد ، وأغلق بعضهم عليه داره (٣) .

دخول النبي ﷺ مكة بجيشه :

ودخل النبي مكة بجيشه الجرار ، وقد جعل على الميمنة « الزبير » وعلى الميسرة

---

(١) **حسن صحيح** : سنن أبي داود (٢٦١١) .
(٢) البخاري (٤٢٨٠) .
(٣) البداية والنهاية (٢٩٠/ ٤) .

« خالد بن الوليد » .

وجعل على الرجالة « الذين لا يركبون الخيل » جعل عليهم « أبا عبيدة بن الجراح » .

فدخل النبي فاتحًا منتصرًا مؤيدًا من الله تعالى .

فلما دخل النبي قامت قريش ببعض الأوباش من قبائل متفرقة ، أي من كل قبيلة عشرة ، وعشرة من قبيلة ، وهكذا ، فقالت قريش : نقدم هؤلاء الأوباش أي نجعلهم طليعة القوم ، فإن أصابوا كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا .

الأعمال التي قام بها النبي حين دخل مكة :

١ـ أمر النبي الأنصار أن يقتلوا هؤلاء الأوباش :

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أبا هريرة ، نادِ في الأنصار ولا يأتيني إلا أنصاري** » ، قال : فاجتمعوا حوله ، فأقاموا به ، فقال ﷺ : « **أرأيتم إلى أوباش قريش ، احصدوهم حصدًا ولا تبقوا منهم أحدًا ، ووضع يمينه على شماله** » .

٢ـ استلام الحجر الأسود وتكسير الأصنام :

دخل النبي البيت فانتهى إلى الحجر فاستلمه ، ثم طاف بالبيت سبعًا ، فمر على صنم كانوا يعبدونه ، فجعل يطعنه بسيفه ، ويقول : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء] ، ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[سبأ]

وكان حول الكعبة آنذاك ستون وثلاثمائة صنم .

٣ـ الطواف بالبيت والصعود للصفا :

وطاف بالبيت سبعًا ، ثم رقي الصفا فاستقبل القبلة وهلل وحمد ، ولم يطف بين

الصفا والمروة لأنه لم يكن مُحْرِمًا .

٤ـ مبايعة الناس له :

ثم بايع الناس على الإسلام ، بايعهم على السمع والطاعة لله ورسوله فيما استطاعوا ، بايعهم رجالًا ونساءً وصغارًا وكبارًا ، وبايع النساء وفيهن بنت عتبة وكانت متنقبة متخفية .

وهذا نص مبايعة الرسول للنساء : « **ألا يشركن بالله شيئًا** ، فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال .

ثم قال : « **ولا تسرقن** » ، فقالت : أما إني كنت آخذ من مال أبي سفيان الهنَّة بعد الهنَّة ، فما أدري أكان ذلك علينا حلالًا أم حرامًا ؟

وأبو سفيان يسمع ، فقال رسول الله : « **أما أصبت من قبل ذلك ، فقد عفا الله عنك** » ، فعرفها رسول الله ، فقال : « **أنت هند بنت عتبة ؟** » ، قالت : نعم ، اعف عفا الله عنك .

فقال النبي : « **ولا تزنين** » ، فوضعت يدها على رأسها ، وقالت : أوتزني الحرة ؟

قال : « **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن** » .

فقالت هند : والله إن الإتيان بالبهتان لقبيح .

قال : ولا يعصينك في معروف .

قال : « **يا عمر ، بايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم** » [(١)] .

وعند مبايعة الرسول للنساء لم يمس يد امرأة .

فقد قال لهن النبي : « **إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لامرأة كقولي لمائة امرأة** » [(٢)] .

---

(١) البداية والنهاية (٣١٩/ ٤) .
(٢) البخاري (٤٨٩١) .

وقالت السيدة عائشة < : « **والله ما مست يد رسول الله امرأة لا تحل له قط ، إنما كان يقول لهن كلامًا ، إنما قولي لامرأة كقولي لمائة امرأة** » [(١)].

٥ـ دخول الكعبة :

دخل النبي الكعبة ومعه أسامة بن زيد ، وبلال ، وعثمان بن طلحة حامل المفتاح فدخل الكعبة ، وأغلق بابها وراءه ، ثم صلى ركعتين في جوف الكعبة ، وكانت الكعبة يومئذٍ على ستة أعمدة .

٦ـ الاغتسال والصلاة :

ثم دخل بيت أم هانئ بنت أبي طالب ، فاغتسل ثم صلى ثماني ركعات لله شكرًا على هذا الفتح .

فلما مكنه الله من الفتح ، وأمن الناس عفا عنهم ولم يأخذهم بجريرتهم .

٧ـ العفو عن الناس :

عفا رسول الله عن أهل مكة جميعًا إلا أربعة رجال وامرأتين ، وذلك لأنهم قد آذوه إيذاءً شديدًا فقال رسول الله : « **اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة** » ، وهم :

١ـ عبد الله بن خطل : أدرك متعلقًا بأستار الكعبة وقتل .

٢ـ مقيس بن صُبابة : أدرك أيضًا وقتل .

٣ـ عكرمة بن أبي جهل : فر هاربًا إلى اليمن فركب البحر ، ثم جاء إلى النبي وبايعه ، وأسلم ، وعفا عنه رسول الله ﷺ .

٤ـ عبد الله بن أبي السرح : اختبأ عند عثمان بن عفان ، ثم جاء به إلى رسول الله

---

(١) صحيح النسائي (٤١٩٢) .

ساعة البيعة ، وقال عثمان لرسول الله : بايع عبد الله ، فرفع رأسه ونظر إليه ثلاثًا ، كل ذلك ولم يمد رسول الله ﷺ يده لمبايعته .

ثم قال رسول الله لأصحابه : « **ما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأى كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟** » ، قالوا : يا رسول الله ، وما ندري ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك ؟ قال : « **ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين** » [(١)]، وعفى عنه .

وأما المرأتان فهربت إحداهما ، وجيء بالثانية فاستأمن لها النبي ﷺ فأمنها ، فجاءت وأسلمت .

٨ ـ خطبة النبي ﷺ في فتح مكة وكانت في اليوم التالي :

قام النبي في الناس خطيبًا ، فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ، ثم قال : « **أيها الناس ، إن مكة حرمها الله ، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يحل لأحد أن يسفك بها دمًا ، ولا أن يعضد فيها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله يوم الفتح ، فقولوا : إن الله قد أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أحلها الله لي ساعة من نهار ، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب** » [(٢)].

سرايا الرسول ﷺ لهدم الأصنام :

ثم أخذ النبي ﷺ يبعث سراياه إلى الأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله فتكسر ، حتى طهرت مكة من كل صنم ووثن ، ومكث النبي في مكة ليحقق هذا كله تسعة عشر يومًا ، ثم عاد إلى المدينة منتصرًا ، ومحققًا وعد الله له : ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:٢٧] .

في هذا الفتح العظيم أسلم أبو قحافة والد أبي بكر ، وكان قد ذهب بصره فأتى

---

(١) **صحيح** : صحيح أبو داود (٢٣٣٤) .
(٢) البخاري (١٠٤) .

أبو بكر بأبيه عند رسول الله ﷺ فمسح النبي على صدره وعرض عليه الإسلام فأسلم ، وكان فتحًا مبينًا ونصرًا عظيمًا .

*****

الفصل العاشر

دعوة الصائم لا ترد

إن شهر رمضان هو وقت الدعاء المستجاب ، وقت مبارك وقت فيه الطاعة كاملة ، والبطون ضامرة ، وقت نزول الملائكة ، وقت فتح أبواب الرحمة .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة] .

وفي هذه الآية التفاتة عظيمة ، هذه الالتفاتة هي خطاب المؤمنين بالصيام وأحكامه إلى خطاب الرسول ﷺ بأن الله يذكرهم ويعلمهم ما يراعونه من آداب في هذه العبادة .

وبجانب هذه الالتفاتة إظهار الصلة بين الصوم والدعاء ، أن تتوسط آية الدعاء وسط آيات الصيام ، وهذا لأن الصائم دعوته لا ترد .

قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر** »[(١)] .

فهذه الآية الكريمة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

آية عجيبة تسكبُ في قلب المؤمن النداوة الحلوة ، والود المؤنس ، والرضا المطمئن ، والثقة واليقين .

أي رقة ؟ وأي انعطاف ؟ وأي إيناس ؟

---

(١) **حسن** : أبو داود (١٥٣٦) .

فسبحان الله قريب مجيب ، ناصر الضعيف ، ومفزع كُل ملهوف .

سبحان الله : من تكلم سمع نطقه ، ومن سكت علم سِره ، ومن عاش فعليه رزقه ، ومن مات فإليه منقلبه :

سبحان الله : قريب مجيب ، ويرزق العدو والحبيب ، ويغيث اللهفان ويشبع الجوعان ، ويسقي العطشان ، ويتابع الإحسان .

سبحان الله : قريب يسمع ويجيب ، عطاؤه مندوح ، وخيره يغدو ويروح ، وبابه مفتوح ، حليم كريم جَواد صفوح .

سبحان الله :

يدعوه الغريق في البحار ، والضال في القفار ، والمحبوس خلف الأسوار ، كما دعاه عبده بالغار.

سبحان الله : فرجه في لمحة البصر ، والمظلوم إذا دعاه انتصر ، اطلع فستر ، وعلم فغفر .

سبحان الله : قريب جواد مجيد ، لا ضد له ولا نديد ، قريب إلى العبد من حبل الوريد .

سبحان الله : قريب مجيب من دعاه أجابه ، دعا المذنبين إلى المتاب ، وفتح للمستغفرين الباب ، ورفع عن أهل الحاجات الحجاب ، فهو رب الأرباب ، ومسبب الأسباب ، وخلق الخلق من التراب ، فهلا قرعتم الأبواب ، ناديتم العزيز الوهاب .

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبنيُّ آدم حين يسأل يغضب

نعم ، إن الله يغضب إن تركت سؤاله ، قال ذلك رسول الله ﷺ : « **إنه من لم**

يسأل الله يغضب عليه » [١].

ولا يعجز عن الدعاء إلا عاجز .

قال رسول الله ﷺ : « **إن أبخل الناس الذي يبخل بالسلام ، وإن أعجز الناس من عجز عن الدعاء** » [٢].

وقد رغب العلي القدير في الدعاء إليه والتذلل بين يديه ، فقال ﷻ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف]

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر] .

داخرين أي : صاغرين .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل] .

فالدعاء عدو البلاء ، وهو سلاح المؤمن ، السلاح المهجور ، بل هو عبادة يعبد الله بها ، بل هو أفضل العبادة .

قال رسول الله ﷺ : « **أفضل العبادة الدعاء** » [٣].

---

(١) **صحيح** : الترمذي في سننه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤١٨) .
(٢) أبو يعلى في مسنده ، وابن حبان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥١٩) .
(٣) **صحيح** : الحاكم في المستدرك وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٢٢) .

فإن الدعاء عبادة يعبد بها الداعي ربه سبحانه وتعالى ، فكما أن المصلي يثاب على صلاته ، والصائم يثاب على صومه ، والمتصدق على صدقته ، والحاج يثاب على حجه ، والمعتمر يثاب على عمرته ، كذلك الداعي يثاب على دعائه سواء أجيب هذا الدعاء أو تأخرت الإجابة .

والدليل على ذلك ما يلي : ما أخرجه الترمذي من حديث النعمان بن بشير { قال : سمعت رسول الله ﷺ يقولُ : « **الدعاء هو العبادة** » ، ثم قرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر] (١) .

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٨، ٤٩] .

ففي أول الآية : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ ثم جاء في آخر الآية التي تليها : ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فدل ذلك على أن الدعاء عبادة وإن للناس أحوالًا مع الدعاء :

فمن الناس من غالى في الدعاء ، ومن الناس من جفا عن الدعاء ، ومن الناس من اعتدل والتزم في الدعاء بسنة رسول الله ﷺ .

فالذين غالوا في الدعاء ذلت أقدامهم في الشرك ، مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، فدعا فريق منهم رسول الله ﷺ ، ودعا آخرون عليًّا والحسن والحسين ، ودعا آخرون البدوي والجيلاني وغيرهم ، فقد قال جل ذكره : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ

(١) الترمذي (٥/ ٣٧٤) ، وأبو داود (٣٥٩) ، وأحمد (٤/ ٢٧١) ، وغيرهم بسند صحيح .

﴿ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف] .

وآخرون ابتدعوا في الدين في أمر الدعاء ، فتركوا الدعاء مطلقًا ، وهذا جفاء وحجتهم في الواهية في ذلك أن الدعاء إلى الله فيه اتهام لله سبحانه وتعالى ، وحجتهم الأثر الموضوع الذي لا أصل له المنسوب إلى الخليل إبراهيم عليه السلام : لما جاءه جبريل وهو في النار فقال : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، فقال جبريل : فسل ربك ، فقال إبراهيم : حسبي من سؤالي علمه بحالي ، وفي لفظ للعوام : علمه بحالي يُغني عن سؤالي .

وهذا قول لا أصل له لأنه يتعارض مع القرآن ، فكيف يقول ذلك الخليل إبراهيم عليه السلام وهو الذي كان يكثر من الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل في كل حياته ، وهذا حال رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين .

والخليل عليه السلام كان من دعائه الذي سجله القرآن العظيم بقول : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم] .

ويقول عليه السلام : ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء] .

فحرم هؤلاء أنفسهم خيرًا كثيرًا وجلبوا لأنفسهم نكدًا عظيمًا بابتعادهم عن كتاب ربهم وهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم[1] .

أما الفريق الثالث وهم المعتدلون الملتزمون في دعائهم بأدعية القرآن العظيم وأدعية النبي الأمين صلى الله عليه وسلم دون تحريف أو تبديل فهؤلاء هم الفائزون .

---

(١) فقه الدعاء للشيخ مصطفى العدوي .

وهذا الدعاء سنة الأنبياء والمرسلين .

فهذا آدم عليه السلام ما تاب الله عليه وهداه إلا بعد أن تلقى من ربه كلمات فتاب عليه ، وهذه الكلمات هي : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف]

وهذا نوحٌ عليه السلام ، ما فتحت أبواب السماء بماء منهمر ، ولا فجرت الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، ولا حمل نوح ومن معه من المؤمنين على ذات ألواح ودسر إلا بعد ما دعا ربه : ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر] .

وما نجي الخليل إبراهيم عليه السلام من النار حين ألقي فيها فكانت بردًا وسلامًا عليه إلا بعد ما قال : ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران] .

وما بشر بغلام حليم إلا بعد أن دعا ربه : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[الصافات].

وما نال إبراهيم عليه السلام المراتب العلية والذكر الحسن والثناء الجميل ومن ذلك صلاتنا عليه في كل صلاة إلا بعد دعائه : ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ .

[الشعراء]

وما نجا لوط عليه السلام من أعدائه إلا بعد دعائه : ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ .

[الشعراء]

وما نجا يونس عليه السلام إلا بعد أن دعا ربه في الظلمات : ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء] .

وما كشف الله الضر والبلوى عن أيوب إلا بعد أن دعا ربه : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء] .

وما نجي داود عليه السلام من قتل جالوت ، بل وقتله داود وأتاه الله الملك والحكمة

وعلمه مما يشاء إلا بعد أن دعا هو ومن معه من المؤمنين : ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة] .

وما سُخرت الريح لسليمان بأمره رخاء حيث أصاب ، وما فهم لغة الطير والنمل إلا بعد أن دعا ربه فقال : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص] .

وما رزق زكريا بيحيى ، وما أصلحت زوجته إلا بعد أن دعا ربه : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء] .

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران] .

وما نجت مريم وابنها وذريتها من الشيطان الرجيم إلا بعد أن دعت أمها فقالت : ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران] .

وما تفقه ابن عباس في دين الله وما تعلم التأويل حتى أصبح ترجمان القرآن كما قال عنه ابن مسعود ﷺ جميعًا إلا بدعوة رسول الله محمد ﷺ له حين قال : « **اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل** »[(١)] .

وكذلك أنس بن مالك الذي دعا له رسول الله ﷺ : « **اللهم ارزقه مالًا وولدًا وبارك** » ، فكان من أكثرهم ـ أي الصحابة ـ مالًا وبارك الله له في ماله وولده[(٢)] .

فالدعاء كله خير بل الدعاء مفتاح لكل خير ، مغلق لكل شر .

والدعاء أكرم شيء على الله تعالى ، قال المعصوم ﷺ : « **ليس شيء أكرم على الله من الدعاء** »[(٣)] .

وأخرج الترمذي بإسناد حسن إلى سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال : « **إن الله**

---

(١) **حسن** : رواه أحمد في المسند (١/ ٣٢٨) .
(٢) البخاري (١٩٨٢) .
(٣) البخاري في الأدب المفرد (٧١٢) .

حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صِفرًا خائبتين » [١].

آداب الدعاء

وهذه جملة من الآداب التي نتأدب بها عند دعاء ربنا سبحانه وتعالى :

الأدب الأول : أن يترصد الأوقات الشريفة :

ومن الأوقات الشريفة :

١ـ وقت التنزل الإلهي :

قال رسول الله ﷺ : « **إن في الليل لساعةً لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك في كل ليلة** » [٢].

فهذا وقت التنزل الإلهي ينزل الله تعالى نزولًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه .

٢ـ وكذلك هناك ساعة في يوم الجمعة يستجاب فيها الدعاء :

قال النبي ﷺ : « **في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يُصلي يسأل الله خيرًا إلا أعطاه** » [٣].

وقد تعددت أقوال العلماء في تحديد هذه الساعة ، فورد عند مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة** » [٤].

إلا أن هذا الحديث معلول ولا يصح ، وقد أعله الحافظ ابن حجر ~ ، وذكر الحافظ ابن حجر أيضًا أنه أُعلّ بالاضطراب والانقطاع [٥].

وورد حديث آخر في تحديدها ، وإسناده صحيح إلا أن فيه علة أيضًا ، وهو حديث

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذي (٥/ ٣٧٤) ، وأحمد في المسند (٤/ ٢٧١) .
(٢) مسلم (٦/ ٣٥) .
(٣) البخاري مع الفتح (١١/ ١٩٩) .
(٤) مسلم مع النووي (٦/ ١٤٠) .
(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٢٢) .

جابر بن عبد الله ، عن رسول الله ﷺ : « **يوم الجمعة ثنتا عشرة ـ يريد ساعة ـ لا يوجد مسلم يسأل الله ﷻ شيئًا إلا أتاه الله ﷻ فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر** » [١].

وهذا أقرب الأقوال في تحديدها ، ومع ذلك ينبغي أن يجتهد الشخص في الدعاء يوم الجمعة عمومًا .

٣ـ الدعاء بين الأذان والإقامة :

قال رسول الله ﷺ : « **الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب فادعوا** » [٢].

٤ـ حين تقام الصلاة :

وذلك لقول رسول الله ﷺ : « **ساعتان لا ترد على داعٍ دعوته حين تقام الصلاة ، وفي الصف في سبيل الله** » [٣]، وله متابع بلفظ :

« **ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء ، عند حضور الصلاة وعند الصف** »[٤].

٥ـ عند السجود :

لقول رسول الله ﷺ : « **أقرب ما يكون العبد من به وهو ساجدٌ فأكثروا الدعاء** » [٥].

٦ـ الدعاء عقب الصلاة :

وهذه وصية النبي ﷺ لمعاذ حين قال : « **يا معاذ ، لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** » [٦].

---

(١) أبو داود (١/ ٣٦٣) .
(٢) أبو يعلى في مسنده ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٥) .
(٣) الترمذي بسند صحيح لغيره .
(٤) ابن حبان موارد الظمآن (٢٩٧) .
(٥) مسلم مع النووي (٤/ ٢٠٠) .
(٦) أبو داود (٢/ ١٨٠) .

وقد قال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح:٧] ، قال قتادة بإسناد صحيح عند الطبري أنه قال : أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه .

وهذا البراء بن عازب ﷺ قال : كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ ، أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه ، قال : فسمعته ﷺ يقول : « **رب قني عذابك يوم تبعث عبادك** » (١) .

ومن ذلك أيضًا :

٧ـ دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب :

عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك بمثل** » (٢) .

ومعنى ظهر الغيب : يعني في غياب المدعو له أو في سره .

وفي رواية أخرى عن أم الدرداء > قالت : « **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب ، مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكلُ به : آمين ولك بمثل** » (٣) .

٨ ـ دعوة المظلوم :

عن ابن عباس { قال : قال رسول الله ﷺ : « **اتق دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب** » (٤) .

٩ـ دعوة الصائم :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام**

---

(١) مسلم (٧٠٩) .
(٢) مسلم (٢٧٣٢) .
(٣) مسلم (٣٧٣٣) .
(٤) البخاري (٢٤٤٨) .

العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء » [(١)] .

١٠ـ دعاء المسافر :

قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث دعوات لا ترد : الوالد لولده ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر** » .

فهذه هي بعض الأوقات والأحوال الشريفة التي يستجاب فيها الدعاء ، ويترصد الداعي كذلك أوقاتًا شريفة أخرى : كيوم عرفة في السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل .

الأدب الثاني : استقبال القبلة والإخلاص في الدعاء :

خفض الصوت بين المخافتة والمجاهرة ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠] ، قالت أم المؤمنين عائشة أي : بدعائك .

الأدب الثالث : التضرع والخشوع ، والرغبة والرهبة :

قال تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ .

[الأنبياء:٩٠]

الأدب الرابع : أن يعزم المسألة ، ويوقن بالإجابة :

قال رسول الله ﷺ : « **ادعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيبُ دعاء من قلب غافلٍ لاهٍ** » [(٢)] .

وقال ﷺ : « **لا يقل أحدُكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ،**

---

(١) ابن ماجه (١٧٥٢) .

(٢) **حسن** : رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥) .

فليعزم المسألة فإنه لا مكره له » [١].

وقال سفيان بن عيينة ﷺ : لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه ، فإن الله ﷻ أجاب دعاء شرِّ الخلق ، إبليس لعنه الله ، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحجر] .

الأدب الخامس : أن يلح في الدعاء ، ويكرر الدعاء ثلاثًا :

قال ابن مسعود ﷺ : كان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثًا ، وإذا سأل سأل ثلاثًا [٢].

وقال رسول الله ﷺ : « **إذا تمنى أحدكم فليكثر ، فإنما يسأل ربه** » [٣].

قال المناوي : إذا تمنى أحدكم خيرًا من خير الأماني ، فإنما يسأل ربه الذي رباه وأنعم عليه ، وأحسن إليه ، فليعظم الرغبة ، ويوسع المسألة ، ويسأله الكثير والقليل حتى شسع النعل ، فإنه إن لم ييسره لا يتيسر فينبغي للسائل إكثار المسألة ، ولا يختصر ولا يقتصر ، فإن خزائن الجود سحاء الليل والنهار ، ولا يفنيها عطاء وإن جل وعظم لأن عطاءه بين الكاف والنون [٤].

وأن يفتتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه ، وأن يختمه بالصلاة على رسول الله ﷺ .

قال رسول الله ﷺ : « **كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ** » [٥].

قال أبو سليمان الداراني ~ : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على

---

(١) البخاري .
(٢) البخاري .
(٣) **صحيح** : رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة ، ورمز السيوطي إلى حسنه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٧) .
(٤) فيض القدير (١/ ٣٢٠) .
(٥) **حسن** : رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٢٣) .

النبي ﷺ ، ثم يسأله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ ، فإن الله ﷻ يقبل الصلاتين على النبي ، وهو أكرمُ من أن يدع ما بينهما .

فهذا شهر الدعاء فرطب لسانك بدعاء النبي ﷺ :

فقد دعا رسول الله ﷺ بهذا الدعاء عند قيامه الليل يتهجد كان يقول : « **اللهم لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا غيرك** » [(١)].

وقال رسول الله ﷺ :

« **اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير** » [(٢)].

ودعا رسول الله ﷺ : « **اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر** » [(٣)].

ودعا رسول الله ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ،**

---

(١) البخاري (١١٢٠) .
(٢) مسلم (٩/ ٢٧) .
(٣) مسلم (٢٧٢٠) .

والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » (١).

ودعا رسول الله ﷺ : « اللهم اجعل أوسَعَ رزقك عليَّ عند كبر سني ، وانقطاع أمري » (٢).

ودعا رسول الله ﷺ : « اللهم اجعل في قلبي نورًا ، وفى بصري نورًا ، وفى سمعي نورًا ، وعن يميني نورًا ، وعن يساري نورًا ، وفوقي نورًا ، وتحتي نورًا ، وأمامي نورًا ، وخلفي نورًا ، وأعظم لي نورًا » (٣).

ودعا رسول الله ﷺ : « اللهم أحيني مسكينًا ، وأمتني مسكينًا ، واحشرني في زمرة المساكين » (٤).

ودعا رسول الله ﷺ : « اللهم احفظني بالإسلام قائمًا ، واحفظني بالإسلام قاعدًا ، واحفظني بالإسلام راقدًا ، ولا تشمت بي عدوًا حاسدًا ، اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك ، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك » (٥).

ودعا رسول الله ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ، اللهم إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع » (٦).

ودعا ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء ،

---

(١)مسلم (٢٧٢٢) .
(٢) **حسن** : صحيح الجامع (١٢٥٥) .
(٣) البخاري ، وأحمد ومسلم والنسائي .
(٤) **صحيح** : صححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦١) .
(٥) **حسن** : حسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٠) .
(٦) **صحيح** : صححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٧) .

والأدواء » [١].

ودعا ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء ، ومن ليلة السوء ، ومن ساعة السوء ، ومن صاحب السوء ، ومن جار السوء ، ومن دار المقامة** » [٢].

ودعا رسول الله ﷺ : « **اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي ، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيمًا لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين** » [٣].

ودعا رسول الله ﷺ : « **اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك** » [٤].

اللهم آمين .

*****

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٨) .
(٢) **حسن** : حسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٩) .
(٣) **صحيح** : صححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١) .
(٤) مسلم (٧٠٩) .

الفصل الحادي عشر

الأسرة المسلمة في رمضان

لا شك أن الفرحة التي تعلو الوالدين حين كُتب عقدهما بادئ حياتهما فرحة قد تسمى فرحة العمر ، وهكذا حين يأتي الابن الأول ذكرًا كان أو أنثى ، فتلكم الفرحة تتكرر وتعزر وهكذا سنة الحياة .

غير أن هناك أمرًا قد يخفى على البعض ، وهو هل الأفراح ستستمر في الآخرة أم لا ؟ نسأل الله ذلك .

ومن أسباب تكرار هذه الفرحة ، واستغلال المواسم في دعم الأولاد وتربيتهم :

أساليب تربية الأبناء في رمضان :

١ـ التعود على صلاة الجماعة :

تربية الابن على صلاة الجماعة من الضرورات المهمة ، فحين يؤذن تقوم وهو معك ، ثم الجلوس معك بجانبك في المسجد ، مع مراعاة مرحلته العمرية فمنهم من يستطيع المكث كثيرًا ، ومنهم من لا يستطيع ، ومنهم من له القدرة على المضي وحده ومنهم من لا يستطيع ، ومنهم من يحتاج إيقاظه للصلاة ومنهم من ليس محتاجًا إلى مساعدة في إيقاظه .

٢ـ تعويد غير المكلفين من الأبناء الصوم :

المقصود تعويده على الصيام لمن لم يبلغ سن التكليف ، وقد ثبت عن بعض السلف أنهم كانوا يصوِّمون أبناءهم « دون العاشرة » ويشغلونهم باللعب من العهن « الصوف » في عاشوراء ، ورمضان من باب أولى .

٣ـ تنشئته على خلقي الرحمة والتواضع :

وذلك بالعطف على المسكين ، ومد يد العون لهم ، والقعود والإفطار معهم بصحبة الابن .

٤ـ حثه على حفظ الوقت :

وذلك باستغلاله في البيت ، وفي الخارج ، وعدم الإكثار من النزول للسوق ، ومحاولة ترتيب الأمور والأولويات .

٥ـ تثبيته المدرسة القرآنية « تدبر وحفظ » :

إقامة مدرسة قرآنية للأبناء في المنزل للتلاوة ، ومحاولة تعظيم الله ﷻ في قلوبهم ، وعرض شيء من القصص والسير وربطها بالله ، والتذكير بالجنة والنار ، وبر الوالدين وصلة الرحم .

٦ـ تدارس موضوع تربوي إسلامي نافع :

يُقرأ من كتاب فيه أحاديث أو مواعظ أو حِكم أو أحكام أو قصص أو غيرها من الآداب والتعاليم .

فهذه أفكار لاستغلال هذا الشهر في تربية الأبناء « ذكورًا أو إناثًا على حدٍ سواء » .

ثانيًا : دور المسلم مع زوجته في رمضان :

قال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه:١٣٢] .

الله أكبر لو فطن بنو قومي لآي القرآن ، وتعدد دعوته وتعدد ثنائه لمن يأمر أهله بالخير والصلاة .

أليس الله تعالى يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] .

إن للزوجة حقًّا على الزوج ، أن يبصرها ويؤدبها ويأمرها بالخير ، وكما في الحديث ، أن الله يعجب فرحًا من الرجل ينضح في وجه زوجه الماء ليوقظها للقيام ، ومن هنا سأعلق على نقطتين :

النقطة الأولى : شهر الصيام استهلاك أم شهر إمساك ، فقد فهم بعض المؤمنين ، من أن رمضان فرصة لأنواع الأطعمة والأشربة ، فامتلأت بطونهم بالأصناف والأطباق ، وأصبح الصيام اسمًا لا معنى .

وأصبح المعيار التي يحكم به الزوج على زوجته من خلال إتقانها للطهي وبراعتها في التحضير .

النقطة الثانية : قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه:١٣٢] .

هنا نريد من الزوج والزوجة أيضًا أن يتعاونا على القيام وعلى الصيام الصحيح ، ونريد منهم أن يلتزما بالورد اليومي للقرآن والأذكار ، وألا ينسيا بالدعاء في مواطن الإجابة ، ونريد منهما أن ينضح كلٌّ منهما الماء في وجه الآخر ، ليستيقظ للسحور ولصلاة الفجر ، إن فترت هممهما .

ونريد منهم أن يكونوا قدوة صالحة لأبنائهم .

ثالثا : دور الأسرة الرمضانية مع الأقارب :

قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد] .

بعد النظر في هذه الآية العظيمة يتبين لنا خطر قطع الرحم ، وقد عده الله من الإفساد في الأرض .

وقد قالت خديجة أم المؤمنين < مطمئنة له بعد نزول الوحي عليه ، وقد كان خائفًا : كلا والله إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على

نوائب الحق .

وهذه مآثره عليه الصلاة والسلام قبل الإسلام فكيف ببعده .

فرمضان فرصة لوصل الأرحام ، وإنهاء الهجران والخلاف وتغيير معالم الجاهلية الظلماء في طريق أبنائنا .

إذا عُلم ذلك فلا يخرج رمضان ويكون لك رحم مقطوعة فالمقطوع ملعون ، ومقطوع من رحمة الله تعالى .

فصلوا أرحامكم يصلكم ربكم برحماته .

وبعد هذا أقدم للأسرة المسلمة برنامجًا لليوم الرمضاني يشارك فيه الزوج زوجته وأبناءه .

والله المستعان وعليه التكلان .

*****

اليوم الرمضاني

خطة مختصرة ليومك الرمضاني :

١ـ قم إلى صلاة الفجر في جماعة ، ثم اجلس في مصلاك مرتلًا للقرآن ، أو مسبحًا ، أو متحلقًا في حلقة علم إلى أن تطلع الشمس .

٢ـ بعد طلوع الشمس بحوالي ربع ساعة « ١٥ ق » قم إلى صلاة الضحى ، « **فمن صلى الفجر في جماعة ، ثم جلس في مصلاه الذي صلى فيه يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتي الضحى إلا كان له أجر حجة وعمرة تامة تامة تامة** » [(١)] .

حج وعمرة وأنت في بلدك وبين أهلك وولدك ، أي كتب له أجر حجة وعمرة تامة دون نقصان .

٣ـ لا تنس ذكر الله ﷻ ، وخاصة الأذكار المأثورة كأذكار الصباح والمساء ، والذكر المقيد عند دخول المسجد وعند الخروج منه ، وعند دخول البيت وعند الخروج منه ، وعند الطعام والشراب وعند لبس الثوب .

٤ـ اذهب إلى عملك في ميعاده ، وحافظ على تأديته بإخلاص وإتقان مع الصبر وحسن الخلق ، ولا تنس ذكر الله ، ومراقبته مع المحافظة على الصلوات في جماعة .

٥ـ اجعل لنفسك وردًا من القرآن يوميًا ، على الأقل تلاوة جزء يوميًا .

٦ـ اغتنم الدعاء في هذه الأيام الفاضلة ، وترصد الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء مثل : ما بين الأذان والإقامة ، عقب الصلوات ، دعاء أخيك لك بظهر الغيب ، عند سماع صياح الديكة ، وعند الإفطار ، وعند السحور ، وغير ذلك .

٧ـ تصدق بمبلغ يوميًا ولو كان جنيهًا واحدًا يوميًا .

---

(١) الترمذي (٥٨٦) .

٨ ـ رتب لنفسك قيلولة بعد الظهر ـ ولو ساعة ـ لتستعين بها على قيام الليل ، واعقد النية بهذا النوم على طاعة الله ، لتؤجر على نومك هذا .

٩ـ قم إلى صلاة العصر ، واقرأ بعدها أذكار الصباح والمساء ووردك القرآني .

١٠ـ لا تنس مجالس العلم ، فإنها رياض الجنة فارتع منها .

١١ـ عجل الإفطار بعد أذان المغرب ، ولا تثقل من الطعام ، حتى تستطيع القيام بسهولة ويسر .

١٢ـ صل العشاء في جماعة ، وقم إلى صلاة التراويح ، وخلف الإمام ومع الحرص على الوتر معه ، ولا تنصرف إلا معه كي يكتب لك قيام ليلة ، ثم اخرج واحرص على صلة الرحم على زيارة قريب أو مريض ، ولا تكثر السهر ، ونم مبكرًا إلى وقت السحور .

١٣ـ لا تنس السحور ، فإنه بركة ولو على جرعة ماء ، واقصد المسجد بصلاة الفجر مستغفرًا ذاكرًا .

فهذا مقترح ـ يا باغي الخير ـ أقل ما يمكن تصوره لمجتهد في رمضان ، وهو معدود في ميزان السلف الصالح « من المقصرين أو المفرطين » فَاعْلُ بهمتك ، وتزود من الطاعات ما به تنال صك العتق من النار .

وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، واعلم أنه على قدر المؤونة تكون المعونة ، والله المستعان .

نسأل الله أن يبارك في أوقاتنا ، اللهم اجعل خير أعمارنا أواخرها ، وخير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاك فيه ... آمين .

*****

الفصل الثاني عشر

أحكام الصيام

أولا : على من يجب الصيام

يجب الصيام بإجماع العلماء على كل مسلم بالغ عاقل صحيح مقيم ، ويجب على المرأة الطاهرة من الحيض والنفاس [١] ، وإليك تفصيل الشروط .

١ـ الإسلام :

فلا يجب الصيام على الكافر ؛ لأنه ليس أهلًا للعبادة ؛ ولأنه لا يطالب بالفرع من لم يؤمن بالأصل ، إنما يُدعى إلى الإسلام أولًا ، فإن شرح الله صدره للإسلام ، طُولب بأركانه وفرائضه بعد ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ .

[الأنفال:٣٨]

٢ـ البلوغ :

فلا يجب الصيام على الصغير الذي لم يبلغ ، ولكن إذا بلغ الصبيان سبعًا فأكثر ، يؤمرون بالصيام ليعتادوا ، ويمرنهم أولياؤهم كما يأمرونهم بالصلاة ، فإذا بلغوا الحُلم وجب عليهم الصيام ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم** » [٢] .

---

(١) فقه السنة (١/ ٤٠٥) .

(٢) **صحيح** : أبو داود (٤٤٠٣) ، الترمذي (١٤٢٣) .

ويُعرف البلوغ بهذه العلامات :

بنزول المني بالاحتلام أو غيره .

بنبت الشعر حول فرجه .

وببلوغه خمس عشرة سنة .

أما الفتاة فمثل الصبي ، ولكن يُزاولها أمر آخر ، وهو نزول الحيض ، فهذه هي علامات البلوغ [١] .

وصيام الصبي الذي لم يبلغ تدريبًا وتعويدًا له على الصيام ، كما كان يفعل أصحاب النبي ﷺ : كنا نُصَوِّمُ صبياننا الصغار ، فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه [٢] .

وفي رواية : أعطيناه اللعبة من العهن « الصوف » .

٣ـ العقل :

خرج ذلك غير العاقل « المجنون » .

قال رسول الله ﷺ : « **رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم** » [٣] .

فالمجنون لا يتوجه إليه تكليف ، لا بأمر ولا بنهي ، ولا بعبادة ولا بمعاملة ، فقد رفع عنه القلم .

أما من كان جنونه منقطعًا ، فهو مكلف في المدة التي يعود إليه فيها عقله فقط .

٤ـ الصحة والإقامة :

أن يكون صحيحًا مقيمًا ؛ لأن المريض والمسافر لا يجب عليهما الصوم في الحال ؛

---

(١) نداء الريان (٣/ ٧٢) .

(٢) البخاري (١٩٦٠) .

(٣) سبق تخريجه .

لأن الله رخص لهما في الفطر ، وإنما عليهما القضاء بعد أن يُعافى المريض ويقيم المسافر ، قال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤] .

وقال تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وهذا المرض فيما عدا مرض الشيخوخة ، والمرض الذي لا يرجى برؤه ، وسنعود إلى الحديث عن أحكام المرض والسفر ـ إن شاء الله .

٥ـ طهارة المرأة من الحيض والنفاس :

فلا يجب الصوم على الحائض والنفساء في الحال حتى تتطهرًا .

وهذا الأمر من رعاية الله لهما « الحائض والنفساء » ورعاية لحالتهما البدنية والعصبية ، ثم عليهما القضاء عدة من أيام أخر بعد الطهارة .

فقد أتت امرأة إلى أم المؤمنين عائشة < فقالت : هل تقضي الحائض الصوم والصلاة ؟

فقالت أم المؤمنين عائشة < : « كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة »[(١)] .

والحكمة في قضاء الصوم دون الصلاة : أن الصلاة تتكرر فيشق قضاؤها مشقة تقضي إلى الحرج ، بخلاف الصوم فهو مرة كل عام ، وهذه رحمة من الله تعالى .

تنبيه :

ومما يُلفت إليه النظر في مسألة الحيض والنفاس للمرأة أن دم الحيض يختلف من امرأة إلى أخرى ، ومدار الحكم على وجود الدم بأوصافه وعلاماته ، والحق أنه لا يوجد نص صحيح من قرآن أو سنة على ذلك ، والمرجع فيه المشاهد والتجربة .

---

(١) البخاري (٣٢١) ، ومسلم (٢٦٦٤) .

وكذلك تعتقد كثير من النساء أن مدة النفاس أربعون يومًا ، وهذا ليس بلازم ، فقد يكون بأقل من ذلك فالحكم مرتبط بوجود الدم .

فالصحيح أنه لا حد لأقله ، وأن أكثره أربعون يومًا ، فما زاد ، فهو استحاضة ودم الاستحاضة ، يعرف في عصرنا هذا « بالنزيف » لا يمنع من الصوم ولا الصلاة ولا الجماع .

وهناك خطأ يقع فيه كثير من النساء وهو أنهن يكون عندهن الحيض والنفاس ويصمن ، وهذا خطأ فيجب عليهن الإفطار ، حتى ولو جاءها الحيض والنفاس قبل المغرب بدقائق .

ثانيا : أحكام المرض

فلابد من النظر إلى حال المريض .

فالمريض المراد به هنا : هو المريض العادي الذي يرجى برؤه وفقًا لسنة الله تعالى في الأسباب والمسببات .

ومن المعروف في عصرنا أن الإنسان قد يكون مريضًا ولديه عدة أمراض ، وهو لا يدري إلا بعد فحص الطبيب ، وهذه الأمراض التي تسمى بالأمراض «الساكنة» أو « المتعايشة » ومع أصحابها ، وليست هذه هي المقصودة أيضًا هنا ، ولا يبيح لحاملها الفطر ، وهي المذكورة في الحالة الأولى من حالات المرض الثلاث .

فالمرض الموجب للرخصة ، هو الذي يسبب للصائم مشقة وألمًا ، أو يكون الصيام سببًا لزيادته ، أو تأخر شفائه منه ، لأن هناك بعض المرضى يحتاجون إلى وجبات خفيفة متقاربة الموعد ، ويضره خلو المعدة لساعات طويلة من الطعام ، وبعضهم يحتاج إلى الشرب الكثير كبعض أمراض الكُلى ونحوها .

وبعضهم يحتاج إلى تناول الدواء من الفم ساعات منتظمة يضره تأخيرها .

فالفطر رخصة للمريض ، كما هو للمسافر ، ولكن لو تحامل المريض على نفسه وصام أجزأه الصوم ، ولا قضاء عليه .

غير أنه إذا شق عليه الصوم مشقة شديدة ، فليس من البر الصوم في المرض ، بل ربما كان المرض أولى من السفر ؛ لأن المسافر الذي يشق عليه السفر يجب عليه الفطر خشية المرض .

فالمرض أشد خطرًا ، ولهذا قدم في القرآن على السفر كعذر من الأعذار المبيحة للفطر [١] .

ومن علماء السلف من أجاز الفطر لأي مرض كان ، مهما خَفَ أو صَغُر ، ولو كان وجع الإصبع ، يروى ذلك عن ابن سيرين من التابعين .

وعلى المريض القضاء بعدد الأيام التي أفطرها بعد أن يُعافى لقوله تعالى : ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤] .

وهذه رحمة من الله تعالى ويسر منه لعباده المؤمنين : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] .

الشيخ الكبير وذو المرض المزمن :

ومن أصحاب الأعذار الذين يلحقون بالمرضى « الشيخ الكبير » الذي وهن عظمه وبلغ من الكبر عتيًا ، ويجهده الصوم ويلحق به مشقة ، وكذلك المرأة العجوز التي أضعفها الكبر فحكمهما واحد بالإجماع ، وكذلك من ابتلي بمرض مزمن الذي لا يرجى برؤه من مرضه ، والشفاء منه ، وفقًا لسنة الله الجارية في الأسباب والمسببات ، وإن كانت القدرة الإلهية لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء .

---

(١) فقه الصيام للقرضاوي (٥٦، ٥٧) .

فهؤلاء حكمهم :

لا صوم عليهم بلا خلاف .

والدليل على ذلك : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] .

وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] .

ثم إن الشيخ الكبير والمرأة العجوز يعتبرون من المرضى ؛ لأن الشيخوخة مرض ، وكما جاء في الحديث الشريف : قال رسول الله ﷺ : « **تداووا عباد الله ، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء ، غير داءٍ واحد هو الهرم** » [(١)] .

فالهرم أي : الشيخوخة مرض على كل حال .

فما يجب على الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض المزمن ؟

عليهما الفدية : إطعام مسكين عن كل يوم أفطروه .

مقدار الكفارة :

مقدار الكفارة : نصف صاع ـ أي : كيلو وربع من الأرز ـ عن ابن عباس قرأ : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يقول : هو الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصيام فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكينًا نصف صاع من حنطة [(٢)] .

وجاءت صحابية اسمها عمرة إلى السيدة عائشة < وقالت لها : أمي ماتت وعليها رمضان ، فقالت لعائشة : أقضيه عنها ؟ فقالت السيدة عائشة لها : لا ، بل تصدقي عنها مكان كل يوم نصف صاع على كل مسكين [(٣)] .

---

(١) **صحيح** : صحيح أبي داود (٣٢٦٤) .

(٢) رواه الدار قطني بسند صحيح (٣٢٦١) ، وصححه ، والألباني في الإرواء (٤/ ٢٠) .

(٣) الطحاوي : في مشكل الآثار ، وابن حزم في المحلى ، واللفظ له بسند صحيح ، وما صح من آثار الصحابة في الفقه (٢/ ٦٩٢) .

وكيفية الإطعام :

الإطعام كيفيتان : **الأولى** : إما أن يصنع طعامًا ، ويدعو إليه المساكين بحسب الأيام التي عليه ، **الثانية** : إما أن يطعم طعامًا غير مطبوخ .

ووقته : هو بالخيار إن شاء فدى عن كل يوم بيومه ، وإن شاء أخر إلى آخر يوم [١] .

ثالثا : أحكام السفر

السفر هو العذر الثاني الذي ذكره رب البرية سبحانه بعد المرض فقال جل ذكره : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤] .

ومع ذلك إذا صام المسافر فصومه صحيح مجزئ ، فقد أخذ بالعزيمة والذي يُفْطِر في السفر فقد أخذ بالرخصة .

ولتحقيق المسألة : فإن للمسافر ثلاث حالات :

الأولى : أن يشق عليه الصوم أو يعوقه من فعل الخير :

وهذا الفطر في حقه أولى ، ومن هذا ما في حديث الرسول ﷺ ، كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحامًا ورجلًا قد ظُلِلَ عليه فقال : « **ما هذا ؟** » ، قالوا : صائم ، فقال الرسول ﷺ : « **ليس من البر الصيام في السفر** » [٢] .

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله ﷺ في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر ، قال : فنزلنا منزلًا في يوم حار ، أكثرنا ظلًا صاحب الكساء ، ومنا من يتقي الشمس بيده ، قال أنسٌ رضي الله عنه : فسقط الصوام وقام المفطرون ، فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ : « **ذهب المفطرون بالأجر** » [٣] .

---

(١) الشرح الممتع لابن عثيمين (٦/ ٣٣٥) .
(٢) البخاري في صحيحه (١٩٤٦) ، ومسلم (١١١٥) .
(٣) مسلم (١١١٩) .

الثانية : ألا يشق عليه السفر ولا يمنعه من فعل الخير .

فيكون الأولى له الصيام لعموم قوله تعالى : ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ .

[البقرة:١٨٤]

فعن أبي الدرداء ﷺ قال : خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار ، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة [١] .

وفي حديث آخر سُئِلَ رسول الله ﷺ من حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ : أأصوم في السفر ـ وكان كثير الصيام ـ فقال : « **إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر** » [٢] .

والصوم إذا لم يكن فيه مشقة أسرع في إبراء الذمة .

وأسهل على المكلف غالبًا أن يصوم مع الناس من أن يقضي والناس مفطرون .

الثالثة : أن يشق الصوم عليه مشقة تقضي به إلى الهلاك :

في هذه الحالة يجب الفطر ويحرم الصوم ، كما في حديث جابر ﷺ قال : أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة فسار حتى بلغ كراع الغميم ، وصار الناس ، ثم دعا بقدح من ماء ، فرفعه حتى نظر الناس إليه ، ثم شرب ، قيل له بعد ذلك : إن بعض الناس صام ، فقال : « **أولئك العصاة ، أولئك العصاة** » [٣] .

إذًا ينظر الإنسان الصائم إلى حال نفسه ، وليتق الله ما استطاع ، حتى وإن كان السفر مريحًا ، إن كان يركب طائرة أو قطارًا أو سيارة لأن الله ﷻ قال : ﴿فَمَن كَانَ

---

(١) صحيح البخاري (١٩٤٥) .

(٢) **صحيح** : البخاري (١٩٤٣) ، ومسلم (١١٢١) .

(٣) **صحيح** : رواه مسلم (١١١٤) ، ونحوه عند البخاري (١٩٤٨) عن ابن عباس .

مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ فجعل الأمر مطلقًا بجميع أحواله وجد مشقة ، أو لم يجد مشقة ، سواء أكان سفرًا مريحًا أو غير مريح جاز له الفطر [١] ، وإن النبي ﷺ قال : « **إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه** » [٢] .

وفي رواية أخرى : « **إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تترك معصيته** » [٣] .

فائدة :

من الأدب النبوي في السفر ألا يعيب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم ، وهذا ما تربى عليه الصحابة الكرام من رسول الله ﷺ ، فهذا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد الصائم على المفطر معناه : « ألا يغضب على المفطر » ، ولا المفطر على الصائم ، يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن جميل ، ويرون أن من وجد ضعفًا فأفطر فإن ذلك حسن جميل [٤] .

ولا يجوز التحايل على الإفطار في رمضان بالسفر ، فيسافر بغرض الإفطار لا لغرض السفر ، وهذا لا يجوز شرعًا .

هل للسفر الذي يباح فيه الفطر ويباح فيه القصر مسافة معينة ؟

القول الراجح في هذه المسألة : أن كل ما يسمى في العرف سفرًا فهو سفر .

قال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » : لم يحدد ﷺ مسافة محددة للقصر والفطر ، بل أطلق لهم ذلك في مطلق السفر ، والضرب في الأرض كما أطلق لهم التيمم في السفر [٥] .

---

(١) نداء الريان (٣/ ٨٢، ٨٣) .

(٢) صحيح الجامع (١٨٨٥) .

(٣) **حسن** : صحيح ابن خزيمة (٢٠٢٧) .

(٤) رواه مسلم (٢٦١٣) .

(٥) زاد المعاد (١/ ٤٦٣) .

وقال الإمام ابن تيمية ~ : كل اسم ليس له حد في اللغة ولا في الشرع ، فالمرجع فيه إلى العرف ، فما كان سفرًا في عرف الناس فهو السفر الذي عليه به الشارع الحكيم [١] .

وقال الإمام الألباني : السفر مطلق في الكتاب والسنة لم يتبين بمسافة محددة .

والأدلة على ذلك : من القرآن :

١ـ قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤] .

فلم يحدد لنا المسافة أو الإقامة .

٢ـ وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء:١٠١] .

أي : إذا سافرتم وسرتم في الأرض ، فليس عليكم إثم أن تصلوّا الصلاة الرباعية اثنين .

ومن السنة النبوية :

أقام النبي ﷺ في تبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة .

فعن جابر بن عبد الله { قال : أقام رسول الله ﷺ عشرين يومًا يقصر الصلاة [٢] .

وأقام النبي ﷺ بمكة عام الفتح تسعة عشر يومًا يقصر الصلاة ، كما قال ابن عباس { : أقام النبي ﷺ تسعة عشر يومًا يقصر الصلاة [٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٤٠) .
(٢) **صحيح** : صحيح أبي داود (١٢٣٥) .
(٣) البخاري (١٠٨٠) .

وأقام النبي ﷺ في حجة الوداع عشرة أيام يقصر الصلاة ، كما قال أنس حينما سئل : « كم أقمتم في مكة ـ أي في حجة الوداع قال : أقمنا بها عشرًا » [١] .

فالتحديد لا أصل له ، فما دام المسافر مسافرًا يقصر الصلاة ولو أقام في مكان شهورًا [٢] .

ومن الأدلة أيضًا : « أن ابن عمر أقام بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين ، وقد حال الثلج بينه وبين الدخول » [٣] .

وعن أبي حمزة نصر بن عمران أنه قال : قلت لابن عباس : إنا نطيل المقام بالغزو وبخراسان فكيف ترى ؟ قال : صلى ركعتين وإن أقمت عشر سنين [٤] .

حكم قصر الصلاة في السفر :

حكم القصر « واجب » .

والأصل أن صلاة القصر أو صلاة السفر ركعتان ، لقول عمر رضي الله عنه قال : « صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، والفطر والأضحى ركعتان ، تمام من غير قصر على لسان نبيكم محمد ﷺ » [٥] .

وقالت أم المؤمنين عائشة < : « فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر » [٦] .

وقالت أيضًا : « أول ما فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، فلما قدم رسول الله المدينة صلى إلى كل صلاة مثلها غير المغرب ، فإنها وتر النهار ، وصلاة الصبح لطول

---

(١) البخاري (١٠٨٠) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٨/٢٤) .
(٣) **إسناده صحيح** : رواه البيهقي وصححه ابن حجر في الدراية ، والإرواء (٥٧٧) .
(٤) انظر كتاب : الصحيح من أحكام الصيام لأبي عبد الرحمن الهلالي (ص٧٥ــ ٨٦) .
(٥) صحيح النسائي (١٥٦٥) ، وصحيح ابن ماجه (٨٧٨) .
(٦) مسلم (١٥٦٨) .

قراءتها وكان إذا سافر عاد إلى صلاته الأولى »[١] .

يعلق الإمام الألباني على هذه الأحاديث قائلًا :

« دلت هذه الأحاديث على أن صلاة السفر أصل بنفسها وأنها ليست مقصورة من الرباعية ، كما يقول بعضهم فهي كصلاة العيدين ، ولا يعارض هذا الكلام حديث ابن عباس { قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة[٢] .

هذا الحديث : إخبار عن ما استقر عليه الأمر ، ومعنى صلاة الخوف ركعة أي : ركعة الإمام وركعة يأتي بها منفردًا[٣] .

حكم من رجع إلى بلده أو انتقل إلى بلد آخر وهناك اختلاف في بدء الصيام :

إذا سافر الرجل من بلد إلى بلد اختلف مطلع الهلال فيهما ، فالقاعدة أن يكون صيامه وإفطاره ، حسب البلد الذي هو فيه حين ثبوت الشهر .

لكن إذا انقضت أيام صيامه عن تسعة وعشرين يومًا وجب عليه إكمال تسعة وعشرين يومًا ، لأن الشهر الهلالي لا يمكن أن ينقص عن تسعة وعشرين يومًا .

وهذه القاعدة مأخوذة من قول الرسول ﷺ : « **إذا رأيتم الهلال فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا** »[٤] .

قال رسول الله ﷺ : « **لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه** »[٥] .

ومن حديث كريب أن أم الفضل بعثته إلى معاوية خليفة المسلمين في الشام ،

---

(١) صحيح ابن حبان (٢٧٣٨) ، والسلسلة الصحيحة (٢٨١٤) .
(٢) مسلم (١٥٧٣) .
(٣) الثمر المستطاب (١/ ٥٢) .
(٤) مسلم (٢٥٠٠) .
(٥) البخاري (١٩٠٦) ، ومسلم (٢٤٩٥) .

وفيه أن كريبًا أخبر ابن عباس { أن الناس رأوا هلال رمضان ليلة الجمعة في الشام ، فقال ابن عباس : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزل نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه ، فقال كُريب : ألا نكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟

قال : لا هكذا أمرنا رسول الله ﷺ [١] .

مثال ذلك :

انتقل شخص من بلد صام أهله يوم الأحد إلى بلد صام أهله يوم السبت ، وأفطروا يوم الأحد عن تسعة وعشرين يومًا فهذا عليه أن يفطر معهم ويلزمه القضاء لهذا اليوم .

ودليل وجوب الفطر أنه رأى الهلال ، قال رسول الله ﷺ : « **إذا رأيتموه فأفطروا** » [٢] .

ودليل وجوب القضاء لهذا اليوم : قول النبي ﷺ : « **إنما الشهر تسعٌ وعشرون** » [٣] .

وهذه الحالة مسبوق بصيام يوم ، ولم يكتمل الشهر تسعًا وعشرين يومًا .

المثال الثاني :

عكس الأول ، انتقل من بلد صام أهله يوم الأحد إلى بلد صام أهله يوم الاثنين ، وأفطروا يوم الأربعاء عن ثلاثين يومًا وهذا الرجل عليه أن يبقى صائمًا معهم ولو زاد على ثلاثين يومًا ؛ لأنه في مكان لم ير فيه الهلال ، فلا يحل له الفطر ، ودليل وجوب بقائه صائمًا فوق الثلاثين يومًا : « **إذا رأيتموه فأفطروا** » [٤] .

---

(١) مسلم (٢٥٢٣) .
(٢) مسلم (٢٥٠٠) .
(٣) مسلم (٢٤٩٩) .
(٤) مسلم (٢٥٠٠) .

فالفطر معلق بالرؤية [١] .

رابعًا : أحكام المرأة في الصيام

للمرأة في أحكام الصيام نصيب أكبر من الرجل فهي تشاركه في جميع الأحكام وتختص بأمور لا يشاركها فيها .

وذلك أن القدر حملها ما لم يحمل الرجل من متاعب الحياة ، فهي تعاني الدورة الشهرية التي كتبها الله على بنات آدم .

أو ما يسمى في الشرع « بالحيض » .

ومثله حالة الولادة أو النفاس ، وهما العذران اللذان أوجبا عليها الفطر وَحُرِمَ عليها الصوم بسببهما .

وقيل : الولادة ، تكون حالة الحمل ، وهي كما صورها القرآن الكريم وهو يوصي الإنسان بالإحسان بوالديه ، فيقول : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾

[الأحقاف:١٥]

وقوله تعالى : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان:١٤] .

إنها حالة الوحم والغثيان والثقل والألم ، التي تتحملها الأم طوال تسعة أشهر صابرة ، بل سعيدة راضية حتى يخرج جنينها إلى النور .

وبعد الولادة وما يصاحبها من آلام ، مرحلة أخرى وهي مرحلة الرضاع والفصال التي قد تطول إلى عامين .

كما قال تعالى : ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ .

[البقرة:٢٣٣]

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٩/ ٧١) ، ونداء الريان (٣/ ٦٧) بتصرف .

إذًا هذه هي الأحوال التي تمر بها المرأة في الصيام .

« الحيض ، والنفاس ، والحمل ، والرضاعة » فما هي الأحكام في هذه الأحوال .

الحيض والنفاس :

لابد أن يعلم أولًا : أن المرأة ينزل منها من الدماء ثلاثة أنواع الحيض والنفاس والاستحاضة « النزيف » .

الحيض : هو الدم الذي يرخيه رحم المرأة بعد بلوغها في أوقات معتادة ، ولونه أسود ، وليس لأقله ولا لأكثره من حيث الوقت حدٌ بالأيام .

النفاس : وهو دم يرخيه الرحم بسبب الولادة إما معها ، أو بعدها أو قبلها بيومين أو ثلاثة مع الطلق .

ولا يثبت النفاس إلا إذا وضعت ما يتبين فيه خلق الإنسان ، فلو وضعت سقطًا لم يتبين فيه الخلق فليس دمها دم نفاس .

الاستحاضة « النزيف » :

هو دم يسيل من فرج المرأة بحيث لا ينقطع عنها أبدًا ، أو ينقطع عنها مدة يسيرة .

حكم الصيام المترتب على هذه الأحوال الثلاثة :

يحرم على الحائض والنفساء الصوم ، وعليهما القضاء عدة من أيام أخر بعد رمضان ، كما تقدم في حديث عائشة > ، فإن صامت وهي حائض أو نفساء فصومها غير صحيح ، وتكون آثمة ، ولم تبرأ ذمتها فيجب عليها القضاء .

أما الاستحاضة ، فهي غير الحائض ، ويلزمها أن تصوم وأن تصلي ، ويجوز لزوجها أن يجامعها ، هذا بخلاف الحائض فالحائض والنفساء يمنعان من كل المذكور .

فائدة :

هل يجوز للمرأة أن تأخذ أي شيء من أجل تأخير الحيض ، لكي تصوم رمضان كاملًا وكي تتمكن من قيامه ؟

هذا جائز للمرأة لعدم وجود مانع منه عن رسول الله ﷺ ، إلا أن الأولى تركه ، وذلك لأن النبي ﷺ ذكر لعائشة لما دخل عليها وهي تحجُ وجدها تبكي ، فقال : « **مالك ؟ أحضت ؟** » ، ثم قال لها : « **هذا شيء كتبه الله على بنات آدم** » [(١)] .

ثم إن من الأدوية ما لا يقطع الحيضة بالكلية فيورث المرأة شكًا ووسوسة ، فهذا الدواء وإن كان جائزًا ، إلا أنه يكره لما يخشى ألا يقطع بالكلية ، فالمرأة لا تستعمل الحبوب المانعة لنزول الدم لا في رمضان ولا في غير رمضان ؛ لأنه ثبت من تقرير الأطباء أنها مضرة على المرأة ، وعلى رحمها ، وعلى الأعصاب والدم ، والنبي ﷺ قال : « **لا ضرر ولا ضرار** » [(٢)] .

فخلاصة القول : أن استخدام هذه الحبوب المانعة جائزة مع الكراهة والأولى تركها ، وإن استخدمت تستخدم بشرطين :

الأولى : ألا يخشى الضرر عليها .

والثاني : أن يكون ذلك بإذن الزوج .

وكذا هناك حبوب « تجلب الحيض » أي تنزل الحيض ، يجوز استخدامها بشرطين :

الأول : ألا يتحيل به إسقاط واجب شرعي مثل أن تستعمله في رمضان للفطر .

والثاني : أن يكون ذلك بإذن الزوج [(٣)] .

---

(١) البخاري (٢٩٤) ، ومسلم (١٢١١) .

(٢) نداء الريان (٣/ ٢٦٧) .

(٣) تمام المنة للعزازي (ص١٦٠) .

جملة من المسائل عن الحيض والنفاس :

إذا انقطع دم الحيض بعد أن أكملت المرأة أيام حيضها ثم اغتسلت المرأة ، وبعد ذلك رأت شيئًا ، فإنها لا تلتفت إليه لقول عائشة وأم عطية < : « كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئًا » (١) .

* إذا انقطع دم الحيض ولم تكتمل عدتها ورأت طُهرًا في أثناء الحيض ، واغتسلت ، ثم عاد إليها الدم ، فهذا الدم يعتبر حيضًا ؛ لأنه جاءها أثناء الحيض (٢) .

الحائض والنفساء إذا طُهرت أثناء النهار تغتسل وتصلي وتصوم بقية يومها استحبابًا ، ثم تقضي هذا اليوم وهذا قول جمهور العلماء .

لقول عبد الله بن مسعود ﷺ : « من أكل أول النهار فليأكل آخره » (٣) .

المرأة إذا أصابها الحيض أو النفاس في آخر رمضان أو بعد رمضان وماتت مباشرة ، فليس على أوليائها شيء لا طعام ولا أي شيء آخر ، لأنها ماتت ولم تتمكن من قضاء ما عليها من رمضان ، أما إن ماتت وكان في إمكانها الصيام ، وأخرت الصيام حتى ماتت بدون عذر شرعي ، فعلى أوليائها أن يطعموا مسكينًا عن كل يوم أفطرته في رمضان » (٤) .

حكم الدم الذي ينزل من المرأة بعد سقوط جنينها :

قال العلماء : إذا كان الجنين قد تبين فيه خلق إنسان كأن يكون ظهر فيه يد أو رجل أو رأس أو أي شيء من الإنسان ، وهذا غالبًا يكون بعد ثلاثة أشهر ، فإن هذا الدم يعتبر دم نفاس فلا تصلي ولا تصوم ، وإذا سقطت أثناء الصوم بطل صومها .

---

(١) صحيح أبي داود (٣٠٧) .
(٢) الصحيح من أحكام الصيام (ص١٣٠، ١٣١) .
(٣) **صحيح** : رواه ابن أبي شيبة .
(٤) انظر : جامع أحكام الصيام (ص١٧٤) .

أما إذا كان الجنين قطعة لحم لم يتبين فيه خلق إنسان قبل ثلاثة أشهر من ١٨ إلى ٩٠ يومًا ، أو قبل ذلك ، فهي تصلي وتصوم وتتوضأ لكل صلاة بعد الأذان [١] .

حالة الحامل والمرضع في الصيام :

لهما أن تفطرا خاصة إذا خافتا على نفسيهما أو على جنينهما التلف والهلاك .

فقد قال النبي ﷺ : « **إن الله وضع عن المسافر نصف الصلاة والصوم ، وعن الحامل والمرضع الصوم** » .

ولكن ماذا عليهما ؟

فقد ذكر الإمام ابن كثير ~ اختلافًا كثيرًا في شأنهما .

فقال : « فمن العلماء من قال : تفطران وتفديان وتقضيان ، وقيل : تفديان فقط ، ولا قضاء ، وقيل : يجب القضاء بلا فدية ، وقيل : تفطران ولا فدية ولا قضاء » [٢] .

والصحيح الذي تميل إليه النفس :

أن الحامل المرضع إذا خافتا على نفسيهما أو على ولديهما أفطرتا وأطعمتا عن كل يوم مسكينًا وليس عليهما قضاء .

وهذا ما ذهب إليه : ابن عباس { ، وابن عمر ، والأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم .

وهذا قياسًا على المريض ، وقد قال الله تعالى في شأن المريض : ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وقال ابن عباس { : « إذا خافت الحامل على نفسها ، والمرضع على ولدها في

---

(١) نداء الريان (٣/ ٩٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢١٥) .

رمضان يفطران ويطعمان مكان كل يوم مسكينًا ولا يقضيان صومًا »[١] .

وقال ابن عمر { : « الحامل إذا خشيت على نفسها في رمضان تفطر وتطعم ولا قضاء عليها »[٢] .

ويزيدُ الدكتور القرضاوي إضافة في هذا الحكم تمامًا للفائدة : أن هذا الرأي الراجح ، وخاصة في المرأة التي يتوالى عليها الحمل والإرضاع ، وتكاد تكون في رمضان ، إما حاملًا وإما مرضعًا ، وهكذا كان كثير من النساء في الأزمنة الماضية ، فمن الرحمة بمثل هذه المرأة ألا تكلف القضاء وتكتفي بالفدية ، وفي هذا خير للمساكين وأهل الحاجة .

أما المرأة التي تتباعد فترات حملها ، كما هو الشأن في كثير من نساء زماننا في المجتمعات الإسلامية ، والتي قد لا تعاني بالحمل ولا الرضاعة في حياتها إلا مرتين أو ثلاثًا ، فالأرجح أن تقضي كما هو رأي الجمهور ، إذًا الحكم مبني على مراعاة التخفيف ، ورفع المشقة الزائدة ، فإذا لم توجد ارتفع الحكم عنها .

إذًا الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا[٣] .

خامسًا : أمور لا تفسد الصيام

١ـ أن يصبح الصائم جنبًا :

فمن نام ـ وهو صائم ـ وأدركه الفجر حتى أصبح وهو جنب من أهله ، أو أصبح محتلمًا يغتسل ، ويصوم ولا شيء عليه .

فعن عائشة < وأم سلمة كذلك قالا : أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر

---

(١) رواه الطبري وإسناده صحيح ، الإرواء (٤/ ١٩) .
(٢) موطأ الإمام مالك (ص٢١٧) .
(٣) فقه الصيام ، د. القرضاوي (ص٦٢) .

وهو جنب من أهله ، ثم يغتسل ويصوم [١] .

فمن أصبح جنبًا لا يفسد صومه ، ولكن يستحب أن يتطهر ليؤدي الصلوات في جماعة ، ويذكر ربه ويقرأ القرآن .

٢ـ والقبلة والمباشرة والمداعبة لامرأته :

وهذا مذهب جمهور العلماء ، فعن عائشة > قالت : كان النبي ﷺ يقبل ويباشر وهو صائم ، وكان أملككم لإربه [٢] .

وتقول أم المؤمنين عائشة عن نفسها : كان رسول الله ﷺ يقبلني وهو صائم وأنا صائمة [٣] .

وأم المؤمنين عائشة كانت في مرحلة شبابها حيث تزوجها ﷺ وعندها ثماني عشرة سنة .

فإن قال قائل : إن هذا أمر خاص برسول الله ﷺ رُد عليه بأنه لا يوجد دليل على التخصيص لرسول الله ﷺ .

فهذا عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ سأل رسول الله ﷺ : أيقبل الصائم يا رسول الله ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « **سل هذه** » لأم سلمة ، فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك ، فقال : يا رسول الله : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال له رسول الله ﷺ : « **أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له** » [٤] .

والمباشرة : هي مس بشرة الرجل لبشرة المرأة دون الجماع .

وهذا عمر بن الخطاب يقول : هششت يومًا ، فقبلت وأنا صائم ، فجئت رسول

---

(١) البخاري (١٩٢٦) ، ومسلم (١١٠٩) .
(٢) البخاري (١٩٢٧) ، ومسلم (١١٠٦) .
(٣) **صحيح** : أبو داود (٢٣٨٤) .
(٤) مسلم (١١٠٨) ، وانظر : شرح النووي (٣/ ١٦٣) .

الله ﷺ ، فقلت : لقد صنعت اليوم أمرًا عظيمًا ، قال : « **وما هو ؟** » ، قلت : قبلت وأنا صائم ، قال : « **أرأيت لو تمضمضت من الماء ؟** » ، قال عمر : إذًا لا يضر ، قال : « **ففيم ؟** » [(١)] .

إذًا الأمر ليس خاصًا برسول الله ﷺ .

وهذا عبد الله بن مسعود ﷺ قال عنه عمرو بن شرحبيل : أن ابن مسعود كان يباشر امرأته بنصف النهار وهو صائم [(٢)] .

وهذا مسروق يسأل أم المؤمنين عائشة > : ما يحل للرجل من امرأته صائمًا ؟ قالت : كل شيء إلا الجماع [(٣)] .

والضابط في ذلك : أن يملك الصائم إربه ، ويقدر على ضبط نفسه ، وإن كان شيخًا ، فكم من شيخ لا يملك نفسه !

أما إذا قبل ولم يملك نفسه فأنزل فسد صومه وعليه القضاء دون الكفارة .

٣ـ أن يغتسل ويصب على رأسه للتبرد :

فالنبي ﷺ كان يغتسل حيت يدركه الفجر وهو جنب من أهله ، ثم يغتسل ويصوم ، وقد تقدم قريبًا .

وبوب الإمام البخاري بابًا سماه : « اغتسال الصائم » .

وكان النبي ﷺ يصبُ الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو الحر [(٤)] .

٤ـ المضمضة والاستنشاق من غير مبالغة :

فعن لقيط بن صبرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ... **وبالغ في الاستنشاق إلا أن**

---

(١) صحيح أبي داود (٢٣٨٥) .
(٢) **إسناده صحيح** : مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٦٣) .
(٣) **إسناده صحيح** : أخرجه عبد الرزاق (٨٤٣٩) .
(٤) صحيح أبي داود (٢٣٦٥) .

تكون صائمًا » [١] .

فالمضمضة لا تفطر ، ولكن ليحذر الذي يتمضمض أن يتسرب الماء إلى جوفه ، ولذا نهى رسول الله ﷺ عن المبالغة في الاستنشاق ، وكذلك المضمضة ، أما إذا دخل الماء إلى جوفه بدون اختيار فليس عليه شيء وصومه صحيح .

٥ـ تذوق الطعام للحاجة ما لم يصل إلى الجوف :

يجوز ذلك للحاجة بشرط عدم وصول هذا الشيء إلى الجوف ، فعن ابن عباس { قال : لا بأس أن يذوق الخل أو الشيء ، ما لم يدخل حلقه وهو صائم [٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : « وذوق الطعام يكره لغير حاجة ، لكن لا يفطره ، وأما للحاجة فهو كالمضمضة » [٣] .

وفي معنى التذوق : مضغ الطعام للحاجة ، فعن يونس عن الحسن قال : رأيته يمضغ للصبي طعامًا ، وهو صائم يمضغه من فيه ، يضعه في فم الصبي [٤] .

٦ـ استخدام السواك :

وهذا لقول رسول اله ﷺ : « **لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة** » [٥] .

وفي رواية أخرى عند الإمام مالك في الموطأ : « **لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء** » [٦] .

---

(١) صحيح أبي داود (١٤٢) .
(٢) **حسن لغيره** : أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤٧) ، وله مشاهد عند البخاري (٤/ ١٥٣) معلقًا .
(٣) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٦٦) .
(٤) **إسناده صحيح** : أخرجه عبد الرازق (٧٥١٢) .
(٥) البخاري (٨٨٧) .
(٦) **صحيح** : مالك (ص٦٣) ، وصحيح الجامع (٥٣١٧) ، وصحيح الترغيب والترهيب (٢٠٠) .

فلا يخص الرسول ﷺ الصائم دون غيره ، ففي هذه دلالة على أن السواك للصائم ولغيره عند كل وضوء وعند كل صلاة وهو ما ذهب إليه البخاري [١] .

وسئل ابن عباس عن السواك للصائم ؟ فقال : « نعم الطهور ، استك على كل حال » [٢] .

فائدة :

إذا كان السواك له طعم في الريق لا يبتلع طعمه ، وكذلك لو خرج دم من اللثة لا يبتلع ، واستخدام معجون الأسنان والفرشاة يجوز إذا أمن عدم نفوذه إلى الحلق ، والأولى تركه إلى الليل .

٧ـ الاكتحال والحقنة والقطرة وشم الطيب :

الكُحل لا يفسد الصوم ؛ لأن العين ليست منفذًا كالفم والأنف [٣] .

ولم يرد عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن ذلك ، وأما ما ورد أن النبي ﷺ أمر بالإثمد « الكحل » عند النوم وقال : « **ليتقه الصائم** » [٤] .

والثابت الصحيح : أن أنس بن مالك كان يكتحل وهو صائم [٥] .

وقال الأعمش : ما رأيت أحد من أصحابنا يكره الكحل للصائم ، وكان إبراهيم النخعي يرخص أن يكتحل الصائم بالصبر ، أي : الكحل [٦] .

إذًا يباح استعمال الكحل للصائم .

---

(١) فتح الباري (٤/ ١٨٧) .

(٢) **حسن** : رواه ابن أبي شيبة .

(٣) نداء الريان (٣/ ١٢٣) .

(٤) هذا حديث منكر في ضعيف أبي داود (٢٣٧٧) ، وقال أبو داود : قال لي يحيى بن معين : هو حديث منكر ، وعون المعبود (٧/ ٤) .

(٥) **حسن موقوف** : صحيح أبي داود (٢٣٧٨) .

(٦) حسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٧٩) .

وكذلك الروائح والبخور ، فيجوز شم الروائح والبخور ، ولا يفسد الصيام بشمها .

وكذلك الحقن بجميع أنواعها ؛ لأنها لا تعتبر طعامًا حتى ولو كانت حقن مغذية ، لأن العلة في التفطير بالأكل والشرب .

فكل الحقن حتى المغذية لا تفطر ؛ لأنها لا تعتبر طعامًا ، وعلى هذا فالحقن الشرجية التي تستفرغ ما في البدن لا تفطر ، وكذلك الحقن العضلية والجلدية والوريدية لا تفطر .

حقنة مريض السكري وهي « الأنسولين » لا تفطر .

والمنظار « أنبوب دقيق » في الشرايين للتصوير والعلاج لا يفطر .

قطرة العين ، والأنف والأذن لا تفطر .

بخاخ الربو ، وبخاخ الأنف لا يفطر .

الأقراص التي توضع تحت اللسان لعلاج الأزمات القلبية ، ليست أكلًا ولا شربًا ، لأن الفم يمتصها إلى القلب ولا يدخل شيء منها إلى المعدة .

وكذلك اللبوس عن طريق الدبر .

٨ ـ الحجامة والتبرع بالدم :

الحجامة والتبرع بالدم وما يلحق بهما لا تفطر إن لم يجلب التبرع ضعفًا بالبدن ، وذهب جمهور العلماء من أن الحجامة لا تفطر ، واستدلوا بحديث عبد الله بن عباس { الذي أخرجه البخاري وغيره أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم [١] .

بينما ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى أن الحجامة تفطر الصائم ، واستدل

---

(١) البخاري (١٩٣٩) .

بحديث : « **أفطر الحاجم والمحجوم** » [١] .

لكن الجمهور من العلماء على أن حديث : « **أفطر الحاجم والمحجوم** » ، منسوخ باحتجام النبي ﷺ وهو صائم .

وعلى هذا فرأي الجمهور بأن الحجامة لا تفطر ، خاصة إذا استحضرنا حديث ابن عباس { : « إن الفطر مما دخل ليس مما خرج » [٢] .

وعلى رأي جمهور العلماء أنه الحجامة لا تفطر الصائم كما سبق إيضاحه ، كذلك التبرع بالدم يجوز ولا يفطر والله أعلم [٣] .

فهذه الأمور السابق ذكرها لا تفسد الصوم على من فعلها .

تنبيه :

التنبيه إلى ضرورة أخذ الحذر والحيطة للصيام وتنقيته من كل شائبة تشوبه أو تنقصه ، فلقد كان السلف الصالح عليهم رضوان الله عليهم يحرصون على صيامهم أشد من حرصنا على دنيانا ، والله المستعان .

سادسًا : سنن وآداب الصيام « ما يستحب فعله »

١ـ السحور وتأخيره :

وهذا مما سنه رسول الله ﷺ :

والسحور : مما يؤكل في السحر ، أي : بعد منتصف الليل إلى الفجر ، وأراد بذلك أن يتقوى الصائم بسحوره هذا على جوعه وظمئه ، فقال ﷺ : « **تسحروا ، فإن في السحور بركة** » [٤] .

---

(١) أبو داود (٢٣٦٧) .

(٢) **صحيح** : ابن المنذر (١/ ١٨٥) .

(٣) فتاوى رمضان للشيخ مصطفى العدوي (ص٤٦، ٥٠) .

(٤) البخاري (١٩٢٣) ، ومسلم (١٠٩٥) .

وفيه تمييز كذلك لصيام المسلمين عن غيرهم ، وفي الصحيح : « **فصل ما بيننا صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور** » [١] .

والأصل في السحور أن يكون طعامًا يؤكل ، ولو شيئًا من التمر ، وإلا فأدنى ما يكفي شربة من ماء ، قال رسول الله ﷺ : « **تسحروا ولو بجرعة ماء** » [٢] .

ومن بركة السحور :

أولًا : الالتزام بالسنة عن رسول الله ﷺ .

ثانيًا : أن هذا السحور يقوي البدن على تحمل الجوع في نهار الصيام .

ثالثًا : أن الله وملائكته يصلون على المتسحرين ، قال رسول الله ﷺ : « **إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين** » [٣] .

رابعًا : صلاة الله على المتسحرين : أي ذكرهم في الملأ الأعلى .

وصلاة الملائكة : أي تظلُّ تدعو وتستغفر للمتسحرين .

خامسًا : القيام للسحور في هذا الوقت المبارك ، وهو وقت التنزل الإلهي في الثلث الأخير من الليل ، ولذا يستحب التأخير في السحور بخلاف الفطور ، فالسنة فيه التعجيل ، قال رسول الله ﷺ : « **عجلوا الإفطار وأخروا السحور** » [٤] .

وهذا التأخير يكون قبل الفجر ، وهذا الوقت حدده أنس بن مالك لزيد بن ثابت قال : تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة ، قلت : كم كان بين الأذان والسحور ؟ قال : قدر خمسين آية [٥] ، أي : عشرين دقيقة تقريبًا .

---

(١) مسلم (٢٥٤٥) .

(٢) **حسن** : ابن ماجه (٣٤٧٦) .

(٣) **صحيح** : أحمد في المسند (١٣٣٤) ، وانظر : السلسلة الصحيحة (٣٤٠٩) .

(٤) صحيح الجامع (٣٩٨٩) .

(٥) البخاري (١٩٢١) ، ومسلم (١٠٩٧) .

فائدة :

وإذا سمع الصائم أذان الفجر وطعامه أو شرابه في يده ، فله أن يتم أكلته أو شربته ، لحديث أبي هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « **إذا سمع أحدكم النداء ، والإناء على يده ، فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه** » (١) .

ويستحب لك يا عبد الله أن تجعل في سحورك تمرًا ، قال رسول الله ﷺ : « **نعم سحور المؤمن التمر** » (٢) .

ومما ينبغي التنبيه عنه في هذا المقام ما تعوده كثير من المسلمين من الإمساك مدة قبل الفجر من قبيل الاحتياط ، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر ~ : « من البدع المنكرة ما أُحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر ، بنحو ثلث ساعة في رمضان ، وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام ، زعمًا ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة ، ولا يُعلم بذلك إلا آحاد الناس ، وقد جرهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت ـ زعموا ـ فأخروا الفطور وعجلوا السحور ، وخالفوا السنة فلذلك قلَّ عنهم الخير ، وكثير فيهم الشر والله المستعان » (٣) .

رحم الله ابن حجر وصدق ، فقد قال الله تعالى : ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ [البقرة:١٨٧] .

٢ـ تعجيل الإفطار :

ويستحب تعجيل الإفطار فقد رغب النبي ﷺ بقوله وفعله .

---

(١) **صحيح** : أبو داود (٢٣٣٣) ، وفي صحيح الجامع (٦٠٧) .
(٢) **صحيح** : الترغيب والترهيب (١٠٧٢) .
(٣) فتح الباري (٥/ ١٠٢) .

فأما القول : ففي الصحيحين أنه ﷺ قال : « **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر** » [١] .

فالتعجيل يجلب الخير ، وهو سنة النبي ﷺ .

وأما سنته العملية ، فهذا أنس بن مالك « خادم النبي » يقول : كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي ، فإن لم تكن رطبات ، فعلى تمرات ، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء [٢] .

ويقول أنس أيضًا : ما رأيت رسول الله ﷺ صلى المغرب حتى يفطر ، ولو على شربة ماء [٣] .

ومعنى التعجيل أنه بمجرد غياب قرص الشمس من الأفق يفطر ، وفي الحديث الصحيح : « **إذا أقبل الليل من ههنا وغربت الشمس أفطر الصائم** » [٤] .

فكثير من الناس لا يعجلون بالفطر فنجدهم ينتظرون إلى أن يتشهد المؤذن ، أو إلى أن ينتهي المؤذن من أذانه ، وهذا مخالف لهدي رسول الله ﷺ .

فيستحب حين تسمع المؤذن يقول : « الله أكبر » أن تعجل بفطرك ، ولو على تمرة أو شربة ماء ، وقد أجمع العلماء على أنه إذا حلت صلاة المغرب حل الفطر [٥] .

فضائل وفوائد تعجيل الإفطار :

١ـ تعجيل الفطر يجلب الخير : قال رسول الله ﷺ : « **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر** » [٦] .

---

(١) **متفق عليه** : اللؤلؤ والمرجان (٦٦٧) .
(٢) أحمد في المسند (٣/ ١٦٤) .
(٣) ابن خزيمة في صحيحه (٢٠٦٣) .
(٤) **متفق عليه** : اللؤلؤ والمرجان (٦٦٨) .
(٥) الإقناع في مسائل الإجماع (١٢٧٨) .
(٦) البخاري (١٩٥٧) .

٢ـ تعجيل الفطر سنة رسول الله ﷺ ، فإذا عجلت الأمة فقد بقيت على سنة نبيها ﷺ ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم** » (١) ، أي : يؤخرون الإفطار إلى ظهور النجوم .

٣ـ في تعجيل الإفطار مخالفة لليهود والنصارى ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر ، فإن اليهود والنصارى يؤخرون** » (٢) .

٤ـ تعجيل الفطر من أخلاق النبوة : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث من أخلاق النبوة تعجيل الإفطار ، وتأخير السحور ، ووضع اليمين على الشمال في الصلاة** » (٣) .

٥ـ تعجيل الفطر أمر من الله لأنبيائه ، أفلا تريد أن تتأسى بالأنبياء ، قال رسول الله ﷺ : « **إنا ـ معشر الأنبياء ـ أمرنا أن نعجل إفطارنا ونؤخر سحورنا ، ونضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة** » (٤) .

إذًا فالسنة عن رسول الله ﷺ تعجيل الفطر ، تفطر على تمرات ثم تصلي المغرب ثم تذهب وتكمل أكلك بعد صلاة المغرب ، وهذا أفضل لدينك وجسمك .

ويستحب الدعاء عن الإفطار بالمأثور عن الرسول ﷺ ، عن ابن عمر { قال : كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال : « **ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله** » (٥) .

سابعًا : من مبطلات الصيام

١ـ الأكل والشرب عمدًا :

لأن هذا الأكل والشرب لم يحقق معنى الصوم ، حيث إن الصوم معناه الإمساك

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب (١٠٧٤) .
(٢) صحيح الجامع (٧٦٩٩) .
(٣) صحيح الجامع (٣٠٣٨) .
(٤) صحيح الجامع (٢٢٨٦) .
(٥) حسنه الألباني : أخرجه أبو داود (٢٣٥٧) ، وابن السني (٤٧٢) ، وانظر : الإرواء (٩٢٠) .

عن الطعام والشراب .

وعذاب شديد لمن أفطر في رمضان فأكل أو شرب عامدًا بدون عذر ، آه لو يعلمون ما هو مصيرهم ؟

ها هو النبي ﷺ رأى في رحلة المعراج قومًا معلقين من عراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا « أي : أنهم معلقون من أرجلهم مشققة تسيل منها الدماء ، فسأل النبي ﷺ : « **من هؤلاء ؟** » ، فقيل : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة الصيام » [(١)] .

ومن فعل ذلك فعليه التوبة إلى الله ، وأن يقضي هذا اليوم ، ويكثر من الحسنات ، وصيام النوافل لعل الله أن يتوب عليه .

حكم من أكل أو شرب ناسيًا في رمضان وفي غير رمضان :

من أكل أو شرب فليتم صومه لأن صومه صحيح سواء كان هذا في رمضان أو في غير رمضان ، سواء كان في صيام الفريضة أو صيام النافلة .

وهذا لقول رسول الله ﷺ : « **من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه** » [(٢)] .

ولقول رسول الله ﷺ : « **من أكل أو شرب ناسيًا فلا يفطر فإنما هو رزق رزقه الله** » [(٣)] .

ولقول رسول الله ﷺ : « **إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » [(٤)] .

---

(١) صحيح ابن خزيمة (١٩٨٦) .
(٢) البخاري (١٩٣٣) ، ومسلم (٢٧٠٩) .
(٣) صحيح الترمذي (٧٢١) .
(٤) صحيح ابن ماجه (١٦٧٥) .

تنبيه :

وهذا الحكم لمن أكل أو شرب ناسيًا في الفرض « صيام رمضان » وكذلك النافلة ؛ لأن كثيرًا من الناس يظن أن من أكل أو شرب ناسيًا في صيام النوافل يفطر ولا يتم صومه ، وهذا قول لا حجة عليه ، فالحديث النبوي مُطْلق يشمل صيام الفرض وصيام النافلة .

فأول المفطرات التي تبطل الصوم : الأكل والشرب عمدًا ، وهذا يوجب القضاء فقط .

٢ـ القيء عمدًا :

أي : استخراج ما في البطن هذا يبطل الصوم ، بخلاف من غلبه القيء ، وهذا لقول رسول الله ﷺ : « **من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ، ومن استقاء فليقض** »[(١)] .

قوله : « **من ذرعه** » أي : غلبه .

وقوله : « **من استقاء عمدًا** » أي : استدعى القيء ، وطلب خروجه تعمدًا .

وعلى هذا فمن غلبه القيء لا شيء عليه ويتم صومه ، والذي استقاء وطلبه بإرادته ، فهذا مفطر ، وعليه القضاء فقط .

٣ـ الحيض والنفاس :

أيضًا من المفطرات التي توجب القضاء عدة من أيام أُخر ، المرأة إذا كانت حائضًا أو نفساء .

فعن أم المؤمنين عائشة < قالت لما سئلت : هل تقضي الحائض الصوم

---

(١) صحيح أبي داود (٢٣٨٠) .

والصلاة ؟ قالت : كنا نؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة [١] .

وهذا رحمة الله بالنساء أن الصوم يعاد عدة من أيام أخر ؛ لأنه مرة واحدة في السنة ، أما الصلاة فإنها تتكرر كل يوم خمس مرات ، وفي قضائها مشقة .

إذًا الحيض والنفاس يوجبان على المرأة القضاء فقط عدة من أيام أخر .

٤ـ الجماع عامدًا متعمدًا في نهار رمضان :

الجماع مفطر ومبطل للصيام إذا كان فاعله متعمدًا ، وهذا في نهار رمضان ، فالله تعالى أحل الرفث إلى النساء والمعاشرة بهن طيلة الليل ، قال تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[البقرة:١٨٧]

وحكم من جامع زوجته في نهار رمضان عامدًا متعمدًا ، وجب عليه القضاء والكفارة .

الدليل : عن أبي هريرة ﷺ قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل ، فقال : يا رسول الله هلكت ، قال : « **ما لك ؟** » ، قال : وقعت على امرأتي وأنا صائم ، فقال رسول الله ﷺ : « **هل تجد رقبة تعتقها ؟** » . قال : لا . قال : « **فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟** » . قال : لا . فقال : « **فهل تجد إطعام ستين مسكينًا ؟** » . قال : لا . فمكث عند النبي ﷺ ، فبينا نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيها تمر ، والعرق المكتل ، قال : « **أين السائل ؟** » . فقال : أنا . قال : « **خذ هذا فتصدق به** » . فقال الرجل : أعلى أفقر مني يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت أفقر من أهل بيتي ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم

(١) البخاري (٣٢١) ، ومسلم (٧٦١) .

قال : « **أطعمه أهلك** » [١] .

هل الكفارة على الترتيب أم التراخي ؟

الكفارة الواجبة في الجماع على الترتيب عند جمهور الفقهاء ، أي : يجب العتق فإن عجز فالإطعام .

والدليل على ذلك أن أكثر الروايات تفيد أن رسول الله ﷺ طلب منه أن يعتق رقبة ، فلما أظهر عجزه طلب منه أن يصوم شهرين فلما ذكر عذره ، قال له : أطعم ستين مسكينًا .

فدل ذلك على أنها على الترتيب .

وهذه الكفارة خاصة بصيام رمضان ، أما إذا كان صيام قضاء مثلًا أو صيام نذر فلا كفارة فيه .

هل على المرأة كفارة إذا جامعها زوجها في نهار رمضان ؟

قال بذلك بعض الفقهاء ، لكن الراجح أنه ليس عليها كفارة ؛ لأن النبي ﷺ أمر الواطئ بالكفارة ، ولم يأمر المرأة بذلك .

وبعضهم فصل المسألة فقال : إن كانت مكرهة فلا كفارة عليها .

وإن كانت غير مكرهة وجبت عليها الكفارة .

إذًا على من جامع زوجه في نهار رمضان عامدًا متعمدًا عالمًا بالحرمة عليه القضاء والكفارة معًا .

فائدة :

إذا كان الرجل متزوجًا بأربع زوجات ، فوطئهن في يوم واحد ، لزمه كفارة

---

(١) البخاري (١٩٣٦) ، ومسلم (٢٥٩٠) .

واحدة عن الوطء الأول ولا يلزمه شيء عن باقي الوطئات [١] .

هل المعاصي تفطر الصائم ؟

إن الصيام عبادة تعمل على تزكية النفس ، وإحياء الضمير ، وتقوية الإيمان ، وإعداد الصائم ليكون من المتقين ، وهذه هي الحكمة من الصيام : « **لعلكم تتقون** » .

والصيام جنة ووقاية للإنسان من الذنوب والآثام .

فإن المعاصي لا تبطل الصوم ، وإن كانت تخدشه وتصيب منه ، بحسب صغرها أو كبرها .

مثل الذي يصوم ولا يصلي فهذا آثم ، وصيامه هذا غير كامل .

فهي أي المعاصي ، لا تبطل الصوم كالأكل والشرب ، ولكنها قد تذهب بأجره وتضيع ثوابه .

والحق أن هذه خسارة ليست بالهينة لمن يعقلون ، ولا يستهين بها إلا أحمق ، فإنه يجوع ويعطش ويحرم نفسه من شهواتها ، ثم يخرج في النهاية ورصيده « صفر » من الحساب .

نصيحة :

من لوث صومه بالمعاصي في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه ، فقد أضاع على نفسه فرصة التطهير ، ولم يستحق المغفرة الموعودة ، بل ربما أصابه ما دعا به جبريل عليه السلام وأمن عليه النبي ﷺ : « **رغم أنف امرئ أدرك رمضان ولم يغفر له** » ، « **قل : آمين ، فقلت : آمين** » [٢] .

---

(١) انظر : الصحيح من أحكام الصيام (ص١٣٧) .

(٢) ابن حبان في صحيحه .

ثامنا : قضاء رمضان

١ـ من كان عليه صيام أيام من رمضان ، أفطر فيه بعذر كالمريض والمسافر والحائض والنفساء ، والحامل والمرضع ، ومن شق عليه الصوم مشقة شديدة فأفطر ، فإذا زال عذره من المرض أو السفر قضى ما فاته بعدد الأيام التي أفطر فيها .

وهذا القضاء ثابت بالكتاب والسنة .

فقضاء المريض والمسافر بقوله تعالى : ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وأما قضاء الحامل والمرضع ثابت بسنة رسول الله ﷺ ، فعن أم المؤمنين عائشة < : « كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » .

زمن القضاء :

ليس للقضاء زمن محدد ؛ لأن ربنا سبحانه وتعالى لم يحدد في كتابه زمنًا لهذا القضاء ، فعليه فالأمر فيه سعة .

ولذا لا يأثم بالتأخير ما دام في نيته القضاء ؛ لأن وجوب القضاء على التراخي فالله قال : ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ولم يشترط فيها التتابع ، وهذا من يسر الله تعالى ولذا جاء بعدها : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ .

وكانت أم المؤمنين عائشة < تقول : « كان يكون عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان » [1] .

فصنيعُ عائشة < على الاستحباب حتى لا يتراكم عليها أيام من رمضان .

والأولى المسارعة في قضاء حق الله تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] .

---

(١) البخاري (١٩٥٠) ، ومسلم (١١٤٦) .

تنبيه :

ينبغي أن يراعى في قضاء أيام رمضان ألا تقضى في أيام نُهي عن صيامها كيومي العيد وأيام التشريق .

ويجوز القضاء في يوم الجمعة ويوم السبت ولو منفردًا لقضاء صوم رمضان .

ومن أتى عليه رمضان آخر ، ولم يقض ما عليه من رمضان الفائت ، فإن كان بعذر ، فلا شيء عليه بالإجماع إلا القضاء ، لأنه معذور في تأخيره ، وإن كان تأخيره للقضاء بغير عذر ، فقد جاء عن عدد من الصحابة أنه عليه عن كل يوم إطعام مسكين ، كفارة عن تأخيره .

وأخذ بذلك مالك والثوري والشافعي وأحمد وغيرهم »[1] .

وهناك رأي آخر : أنه لا شيء على من كان عليه قضاء وتراخى فيه بغير عذر لا شيء عليه إلا القضاء دون الكفارة ، لأنه لم يثبت في ذلك شيء صح رفعه إلى النبي ﷺ ، وغاية ما فيه آثار عن جماعة من الصحابة من أقوالهم ، وهذا على سبيل الاستحباب لا الواجب ، من باب جبر التقصير بالصدقة ، وهو أمر مندوب إليه ، أما الوجوب فيحتاج إلى نص من المعصوم ولم يوجد ، والله أعلم .

القضاء عمن مات وعليه صيام :

إذا مات المريض أو المسافر ، وهما على حالهما من المرض والسفر لم يلزم القضاء عنهما .

وتبرأ ذمة المتوفى الذي عليه القضاء بأحد أمرين :

الأول : أن يصوم عن وليه .

وهذا لحديث أم المؤمنين عائشة > قالت : قال رسول الله ﷺ : « **من مات**

---

(١) المغني لابن قدامة (٢/ ٨١) .

وعليه صيام صام عنه وليه » [١] .

وهذا من باب البر والصلة ، ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ عن ابن عباس { قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أمي ماتت وعليها صوم شهر ، أفأقضيه عنها ؟ قال : « **نعم فدين الله أحق أن يقضى** » [٢] .

فالصحيح جواز الصيام عن الميت لا الوجوب ، وبه تبرأ ذمة الميت .

الثاني : إما بالإطعام عنه .

أي : بإخراج طعام مسكين عن كل يوم أفطره من تركته وجوبًا ، لأنه دين لله تعالى ، ودين الله أحق أن يقضى ، سواء أوصى بذلك أو لم يوص فهذا دين عليه ، والله تعالى قال : ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء:١١] .

تاسعًا : صيام التطوع [٣]

رغب الشرع في صيام أيام غير رمضان وهي :

١ـ ستة أيام من شوال :

يستحب أن يُتبع رمضان بصيام ستة أيام من شوال ـ لا يشترط تتابعها ـ لأن هذا يعدل صيام الدهر ، فعني أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : « **من صام رمضان ، ثم أتبعه ستًّا من شوال ، كان كصيام الدهر** » [٤] .

وإنما كان ذلك كصيام الدهر ؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها ، فرمضان بعشرة أشهر ، والستة بشهرين ، كما في حديث عن النبي ﷺ قال : « **من صام رمضان ، فشهر**

---

(١) **متفق عليه** : اللؤلؤ والمرجان (٧٠٤) .

(٢) اللؤلؤ والمرجان (٧٠٥) .

(٣) انظر : كتاب صيام التطوع فضائل وأحكام ، لأسامة عبد العزيز .

(٤) **صحيح** : مسلم (١١٦٤) ، وأبو داود (٢٤٣٣) ، والترمذي (٧٥٩) ، والنسائي في الكبرى (٢٨٦٢) ، وابن ماجه (١٧١٦) .

بعشرة أشهر ، وصيام ستة أيام بعد الفطر ، فذلك تمام السنة » [١] .

وقد استحب صيام هذه الستة كثير من أهل العلم منهم : الشافعي وأحمد ، وذهب أبو حنيفة وأبو يوسف ومالك إلى كراهة صيامها لئلا يُعتقد وجوب صيامها إلحاقًا برمضان ، ولا وجه لهذه الكراهة لمعارضتها النص الصريح باستحبابها ، ثم إن الإلحاق إنما يكون في أوَّل الشهر ، أما في آخره ـ أي رمضان ـ فقد فصل بينه وبين غيره بيوم العيد الذي لا يجوز صومه [٢] .

من كان عليه قضاء من رمضان هل يصوم الستة قبل القضاء ؟

الظاهر من حديث أبي أيوب المتقدم أن حوز فضيلة ثواب صوم الدهر مشروط بصيام رمضان ثم إتباعه بستة من شوال ، فلا يقدم صيام الستة على قضاء رمضان [٣] ، قلت : إلا أن يقال إن قوله : « ثم أتبعه ستًا » خرج من مخرج الغالب فليس له مفهوم ، فيجوز حينئذٍ صيام الستة قبل قضاء رمضان ، لاسيما لمن ضاق عليه شوال لو قضى ، وهذا يحتمله إطلاق حديث ثوبان والله أعلم .

٢، ٣ ـ صيام المحرم ، وتأكيد التاسع والعاشر « عاشوراء » :

يستحب الإكثار من الصيام في شهر المحرم ، لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل** » [٤] .

ويتأكد الاستحباب في صيام العاشر من المحرم « عاشوراء » ، فعن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال : « **صيام يوم عاشوراء ، أحتسب على الله أن يكفِّر السنة التي**

---

(١) **صحيح** : أحمد (٥/ ٢٨٠) ، والنسائي في الكبرى (٢٨٦٠) ، وبن ماجه (١٧١٥) .
(٢) شرح مسلم للنووي (٣/ ٢٣٨) ، و شرح العمدة (٢/ ٥٥٦) ، و المغني (٤/ ٤٣٨) ، وفتح القدير (٢/ ٣٤٩) ، وحاشية ابن عابدين (٣/ ٤٢١) ، والاستذكار (١٠/ ٢٥٩) .
(٣) أفاده العلامة ابن عثيمين ~ كما في الممتع (٦/ ٤٤٨) .
(٤) **صحيح** : مسلم (١١٦٣) ، والنسائي في الكبرى (٢٩٠٥) ، وابن ماجه (١٧٤٢) .

قبله » [١] .

وسئل ابن عباس عن صيام يوم عاشوراء ؟ فقال : « ما علمت أن رسول الله ﷺ صام يومًا يطلب فضله على الأيام إلا هذا اليوم ، ولا شهرًا إلا هذا الشهر ، يعني رمضان » [٢] .

ويستحب أن يصوم قبله يوم التاسع من المحرم ، لحديث ابن عباس قال : صام رسول الله ﷺ عاشوراء ، وأمر بصيامه ، قالوا : يا رسول الله ، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال رسول الله ﷺ : « **فإن كان العامل المقبل ـ إن شاء الله ـ صمنا اليوم التاسع** » ، قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ [٣] .

وقد ذهب إلى استحباب الجمع بين صيام التاسع والعاشر من المحرم : مالك والشافعي وأحمد حتى لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر [٤] .

تنبيه : ذهب بعض العلماء إلى استحباب صيام الحادي عشر مع التاسع والعاشر مستدلين بما رُوي عن ابن عباس { أن النبي ﷺ قال : « **صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود ، صوموا قبله يومًا وبعده يومًا** » [٥] .

لكنه حديث ضعيف جدًّا فليس فيه حجة لاستحباب صيام الحادي عشر ، فليتنبه ، والله أعلم .

٤ـ الإكثار من الصيام في شعبان :

فقد كان النبي ﷺ يصومه كله إلا قليلًا فعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ

---

(١) **صحيح** : مسلم (١١٦٢) .
(٢) **صحيح** : البخاري (٢٠٠٦) ، ومسلم (١١٣٢) .
(٣) **صحيح** : مسلم (١١٣٤) .
(٤) شرح الزرقاني (٢/ ٢٣٧) ، والمجموع (٦/ ٣٨٣) .
(٥) **ضعيف جدًّا** : أخرجه أحمد (٢٤١٨) ، والحميدي (٤٨٥) ، وابن خزيمة (٢٠٩٥) ، وغيرهم .

يصوم حتى نقول : لا يُفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان [١] .

تنبيهان :

الأول : تخصيص صيام يوم النصف من شعبان بدعة :

فمن لم يكن من عادته الإكثار من صيام شعبان ، أو صيام الأيام الثلاثة البيض ، فتخصيصه يوم الخامس عشر من شعبان بالصيام معتقدًا اختصاصه بفضيلة ، ففعله بدعة إذ لا يصح في فضل النصف من شعبان ولا صيامه حديث عن رسول الله ﷺ ، وكل ما ورد في هذا ، فهو شديد الضعف أو موضوع كحديث علي مرفوعًا : « **إذا كانت ليلة النصف من شعبان ، فقوموا ليلها وصوموا نهارها** » [٢] .

الثاني : لا يثبت النهي عن الصيام بعد انتصاف شعبان :

اختلف العلماء في صيام التطوع بعد انتصاف شعبان ، فذهب الجمهور إلى جوازه ، وذهب الشافعية إلى كراهته ، مستدلين بحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا انتصف شعبان فلا تصموا** » [٣] لكنه ضعيف ـ على الراجح ـ وقد أنكره الأئمة الذي يعمل بقولهم في هذا الشأن ، فلا حرج في الصيام بعد انتصاف شعبان ، ويؤيد هذا الأحاديث الصحيحة ، كحديث عائشة المتقدم في صيام النبي ﷺ لأكثر شعبان ، وحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **لا يتقدمنَّ أحدكم في رمضان بصوم يوم أو يومين ، إلا أن يكون رجلًا كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم** » [٤] ،

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (١٩٦٩) ، ومسلم (١١٥٦) .

(٢) **ضعيف جدًّا** : ابن ماجه (١٣٨٨) .

(٣) **منكر** : أبو داود (٢٣٣٧) ، والترمذي (٧٣٨) ، والنسائي في الكبرى (٢٩١١) ، وابن ماجه (١٦٥١) ، وأحمد (٢/ ٤٤٢) ، وقد أنكره عبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد ، ويحيى بن معين ، وأبو زرعة وغيرهم .

(٤) **صحيح** : البخاري (١٩١٤) ، ومسلم (١٠٨٢) .

ففيه النهي عن صوم يوم أو يومين فقط ، من آخر شعبان خشية أن يزداد في الشهر ويلحق به ما ليس منه ، إلا أن يكون صومًا اعتاده فلا بأس ، وعن أم سلمة قالت : ما رأيت النبي ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان [١] .

٥ـ صيام يوم عرفة لغير الحاج :

يستحب للحاج أن يصوم يوم عرفة ، لحديث أبي قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « **صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله ، والسنة التي بعده** » [٢] .

وتكفير السنتين إما أن يراد به أن الله تعالى يغفر له ذنوب سنتين « إذا اجتنبت الكبائر » أو أنه يعصمه في هاتين السنتين ، فلا يعصي فيهما [٣] .

لا يستحب للحاج صيام عرفة : فقد كان هدي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ، الفطر يوم عرفة بعرفة ، فعن ميمونة < : « أن الناس شكوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة ، فأرسلت إليه بحلاب ـ وهو واقف في الموقف ـ فشرب منه ، والناس ينظرون » [٤] .

وسئل ابن عمر عن صوم يوم عرفة بعرفة ، فقال : « حججت مع النبي ﷺ فلم يصمه ، ومع أبي بكر فلم يصمه ، ومع عمر فلم يصمه ، ومع عثمان فلم يصمه ، وأنا لا أصومه ، ولا آمر بصومه ، ولا أنهي عنه » [٥] .

والأفضل للحاج أن يفطر يوم عرفة اقتداء بالنبي ﷺ وخلفائه ، ولما فيه من التقوية على الدعاء والذكر في هذا الموقف ، وهذا مذهب جمهور العلماء [٦] .

---

(١) **صحيح** : الترمذي (٧٢٦) ، والنسائي (٤/ ١٥٠) ، وابن ماجه (١٦٤٨) ، وأحمد (٦/ ٢٩٣) .
(٢) **صحيح** : مسلم (١١٦٢) .
(٣) المجموع للنووي (٦/ ٣٨١) بنحوه .
(٤) **صحيح** : البخاري (١٩٨٩) ، ومسلم (١١٢٤) .
(٥) **صحيح** : الترمذي (٧٥١) ، والنسائي في الكبرى (٢٨٢٦) ، وأحمد (٢/ ٤٧) .
(٦) المجموع (٦/ ٣٨٠) ، والتمهيد (٢١/ ١٥٨) ، وشرح العمدة لشيخ الإسلام (٢/ ٧٦٢) .

٦ـ صيام الاثنين والخميس :

فعن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم يومي الاثنين والخميس »[(١)] .

وسأل أسامة بن زيد رسول الله ﷺ عن صيامه الاثنين والخميس ، فقال ﷺ : « **ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين ، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم** »[(٢)] .

٧ـ صيام ثلاثة أيام من كل شهر :

فعن أبي هريرة قال : « أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام »[(٣)] .

وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو { : « **صم من الشهر ثلاثة أيام ، فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر** »[(٤)] .

ويستحب أن تكون الثلاثة البيض : وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر القمري ، لقول النبي ﷺ : « **صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، صيام الدهر ، أيام البيض صبيحة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة** »[(٥)] .

٨ـ صوم يوم وإفطار يوم « صوم داود عليه السلام » :

وهذا أفضل الصيام وأعدله ، وأحبه إلى الله ﷻ ، فعن عبد الله بن عمرو { قال : قال رسول الله ﷺ : « **أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام ، وأحب الصوم إلى الله صيام داود ، وكان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يومًا**

---

(١) **صحيح** : الترمذي (٧٥٤) ، والنسائي (٢١٨٦) ، وابن ماجه (١٧٣٩) .
(٢) **حسن** : النسائي (٢٣٥٧) ، وأحمد (٥/ ٢٠١) ، والبيهقي في الشعب (٣٨٢١) .
(٣) **صحيح** : البخاري (١٩٨١) ، ومسلم (٧٢١) .
(٤) **صحيح** : البخاري (١٩٦٧) ، ومسلم (١١٥٩) .
(٥) **صحيح لشواهده** : أخرجه النسائي (٢٤١٩) ، وأبو يعلي (٧٥٠٤) ، والطبراني في الكبير (٢/ ٢٤٩٩) .

ويفطر يومًا »[١] .

وفي رواية : « **وهو أعدل الصيام** »[٢] .

لكن هذا مشروط بمن لم يضيع ما أوجب الله عليه بسبب الصيام ، فإن ضيع الفرائض أو انشغل به عن مؤنة أهله كان منهيًا عنه[٣] .

فائدة :

يستحب ألا يخلي شهرًا من صوم .

عن عبد الله بن شقيق ، قال : قلت لعائشة : هل كان النبي ﷺ يصوم يومًا معلومًا سوى رمضان ؟ قالت : والله إن صام شهرًا معلومًا سوى رمضان حتى مضى لوجهه ، ولا أفطر حتى يصيب منه[٤] .

فيستحب ألا يخلي شهرًا من صيام ، فإن النفل غير مختص بزمان معين ، بل السنة كلها صالحة له إلا ما نهى عن صومه وإن كان الأفضل الصيام من الأيام التي رغب الشرع في صيامها والله أعلم .

عاشرًا : الأيام المنهي عن صيامها والمكروه صيامها

١ ، ٢ ـ يوما العيدين :

أجمع العلماء على تحريم صوم يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى بكل حال ، سواء صامها عن نذر أو تطوع أو كفارة أو غير ذلك[٥] .

لحديث أبي عبيد مولى ابن أزهر قال : شهدت العيد مع عمر بن الخطاب ﷺ فقال : هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما : يوم فطركم من صيامكم ،

---

(١) **صحيح** : البخاري (١١٣١) ، ومسلم (١١٥٩) .
(٢) **صحيح** : البخاري (١٩٧٦) ، ومسلم (١١٥٩) .
(٣) مستفاد من الشرح الممتع لابن عثيمين ~ (٦/ ٤٧٤) .
(٤) صحيح : أخرجه مسلم (١١٥٦) .
(٥) شرح مسلم للنووي (٣/ ٢٠٧) ، والمغني (٤/ ٤٢٤) ، وفتح الباري (٤/ ٢٨١) .

واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم »[١] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ « أن رسول الله ﷺ نهى عن صيام يومين : يوم الفطر ويوم النحر »[٢] .

٣ـ أيام التشريق[٣] :

ولا يجوز صومها تطوعًا في قول أكثر أهل العلم ، لحديث نُبيشة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ : « **أيام التشريق أيام أكل وشرب** »[٤] .

وعن أبي مرة مولى أم هانئ ، أنه دخل مع عبد الله بن عمرو على أبيه عمرو بن العاص ، فقرب إليهما طعامًا فقال : « كُل ، فقال : إني صائم ، فقال عمرو : كُلْ ، فهذه الأيام التي كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نفطرها ، وينهانا عن صيامها »[٥] .

لكن يرخص للحاج الذي لم يجد الهدي أن يصوم ـ كما سيأتي ـ فعن عائشة وابن عمر قالا : « لم يُرخص في أيام التشريق أن يُصَمْن إلا لمن لم يجد الهدي »[٦] .

٤ـ صوم يوم الجمعة منفردًا :

لا يجوز صوم يوم الجمعة إلا لمن صام يومًا قبله ، أو يومًا بعده ، أو كان يصوم يومًا ويفطر يومًا فصادف صيامه الجمعة فلا بأس بذلك .

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا**

---

(١) **صحيح** : البخاري (١٩٩٠) ، ومسلم (١١٣٧) .

(٢) **صحيح** : البخاري (١٩٩١) ، ومسلم (١١٣٨) .

(٣) هي الأيام الثلاثة بعد يوم النحر « يوم عيد الأضحى » وهي ثاني وثالث ورابع أيام عيد الأضحى .

(٤) **صحيح** : مسلم (١١٤١) .

(٥) **صحيح** : أبو داود (٢٤١٨) ، وأحمد (٤/ ١٩٧) .

(٦) **صحيح** : البخاري (١٩٩٧، ١٩٩٨) .

أن يصوم قبله أو يصوم بعده » [١] .

وعن جويرية بنت الحارث < ، أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة ، وهي صائمة ، فقال : « **أَصُمت أمس ؟** » ، قالت : لا ، قال : « **تريدين أن تصومي غدًا** » ، قالت : لا ، قال : « **فأفطري** » [٢] .

وهذا مذهب الشافعي وأحمد ، وخالف في هذا أبو حنيفة ومالك فقالوا : لا يكره [٣] ، واستدل الحنفية بحديث ابن مسعود : « كان رسول الله ﷺ يصوم ثلاثة أيام من غرة كل شهر ، وقلما يفطر يوم الجمعة » [٤] .

ويجاب عنه بأجوبة : منها أن الأظهر أنه ضعيف ، وعلى فرض صحته فيحمل على أنه ﷺ كان يصوم يومًا قبله أو بعده معه ومع الاحتمال لا يتم الاستدلال [٥] ، ثم إن هذا فعل وذاك قول ، والقول مقدم ، على الفعل عند التعارض وعدم إمكان الجمع .

وأما مالك ~ فلم يبلغه النهي ، ومن علم حجة على من لم يعلم .

فائدة :

إذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة فلا حرج في إفراده بالصيام ، فإن النهي إنما هو عن تعمده بعينه ، والله أعلم [٦] .

---

(١) **صحيح** : البخاري (١٩٨٥) ، ومسلم (١١٤٤) .

(٢) **صحيح** : البخاري (١٩٨٤) ، ومسلم (١١٤٣) .

(٣) حاشية ابن عابدين (٣/ ٣٣٦) ، والموطأ (١/ ٣٣٠) ، وشرح مسلم (٣/ ٢١٠) ، والمغني (٤/ ٤٢٧) .

(٤) **إسناده لين** : أخرجه أبو داود (٢٤٥٠) ، والترمذي (٧٤٢) ، والنسائي (٢٣٦٧) ، وابن ماجه (١٧٢٥) ، من طريقة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ، وعاصم له أوهام وروايته عن زر فيها مقال .

(٥) التلخيص (٢/ ٢١٦) ، وسبل السلام (٢/ ٣٤٧) .

(٦) شرح العمدة (٢/ ٦٥٢) ، والزاد (٢/ ٨٦) .

٥ـ صيام يوم الشك :

لا يجوز أن يستقبل رمضان بصيام يوم أو يومين على نية الاحتياط لرمضان ، وهذا لمن لم يصادف عادة له [١] ، أو يصله بما قبله ، فإن لم يصِل ولا صادف عادة فهو حرام ، لحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم ولا يومين ، إلا أن يكون رجلًا كان يصوم صومه ، فليصم ذلك اليوم** » [٢] .

وعن عمار بن ياسر قال : « من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ » [٣] .

٦ـ صيام الدهر :

عن عبد الله بن عمرو { أن النبي ﷺ لما بلغه أنه يسرد الصوم قال له : « **لا صام من صام الأبد ، لا صام من صام الأبد ، لا صام من صام الأبد** » [٤] .

وفي حديث أبي قتادة ، قال عمر : يا رسول الله ، كيف بمن يصوم الدهر كله ؟ قال : « **لا صام ولا أفطر** » [٥] .

فيكره صوم الدهر ، وإن لم يجد مشقة أو ضعفًا ، وكذلك لو لم يصم الأيام المنهي عن صيامها ، فإن صامها كذلك فيحرم عليه ، والله أعلم .

هل يُشرع صيام رجب ؟

لم يصح في فضل صيام رجب بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ،

---

(١) كأن تكون عادته صوم يوم ، وفطر يوم ، أو صوم الاثنين والخميس ونحوه .
(٢) **صحيح** : البخاري (١٩١٤) ، ومسلم (١٠٨٢) .
(٣) **صحيح** : أبو داود (٢٣٣٤) ، والترمذي (٦٨١) ، والنسائي (٤/ ١٥٣) ، وابن ماجه (١٦٤٥) .
(٤) **صحيح** : البخاري (١٩٧٧) ، ومسلم (١١٥٩) .
(٥) **صحيح** : مسلم (١١٦٢) .

فأحاديثه كلها ضعيفة ، بل موضوعة مكذوبة [١] .

فلا يجوز تحري صيام رجب خاصة أو تخصيص أوله بصيام ، وقد كان عمر يضرب على صيامه ، فعن خرشة بن الحر قال : « رأيت عمر يضرب أكف الناس في رجب حتى يضعوها في الجفان ، ويقول : كلوا ، فإنما هو شهر كان يعظمه أهل الجاهلية » [٢] .

وعن محمد بن زيد قال : « كان ابن عمر إذا رأى الناس وما يعدون لرجب كره ذلك » [٣] .

وعن عطاء قال : « كان ابن عباس ينهى عن صيام رجب كله ؛ لأن لا يتخذ عيدًا » [٤] .

وذهب بعض أهل العلم إلى استحباب صيام رجب لكونه من الأشهر الحرم [٥] .

قلت : الأشهر الحرم قد خصها الله تعالى بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفًا لها وإن كان منهيًّا عنه في كل زمان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾ [التوبة:٣٦] .

فهذا نهي عن ارتكاب الذنوب في هذه الأشهر لعظم حرمتها عند الله تعالى ، وأن العقاب قد يضاعف فيها على الذنوب ، وكذلك يُضاعف الثواب على العمل الصالح ، لكن هل يعني هذا أن تخصص هذه الأشهر بصيام من بين الشهور ، لاسيما ولا يصح في هذا شيء عن رسول الله ﷺ وإنما ورد أن النبي ﷺ قال للرجل

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٩٠) ، ولطائف المعارف (ص٢٢٨) ، والسيل الجرار (٢/ ١٤٣) .
(٢) **صحيح** : ابن أبي شيبة (٣/ ١٠٢) ، وابن كثير في مسند الفاروق (١/ ٢٨٥) .
(٣) **صحيح** : ابن أبي شيبة (٣/ ١٠٢) .
(٤) **صحيح** : عبد الرزاق (٧٨٥٤) .
(٥) المجموع (٦/ ٣٨٦) ، ومقدمات ابن رشد (١/ ٢٤٢) ، ونيل الأوطار (٤/ ٢٩٣) .

الباهلي : « **صم من الحرم واترك** » [١] وهو ضعيف ؟

هذا على أن لتفسير الآية الكريمة وجهًا آخر ، وهذا أن المراد بقوله تعالى : ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ لا تصيروا حرام هذه الأشهر حلالًا وحلالها حرامًا [٢] .

فالثابت هو الصيام في المحرم كما تقدم بيانه ، أما صيام رجب وتخصيصه بذلك ـ لاسيما مع اعتقاد أفضليته ـ فلا يجوز ، فإن صام منه غير معظم لأمر الجاهلية ، من غير أن يجعله حتمًا ، أو يخص منه أيامًا يواظب على صومها أو ليالي معينة يواظب على قيامها ، بحيث يظن أنه سنة ، إن خلا صيامه من هذا فلا بأس حينئذٍ والله أعلم [٣] .

حكم إفراد السبت بالصوم :

عن عبد الله بن بُسر عن أخته أن النبي ﷺ قال : « **لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم ، وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة ، أو عود شجرة فليمضغه** » [٤] .

وقد اختلف أهل العلم في فقه هذا الحديث على قولين :

الأول : جواز صيام السبت تطوعًا ولو مفردًا : وهذا مذهب مالك ، ويفهم من كلام أحمد ، واختاره ابن تيمية وابن القيم [٥] ، وهؤلاء ضعَّفوا الحديث ، وقدموا عليه الأحاديث الصحاح التي تحث على صيام عرفة وست من شوال وعاشوراء وصيام ثلاثة أيام البيض وصيام يوم وإفطار يوم ، فلابد أن يوافق أحد هذه الأيام

---

(١) **ضعيف** : أخرجه أبو داود (٢٤٢٨) ، والنسائي في الكبرى (٢٧٤٣) ، وأحمد (٥/ ٢٨) .
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٦٦) .
(٣) انظر : تبيين العجب بما ورد في فضل رجب للحافظ ابن حجر (ص٧٠) .
(٤) أعلَّه الأئمة : أخرجه أبو داود (٢٤٢١) ، والترمذي (٧٤٤) ، والنسائي في الكبرى (٢٧٦٢) ، وابن ماجه (١٧٢٦) ، وأحمد (٦/ ٣٦٨) ، وقال مالك : كذب ، وقال أبو داود : منسوخ ، وقال الحافظ : مضطرب ، وقال الطحاوي : شاذ ، وكذا شيخ الإسلام وغيرهم .
(٥)الإنصاف (٣/ ٣٤٧) ، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٧٥) ، ومختصر السنن (٣/ ٢٩٨) .

يوم السبت !!

وكذلك حديث صيام يوم قبل الجمعة أو يومًا بعده ، وقول النبي ﷺ لجويرية لما صامت الجمعة : « **أتريدين أن تصومي غدًا** » ... وكل هذا تقدم .

الثاني : كراهة إفراد السبت بالصيام : وهذا هو مذهب الجمهور : الحنفية والشافعية والحنابلة [١] ، وقد حملوا هذا الحديث على المنع من إفراده بالصوم لأنه تشبه باليهود ، وأيدوا هذا بما رُوي عن ابن عباس أن أم سلمة قالت : إن رسول الله ﷺ أكثر ما كان يصوم من الأيام يوم السبت والأحد ، كان يقول : « **إنهما عيدان للمشركين وأنا أريد أن أخالفهم** » [٢] .

قلت : أما حديث عبد الله بن بسر فقد تضافرت أقوال الأئمة على إعلاله وعليه فلا حرج في صيامه لاسيما إن وافق يومًا ندب الشرع إلى صيامه ، والله أعلم .

كراهة وصِال الصوم :

يكره مواصلة الصوم ومتابعة بعضه بعضًا دون فطر أو سحور ، لقول النبي ﷺ : « **إياكم والوصال** » ، قالها ثلاثًا ، قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله ؟ قال « **إنكم لستم في ذلك مثلي ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون** » [٣] ، لكن إذا لم تكن هناك مشقة فلا بأس بالوصال إلى السحر فقط ، لقوله ﷺ : « **لا تواصلوا ، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر** » [٤] ، وإذا شق عليه يحرم عليه الصوم أصلًا ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩] [٥] .

---

(١) المجموع (٦/ ٤٤٠) ، والبدائع (٢/ ٧٩) ، والمغني (٤/ ٤٢٨) .

(٢) **ضعيف** : أخرجه النسائي في الكبرى (٢٧٧٦) ، وأحمد (٦/ ٣٢٣) ، وغيرهما بسند ضعيف .

(٣) **صحيح** : البخاري (١٩٦٦) ، ومسلم (١١٠٣) عن أبي هريرة .

(٤) **صحيح** : البخاري (١٩٦٧) ، وأبو داود (٢٣٤٤) .

(٥) المغني لابن قدامة (٣/ ٣٦٤) ، والمجموع للنووي (٦/ ٢٥٨) .

حادي عشر : أحكام متفرقة

١ـ تبييت النية من الليل : تقدم في « شروط صحة الصيام » أن مذهب الجمهور جواز إنشاء نية صيام التطوع أثناء النهار [(١)] لمن لم يأكل أو يشرب وأراد أن يصوم ، وأنه لا يشترط تبييتها من الليل كصيام الفرض ، لكن تبييتها قبل الفجر أحوط لاحتمال الأدلة .

٢ـ المتطوع أمير نفسه إن شاء أتم صومه وإن شاء أفطر ولا قضاء عليه : من دخل في صوم تطوع فإن المستحب له أن يُتمَّه ، لكن إن بدا له أن يفطر فله ذلك ، ولا قضاء عليه ، وبه قال الشافعي وأحمد [(٢)] .

واحتجوا بما رُوي عن أم هانئ : أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوم الفتح ، فأُتي بشراب فشرب ، ثم ناولني ، فقلت : إني صائمة ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن المتطوع أمير نفسه ، فإن شئت فصومي ، وإن شئت فأفطري** » [(٣)] .

قلت : وهذا حديث ضعيف ، لكن يشهد لمعناه حديث أبي جحيفة قال : « آخى النبي ﷺ بين سليمان وأبي الدرداء ، فصنع « أي سليمان » له طعامًا ، فقال : كُلْ ، قال : إني صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقًا ، ولنفسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، فأعط كل ذي حق حق ، فأتى النبي ﷺ فذكر له ، فقال النبي ﷺ : « **صدق سلمان** » [(٤)] .

وفيه أن أبا الدرادء أفطر ، ولم يأمره النبي ﷺ بالقضاء .

وحديث عائشة قالت : قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم : « **يا عائشة ، هل عندكم**

---

(١) عند أبي حنيفة والشافعي في المشهور عنه : لا تصح النية إلا قبل الزوال ، وعند أحمد وقول للشافعي : أنه يصح في أي وقت من النهار وهذا قول أكثر السلف وهو الأعدل ، والله أعلم .
(٢) المجموع (٦/ ٣٩٣) ، وشرح العمدة (٢/ ٦٠١) .
(٣) **ضعيف** : الترمذي (٧٣٢) ، والنسائي في الكبرى (٣٣٠٢) ، وأحمد (٦/ ٣٤١) .
(٤) **صحيح** : البخاري (١٩٦٨) .

شيء ؟ » ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، ما عندنا شيء ، قال : « **فإني صائم** » ، قالت : فخرج رسول الله ﷺ فأهديت لنا هدية ، أو جاءنا زور ، فلما رجع رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله ، أهديت لنا هدية ، أو جاءنا زور ، وقد خبأت لك شيئًا ، قال : « **ما هو ؟** » ، قلت : حيس ، قال : « **هاتيه** » ، فجئت به فأكل ، ثم قال : « **قد كنت أصبحت صائمًا** » [(١)] .

وهذا نص في جواز الإفطار بعد إجماع الصيام ، وقد ثبت هذا عن ابن عباس وابن مسعود وجابر بأسانيد صحيحة [(٢)] .

وذهب أبو حنيفة ومالك إلى أن من أصبح متطوعًا فأفطر متعمدًا فعليه القضاء [(٣)] ، واحتجوا بما رُوي عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها ولحفصة لما كانتا صائمتين فأكلتا : « **اقضيا يومًا آخر مكانه** » [(٤)] وهو ضعيف .

واحتجوا بزيادة وردت في حديث عائشة ـ في فطره ﷺ بعد صيامه ـ وهي قوله : « **إني كنت أردت الصوم ، ولكن أصوم يومًا مكانه** » [(٥)] ، وهي شاذة ، وقاسوا إتمام التطوع على إتمام الحج والعمرة ، وهذا قياس مع الفارق ، فإن من أفسد صلاته أو صيامه كان عاصيًا لو تمادى فيه فاسدًا ، أما في الحج فهو مأمور بالتمادي فيه فاسدًا ، ولا يجوز له الخروج منه حتى يتمه على فساده ثم يقضيه ، وليس كذلك الصوم والصلاة ، ثم هو ههنا قياس في مقابل النص فلا يعتبر به .

---

(١) **صحيح** : مسلم (١١٥٤) .

(٢) انظر : مصنف عبد الرزاق (٧٧٦٧، ٧٧٦٨، ٧٧٧١) ، وسنن البيهقي (٤/ ٢٧٧) .

(٣) شرح معاني الآثار (٢/ ١١١) ، والمدونة (١/ ١٨٣) .

(٤) **ضعيف** : الترمذي (٧٣٥) ، والنسائي في الكبرى (٣٢٩١) ، وأحمد (٦/ ٣٦٢) .

(٥) **شاذ** : النسائي في الكبرى (٣٣٠٠) ، وعبد الرزاق (٧٧٩٣) ، والدار قطني (٢/ ١٧٧) ، والبيهقي (٤/ ٢٧٥) ، وقال النسائي : هذا خطأ ، وقال البيهقي : وهو عند أهل العلم بالحديث غير محفوظ .

٣ـ هل يجوز صيام التطوع قبل قضاء رمضان ؟

تقدم أن مذهب جماهير السلف والخلف على جواز تأخير قضاء رمضان ـ لمن أفطر بعذر ـ مطلقًا وعدم اشتراط المبادرة بعد أول الإمكان .

ثم اختلفوا في جواز التطوع قبل قضاء رمضان ، فذهب الحنفية ، ورواية عن أحمد إلى الجواز ، وكرهه المالكية ، واستحب الشافعية القضاء قبل التطوع ، وعن أحمد رواية أخرى بعدم الجواز [١] .

وقلت : لا يصح دليل في المنع من صيام التطوع قبل القضاء ، بل يدل على الجواز أن الله تعالى أطلق القضاء بقوله : ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٥] ، ويدل على ذلك حديث عائشة قالت : « كان يكون عليَّ الصوم من رمضان ، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان » [٢] .

ولا شك أنها كانت تتطوع في أثناء العام ، وكان هذا بعلم النبي ﷺ فهو إقرار منه ، ثم إن القضاء واجب يتعلق بوقت موسع ، فجاز التطوع في وقته قبل فعله كالصلاة يتطوع في أول وقتها والله أعلم .

٤ ـ المرأة تستأذن زوجها في الصيام :

لا يجوز للمرأة أن تصوم صيام تطوع في حضور زوجها بغير إذنه ، لحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه** » [٣] .

وسبب هذا أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل الأيام ، وحقه منه واجب على الفور ، فلا يفوته بتطوع ولا بواجب على التراخي [٤] .

---

(١)البدائع (٢/ ١٠٤) ، ومواهب الجليل (٢/ ٤١٧) ، والمجموع (٦/ ٣٧٥) ، والمغني (٤/ ٤٠١) .
(٢) **صحيح** : البخاري (١٩٨٠) ، ومسلم (١١٤٦) .
(٣) **صحيح** : البخاري (٥١٩٢) ، ومسلم (١٠٢٦) .
(٤)البدائع (٢/ ١٠٧) ، والمدونة (١/ ١٨٦) ، وشرح مسلم للنووي (٣/ ٦٥) .

فقد جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ، ويفطرني إذا صمت ، ولا يصلي الفجر حتى تطلع الشمس ، فقال صفوان : يا رسول الله ، أما قولها : يضربني إذا صليت ، فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتنا ، قال : فقال : « **لو كانت سورة واحدة لكفت الناس** » ، وأما قولها : يفطرني ، فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر ، فقال رسول الله ﷺ يومئذٍ : « **لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها** » ... الحديث [١] .

فإذا كان زوجها غائبًا عنها فصومها التطوع جائز بلا خلاف ، لمفهوم الحديث ولزوال معنى النهي [٢] ، والله أعلم .

*** حكم خلع الضرس في نهار رمضان هل تفطر ؟**

أولًا : الدم الخارج من خلع الضرس ونحوه لا يفطر ، ويحرم بلع الدم الخارج هذا سواء كان من استعمال سواك أو من خلع الضرس ، سواء كان للصائم أو لغير الصائم لقوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ...﴾ [المائدة:٣] .

ثانيًا : أن بلع الدم يؤذي الإنسان ، فإذا بلع الإنسان الدم بإرادته أفطر وعليه قضاء هذا اليوم [٣] .

*** إذا أطعم مريض لا يرجى برؤه مسكينًا عن كل يوم أفطره ، وبعد ذلك قدر الله لهذا المريض الشفاء هل يلزمه أن يصوم الأيام التي أطعم عنها ؟**

لا يلزمه ذلك ، لأن ذمته برئت بما أتى به من طعام بدلًا من الصوم ، وإن كانت ذمته برئت ، فلا واجب يلحقه بعد ذلك ، ومثل ذلك من عجز عن الحج فجعل آخر يحج مكانه ، وبعد ذلك شفاه الله ، فإنه لا يلزمه أن يعيد الحج مرة أخرى كما قال الفقهاء [٤] .

---

(١) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٢٤٥٩) ، وأحمد (٣/ ٨٤) ، والبيهقي (٤/ ٣٠٣) .
(٢) المجموع للنووي (٦/ ٣٩٢) .
(٣) نداء الريان (١٢١١٣) .
(٤) الشرح الممتع (٦/ ٤٥٣) .

الفصل الثالث عشر

أخطاء شائعة وسلوكيات مرفوضة في رمضان

إن لكل شيء صورة وحقيقة ، وكذلك لكل عمل صورة وحقيقة ، والإسلام كما طلب من المسلم أن يأتي بصورة العمل أمره ، كذلك أن يحرص على ما استطاع أن يحقق حقيقة العمل ، وهكذا فكل عبادة شرعها الله لابد للمسلم أن يأتي بصورتها وحقيقتها ، وإن أي تقصير في الصورة أو الحقيقة يؤدي إلى بطلانها أو نقصان الأجر فيها أو عدم تأديتها لمقصودها .

فالصلاة مثلًا لها صورة القيام والركوع والسجود والجلوس ، وما يقال فيها من القراءة والتسبيح والدعاء ، ولها حقيقة الخشوع والإخلاص والتذلل وتحقق العبودية لله تعالى ، وأن يعقل ما قال في صلاته من آيات وتسابيح وأدعية .

فإذا أخل الإنسان بركن من أركانها بطلت ، وإن أخل بواجب جبره بسجود السهو ، وإن أخل بمسنون نقص من أجره ، ولم يصل إلى درجة الكمال ، ولذلك قال النبي ﷺ للرجل المسيء صلاته : « **ارجع فصل فإنك لم تصل** » .

ومن العبادات التي اعتدينا عليها بالإخلال في الصورة والحقيقة عبادة الصيام شهر الصيام والقيام ، شهر القرآن .

وسأتكلم أولًا عن الأخطاء القولية التي لا تتفق مع صحيح السنة ، ولا تتوافق مع أصل اللغة العربية التي هي لغة القرآن .

أولا : الأخطاء القولية :

١ـ « أنت صائم أم فاطر النهارده » :

وهذا خطأ لفظي لأن كلمة « فاطر » بمعنى خالق ، قال تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١] .

أي : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض .

والصحيح أن تقول : أنت صائم أم مفطر [١] .

٢ـ قول القائل : « رمضان كريم » :

هذه الكلمة تقال عند التهنئة بقدوم شهر رمضان ، وهذه كلمة غير صحيحة ؛ لأن رمضان ليس هو الذي يُعْطِي حتى يكون كريمًا ، وإنما الله ﷻ هو الذي وضع فيه الفضل ، لذا كان النبي ﷺ يهنئ أصحابه بقدوم شهر رمضان بقوله : « **أتاكم شهر رمضان شهر مبارك** » [٢] .

وهذا هو الصواب أن يقال : شهر مبارك ، ولذا من قيل له : رمضان كريم يكون رده : الله أكرم .

وخير الهدي هدي محمد ﷺ .

٣ـ الدعاء ساعة الإفطار : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت :

أولًا : هذا حديث ضعيف روى في ضعيف أبي داود (٥١٠) ، والصحيح الوارد عن الرسول المعصوم ﷺ : « **ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله** » [٣] .

٤ـ ما يقال في فضل ليال شهر رمضان : « رمضان أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وأخره عتق من النار » ، وهذا خطأ لما يلي :

---

(١) رسائل التوجيهات الإسلامية (٣/ ١٠٠)

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٩) .

(٣) صحيح أبي داود (٢٣٥٧) .

أولًا : هذا حديث منكر كما ورد ذلك في السلسلة الضعيفة : (٨٧١، ١٥٦٩) ، وكما في ضعيف الجامع (٢١٣) ، وكما في « ضعيف الترغيب والترهيب (٥٨٩) ، هذا من حيث الحكم على الحديث .

ثانيًا : هذا الحديث بلفظه هذا مع ضعفه يختلف نصه مع أحاديث أخرى صحيحة ، فقول : « رمضان أوله رحمة » ، هل تكون الرحمة في بداية الشهر فقط ، أم في الشهر كله من أوله إلى آخره ، وقد قال المعصوم ﷺ : « **إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين** » [(١)] .

فالرحمة في الشهر كله ، وليست في أوله فقط ، بجانب أن الله تعالى قال عن رحمته : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] .

وقوله : « رمضان أوسطه مغفرة » هذا القول يخالف قول رسول الله ﷺ : « **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له** » [(٢)] .

فالله تعالى : « **ينزل كل ليلة** » نزولًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه سبحانه وتعالى .

وقولهم : « **وآخره عتق من النار** » هل آخره فقط عتق من النار؟ » ، وقد قال النبي ﷺ : إن العتق في كل ليلة من ليال رمضان ، قال المعصوم ﷺ : « **إن لله تبارك وتعالى في كل يوم وليلة عتقاء من النار في شهر رمضان** » [(٣)] .

إن هذا الحديث المنكر لا ينسب إلى رسول الله ﷺ لمخالفته للصحيح عنه ﷺ .

---

(١) مسلم (٢٤٩٣) .

(٢) البخاري (٧٤٩٤) .

(٣) **صحيح** : أحمد (٧٤٤٣) ، وصحيح الترغيب والترهيب (١٠٠٢) ، وصححه شاكر والأرناؤوط والألباني .

فإن قيل : ألم يجوز العلماء الأخذ بالحديث الضعيف ؟

نعم جوَّز العلماء العمل بالحديث الضعيف بشروط :

الشرط الأول : أن يكون الحديث الضعيف ليس بشديد الضعف ، وهذا الحديث في أعلى درجات الضعيف فهو مُنكر .

الشرط الثاني : أن يندرج الحديث الضعيف تحت أصل معمول به بمعنى أن يكون الحديث ضعيفًا بهذا اللفظ ، ولكن له معناه في مكان آخر صحيح ، وهذا الحديث ليس له أصل معمول به ، بل إن الحديث الصحيح يعارضه .

وبجانب هذا كله فإن لنا في الصحيح غُنية عن الضعيف .

والإمام البخاري يرى عدم جواز العمل بالحديث الضعيف ، سواء توافرت فيه الشروط السابقة ، أم لا لأن الصحيح فيه غنية [(١)] .

٥ـ قول القائل بالدعاء الوارد عن رسول الله ﷺ عندما يفطر عند أحد ، أو يأكل طعامًا عند أحد ، يدعو له : « **أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون** » [(٢)] .

هذا هو الدعاء الصحيح ، ولكن هناك بعض الملاحظات على بعض الزيادات فيزاد مثلًا : « وذكركم الله فيمن عنده » ، وهذه زيادة غير واردة في الحديث .

ويمزج البعض بزيادة أخرى فيقول : « وصلت عليكم الملائكة إلا جبريل » وهذا لا يليق بالآداب عند ذكر الأدعية ، وإنما يدعى بالإخلاص وحضور القلب ، لا باللهو والمزاح الباطل الكاذب .

---

(١) الصحيح في أحكام الصيام في رمضان (٣١، ٣٢) .

(٢) **صحيح** : أبو داود (٣٨٥٤) ، وابن السني في أعمال اليوم والليلة (٤٨٣) ، وصححه العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ١٣) من حديث أنس .

ويخطئ البعض لغة في قوله : « **أكل طعامكم** » فيقول : « طعامُكم » بضم الميم ، وهذا خطأ والصواب بالفتح [١] .

فخير الهدي هدي محمد ﷺ .

فهذه جملة من الأخطاء اللفظية التي يقع فيها بعض الصائمين دون عمدٍ منهم ، نسأل الله الصواب والرشاد .

الأخطاء الفعلية :

١ـ في مجال السهر والنوم :

وهذه أول الاعتداءات على هذا الشهر المبارك ، تحويل الليل إلى نهار ، والنهار إلى ليل ، بحيث تجد العديد من الناس تحول الليل عندهم إلى نهار ، فأصبحوا يسهرون الليل كله حتى السحر ، فالله تعالى قد جعل الليل لباسًا والنهار معاشًا هؤلاء عكسوا الأمر إلا من رحم !

فأصبح الصوم لا يؤدي دوره فهم لا يحسون بجوع ولا عطش ، كيف يحسون بذلك وهم في فراشهم نائمون !!

والأمر سهل ميسور على من أخلص النية لله ، وفي ذلك خير لصحتنا وخير لأجسادنا وعقولنا وأنفسنا .

فلماذا الإصرار على هذه العادة السيئة التي نشكو منها جميعًا ، ثم نتهرب جميعًا من المسؤولية عنها ، والأمر سهل ميسور ، كما ذكرت إن خلصت النية ، والأمر بأيدينا وإننا إن شاء الله فاعلون .

٢ـ في مجال الأكل والشرب :

وهذا ثاني الاعتداءات التي يعتدى بها على هذا الشهر المبارك وهو الإسراف

---

(١) تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (ص١٥٠) .

والتبذير في الطعام والشراب ، في هذا الشهر الذي من أهم أهدافه الرئيسية تقليل الطعام والشراب سواء في وقت الصيام أو بعده .

وهذا مما أورث تخمة في البدن ساعدت على التكاسل عن العبادة والبعد عن الجو الإيماني ، وبناءً على هذا الشَرَه في الأكل والشرب أصبح التجار يشرعون في الإعداد لمستلزمات رمضان قبل مجيئه بنحو شهرين ، وتقدر بعض الجهات الإحصائية أن ما يستهلكه كثير من المسلمين في رمضان يصلُ إلى ثلاثة أمثال ما يستهلكونه في غير رمضان .

وتحقق قول القائل : « تأكلون الأرطال ، وتشربون الأسطال ، وتنامون الليل وإن طال وتزعمون أنكم أبطال » .

فهناك بعض الناس همهم الطعام والشراب وإذا فاتهم ذلك ، تحسروا على أنفسهم ، وصدق فيهم من قال :

إنما الدنيا طعام وشراب ومنام

فإذا فاتك هذا فقل على الدنيا السلام

وصدق رسول الله ﷺ : « **بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه** ..... » .

هذا بجانب التبذير والإسراف وإلقاء بقايا الطعام في القمامة في الوقت الذي يحتاج فيه أناس مسلمون إلى كسرة خبز وإلى شربة ماء .

فعلينا أن نتقي الله تعالى فيما أنعم به علينا .

٣ـ تحويل الاجتماعات مع الأهل والأصدقاء إلى السمر لا العبادة :

وثالث هذه الاعتداءات التي عكسنا فيها الأمر في مجال العلاقات الاجتماعية ، فالذي يتأمل النصوص الواردة في هذا الشهر المبارك يلحظ أنها خففت من العلاقات الاجتماعية ، فالصيام طيلة النهار يخفف من هذه العلاقات الاجتماعية

المبنية على الولائم ، والاعتكاف هو الآخر فرصة للخلوة بالنفس ، وقل مثل ذلك في بقية التوجيهات الرمضانية التي خففت من هذه العلاقات وتحولها إلى تجمعات عبادية بارزة ، وهذا واضح في : تفطير الصائمين ، أو الاجتماع لصلاة القيام ، أو مدارسة القرآن ونحو ذلك .

فاعتدينا على ذلك وعكسنا الأمر .

فمثلًا : تجد مجموعة من الأصدقاء كان لهم لقاءٌ أسبوعيًا في غير رمضان فجعلوه لقاءً يوميًا على مائدة الإفطار .

إن الاجتماع طيب ، وإن صلة الأرحام مطلوبة خصوصًا إذا كانت بين الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء .

لكن اختيار الوقت غير مناسب .

فهي تكون سبب للتأخر عن الصلاة غالبًا .

وهي سبب للإسراف والتبذير .

فهلا أجلت هذه الاجتماعات والعلاقات إلى ما بعد رمضان فالأمر يحتاج منا إلى وقفة .

٤ـ في مجال التسوق :

هذا رابع الاعتداءات التي نعتدي بها على هذا الشهر المبارك ، وحدث عن ذلك ولا حرج .

لقد ارتبط بأذهان كثير من الناس أن متعة التسوق لا تزدهي إلا في رمضان ، وارتبط في أذهان آخرين أن تغيير الأشياء لا يكون إلا في رمضان ، فهناك من يغير سيارته وأثاث بيته ونحو ذلك في رمضان ، وربما استحكمت هذه العادة في بعض المناطق بحيث أصبح الفكاك منها عسيرًا ، وناهيك بما يؤثر ذلك على العبادة في رمضان .

وأعتقد أخي القارئ ، أنك لست بحاجة أن أحدثك بما يحصل في الأسواق في رمضان ، ويكفي أن نلقي نظرة واحدة على مستودعات الأغذية قبل رمضان لترى الاستعدادات الكبيرة لاستقبال موسم التسوق الرمضاني الكبير .

انظر حفظك الله ، الثلث الأول من رمضان يكون لأصناف الطعام والشراب وما لذ وطاب ، والباقي لمستلزمات العيد السعيد .

ويقف المسكين في صلاة التراويح دقائق معدودة يرى الإمام قد أطال القيام ، ثم يذهب ليتسوق فيقف أمام هذه البضائع ساعات مدققًا بين أصنافها وأشكالها ، ثم يعود إلى البيت وقد تورمت قدماه .

ثم يتساءل في نفسه : أين تأثير الصيام والقيام في نفسي ، إن ما حصلته في المسجد لبضع دقائق قد مسحته تلك الإعلانات المغرية التي سَمَحْتَ لها بالتسلط على عقلك وقلبك فسلبت عقلك ولبك .

هذا بجانب تضييع الوقت من متجر إلى متجر ، لتتأكد من حقيقة التخفيضات الهائلة والبضائع الجديدة ، ولتفوز بالسحب على الجائزة الكبرى التي تتبخر أمام واجهة المحل لافتة نظر من فاته الإعلان ، فهل يقتصر هؤلاء على الحاجات الضرورية في هذا الشهر ، ليعلم أن هذا الشهر للعبادة والتجارة مع الله ، فإن الأمر بأيدينا ، إن رمضان مثل غيره من الشهور ، وما اعتدت عليه قبل رمضان ينبغي أن تستمر عليه في رمضان ، فإن الأمر بأيدينا إن شاء الله تعالى .

بقي أمر آخر بالنسبة لهذا المجال وهو الاستعداد لمستلزمات العيد أن تشتريها قبل رمضان أو في أيامه الأولى وتفرغ لعبادتك .

٥ـ في مجال الإعلام :

وهذا هو الاعتداء الخامس وهو من أعجب المجالات التي ابتلينا فيها أثناء شهر رمضان :

فالقنوات الفضائية تستعد لرمضان ، والمحطات التلفزيونية تستعد لرمضان ، والإذاعات تستعد لرمضان ، والصحف تستعد لرمضان ، والمجلات والجرائد تستعد لرمضان .

وإذا أردنا أن نضع الأمور في نصابها الصحيح لقلنا : إن المفترض أن هذه القنوات والمحطات والإذاعات المفترض عليها :

أولًا : أن تقلل فترة البث لمناسبة الشهر المبارك ، ولإعطاء فرصة لأداء العبادات .

ثانيًا : أن يكون ما تبثه في هذا الشهر مساعدًا لتأدية هذه العبادات المختلفة .

لا أن يعرض فيها أفضل الأفلام والمسلسلات التي تشد الجماهير وتلهيهم عن العبادة ، وهذه الأعمال تعمل قبل رمضان بشهور ، لأنهم لو طلب منهم هذا العمل في بداية رمضان لربما اعتذروا لأن شياطين الجن قد صفدت وسلسلت في هذا الشهر ، ثم تعرض بعد ذلك في هذا الشهر المبارك لتقضي على البقية الباقية من خير هذه الأمة .

ومثل ذلك الصحف والجرائد والمجلات ، فالمسابقات والجوائز ونحوها تتجمع في رمضان ، وأصابت الحمى الصالح والطالح ، فأصبح الجميع في هم المسابقات وحلها ومتابعة ذلك .

وصار أمر العبادة وزيادة الإيمان وتحقيق التقوى آخر ما يفكر به المرء سواء في نفسه أو في أهل بيته .

نسأل الله أن يولي أمرنا خيارنا ، ولا يولي أمورنا شرارنا .

٦ـ في مجال التعليم :

سادس هذه الاعتداءات في هذا الشهر المبارك في مجال التعليم ، أن التعليم ارتبط

في رمضان بصورة الكسل والكآبة ، انظر إلى الواقع : بدلًا من أن يكون التعليم في أول النهار تحول إلى وسطه ، مما يؤثر سلبًا على عملية التعليم والاستيعاب ، وليست هذه هي المشكلة الوحيدة ، بل بسبب ما زاحم التعليم في هذا الشهر من اللهو واللعب ووسائل الترفيه والسهر وغير ذلك ، وانظر إلى الطالب إلى شكل عينيه وجلسته وتمعن في كلامه إذا تكلم ، إنك إذا أحضرت رسامًا وطلبت منه أن يرسم لك الكسل ويصوره لك جالسًا لما وجده أفضل من هذا المنظر لأولئك الطلاب على مقاعد الدراسة ، وتعالوا بنا نتساءل : ما الذي أوصلهم إلى هذا الوضع المؤسف ؟!

ولماذا ارتبط رمضان في أذهانهم بهذه الصورة الكئيبة ؟ أهكذا يفعل الصيام بالإنسان ؟! أهذه تربية الصيام للمسلمين على الصبر ؟!

إن هذا الشاب نفسه هو الذي رأيته قبل رمضان ربما جاء إلى المدرسة دون أن يطعم شيئًا في منزله ، وربما آخر عهده بالأكل الساعة العاشرة من الليلة الماضية ، وقد لا يتيسر له أن يتناول شيئًا في المدرسة ، ومع ذلك يظل في كامل حيويته ونشاطه متابعًا مع أستاذه مجيبًا على أسئلته ، فما باله إذا شعر أنه صائم ، وقد تناول الطعام في سحوره ظل بهذه الصورة الكئيبة ، من الذي أوحى بهذه الصورة المؤسفة إلى أبنائنا ، فصار الصيام يعني الكسل ، مع أن كل واحد منا يعلم أنه يكون أكثر نشاطًا قبل الأكل منه بعده .

فمن الذي أوحى لهم أن الصوم يعني ترك العلم والتركيز على اللهو واللعب ، إننا بحاجة إلى محو هذه الصورة السيئة من عقول أبنائنا واستبدالها بصورة حسنة .

لابد أن نعرفهم أن شهر رمضان شهر العلم ، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان عليه القرآن في رمضان من كل عام مرة ، وفي العام الذي توفي فيه عرض جبريل القرآن على الرسول مرتين ، وعرض النبي ﷺ القرآن على جبريل عرض تعليم ، فرمضان شهر التعليم وخصوصًا تعليم القرآن .

وقد كان السلف الصالح يقللون من الفتوى ويتفرغون لمدارسة القرآن وتعلمه وتعليمه .

فإننا في حاجة إلى فقه ذلك ومدارسته ، ومدارسة سيرة النبي ﷺ وسيرة السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى .

فإن الاقتداء لا يكون إلا عن معرفة تامة بأحوال المقتدى به ، قال تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩] .

نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن يلهمنا السداد والرشاد .

٧ـ في مجال الإزعاج :

سابع هذه الاعتداءات التي تعتدي بها على رمضان ذلكم الشهر المبارك شهر التوبة والرحمة والمغفرة ، شر القرآن نعتدي عليه بهذا الإزعاج الشديد ، في شهر السكينة والوقار والخير ، وقمته في ليلة القدر فهي سالمة حتى مطلع الفجر ، والراية التي يرفعها الصائم لمن سابه أو شاتمه : إني صائم فإن كان الأمر كذلك فما هو مصدر هذا الإزعاج .

إنك لتعجب حين ترى الأطفال حول المساجد يطلقون المفرقعات ، بل الأمر لا يقتصر على الأطفال بل تعدى إلى الشباب والرجال .

وهذا حرام شرعًا ، أقول : حرام شرعًا ضرب الصواريخ أو ما يسمى بالبُمب ، حرام شرعًا ؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ترويع المسلم حتى ، وإن كان من باب المزاح ، وإليك هذه النصوص الشرعية على ذلك :

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : «حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسير ، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى نبل مَعَه فأخذها ، فلما استيقظ الرجل فزع ، فضحك القوم فقال : ما يضحككم ؟ ، فقالوا :

لا ، إلا أنَّا أخذنا نبل هذا ففزع ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا** » [١] .

قلت : وهذا من المزاح القبيح الذي يوغر الصدر ، ويصيب الآخر بالخوف والذعر .

ومن ذلك ما يسمى « بالصواريخ » إذ يأتي أحدهم على جماعة من الناس جلوسًا يتكلمون في أمرٍ ما ، فيشعل صاروخًا ويلقيه بجوارهم وهم لا يشعرون ــ ثم ينصرف ليشاهد ذعرهم وتفرقهم ، ويضحك ويُضحك الناس .

وآخر يقصد صاحبه بسيارته ليخيفه ويروعه ، وقد يكون ذلك سببًا في قتله .

وقال المعصوم ﷺ : « **من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه حتى يَدَعَه ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه** » [٢] .

قال النووي ~ : « فيه تأكيد حُرمة المسلم ، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه ، وقوله ﷺ : « **وإن كان أخاه لأبيه وأمه** » ، مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد ، سواء من يتهم فيه ، ومن لا يتهم ، وسواء كان هذا هزلًا ولعبًا ، أم لا ، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال ، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام » [٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يُشر أحدُكم على أخيهِ بالسلاح ، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يدِه فيقع في حفرةٍ من النار** » [٤] .

قال ابن حجر ~ : « وفي الحديث النهي عما يفضي إلى المحذور وإن لم يكن

---

(١) **صحيح** : أبو داود (٥٠٠٤) .
(٢) مسلم (٢٦١٦) .
(٣) النووي على شرح صحيح مسلم حديث (٢٦١٦) .
(٤) البخاري (٧٠٧٢) .

المحذور محققًا سواء كان ذلك في جد أو هزل »[١] .

فلا بد من ترك هذه العادات السيئة في رمضان وفي غير رمضان .

٨ـ في مجال العيد :

ثامن هذه الاعتداءات على شهر رمضان في العيد نهاية المطاف في هذه الاعتداءات وآخرها .

فكل ما حصله المسلم من الهداية والتقوى في شهر رمضان اعتدى عليه في أيام العيد ، فالفرح في العيد ، وإظهار البشر والسرور أمر مطلوب ، ولكن هل توقف الأمر إلى هذا الحد .

إن المتأمل فيما يجري في أعيادنا يشعر أن الأمة كأنها خرجت من كهف سُجنت فيه عديدًا من الأعوام ، فهي تريد أن ترفه عن نفسها بالحلال تارة وبالحرام أخرى .

فقد استُبيح باسم العيد ما كان محرمًا ، والعيد لا يُحِلُ حَرَامًا ، من اختلاط محرم ، وارتكاب لمحذور كشرب خمور ، ومعاكسات في الطرقات وفعل للمحرمات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فإن رمضان شهر الخير والبركة ، شهر الجهاد ، شهر القرآن ، شهر الجود والإحسان ، لكن الواقع السلوكي لهذا الإنسان ولمن حوله لا يوحي بذلك !!

بسبب هذه الاعتداءات السيئة على هذا الشهر الكريم .

نسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا وأن يصلح أحوالنا[٢] .

*****

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٨) .

(٢) معالم الهداية في رمضان (ص ١٢٠٤) .

أحاديث موضوعة وضعيفة عن شهر رمضان

حرصًا مني على تعميم الفائدة ، و دفاعا عن سنة نبينا ﷺ ، و نظرًا لاشتهار بعض الأحاديث الضعيفة الخاصة بشهر رمضان ، رأيت كتابة جملة من هذه الأحاديث مع ذكر المصادر التي حكمت بعدم صحتها حتى لا ينسب إلى السنة ما ليس منها وهذه الأحاديث هي :

١ـ حديث : « **رمضان أوله رحمه و أوسطه مغفرة و آخره عتق من النار** » حديث منكر [(١)] .

٢ـ حديث : « **صوموا تصحوا** » حديث ضعيف [(٢)] .

٣ـ حديث : « **من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض ، لم يقضه صوم الدهر وإن صامه** » حديث ضعيف [(٣)] .

٤ـ حديث « **إن لله عند كل فطر عتقاء من النار** » حديث ضعيف [(٤)] .

---

(١) كتاب الضعفاء للعقيلي ٢/ ١٦٢ ، وكتاب الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ١/ ١٦٥ وكتاب علل الحديث لابن أبي حاتم ١/ ٢٤٩ ، وكتاب سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ٢/ ٢٦٢ ، ٤/ ٧٠ .

(٢) كتاب تخريج الإحياء للعراقي ٣/ ٧٥ ، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٢/ ٣٥٧ ، وكتاب الشذرة في الأحاديث المشتهرة لابن طولون ١/ ٤٧٩ ، وكتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ١/ ٢٥٩ ، وكتاب المقاصد الحسنة للسخاوي ١/ ٥٤٩ ، وكتاب كشف الخفا للعجلوني ٢/ ٥٣٩ ، وكتاب سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١/ ٤٢٠ .

(٣) كتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر ٤/ ١٦١ ، وكتاب مشكاة المصابيح تحقيق الألباني ١/ ٦٢٦ ، وكتاب ضعيف سنن الترمذي للألباني حديث رقم ١١٥ ، وكتاب العلل الواردة في الأحاديث للدارقطني ٨/ ٢٧٠ .

(٤) كتاب تنزيه الشريعة للكناني ٢/ ١٥٥ ، وكتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ١/ ٢٥٧ ، وكتاب الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي للطرابلسي=

٥ـ حديث : « **لو يعلم العباد ما في رمضان ، لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها ، إن الجنة لتتزين لرمضان من رأس الحول إلى الحول** »..... إلخ حديث ضعيف [١] .

٦ـ حديث : « **اللهم بارك لنا في رجب و شعبان و بلغنا رمضان** » حديث ضعيف [٢] .

٧ـ حديث أن النبي ﷺ كان يقول عند الإفطار : « **اللهم لك صمت و على رزقك أفطرت** » حديث ضعيف [٣] .

٨- حديث : « **اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام** » [٤] .

٩- حديث عبد الرحمن بن سمرة الطويل : « **إني رأيت البارحة عجبًا .. رأيت رجلًا من أمتي يلهث عطشًا كلما ورد حوضًا مُنع وطُرد ، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه** » [٥] .

= ١٢/ ٢٣٠ ، وكتاب ذخيرة الحفاظ للقيسراني ٢/ ٩٥٦ ، وكتاب شعب الإيمان للبيهقي ٣/ ٣٠٤، وكتاب الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٢/ ٤٥٥ .

(١) كتاب الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ١٨٨ ، وكتاب تنزيه الشريعة للكناني ٢/ ١٥٣، وكتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ١/ ٢٥٤ ، وكتاب مجمع الزوائد للهيثمي ٣/ ١٤١ .

(٢) كتاب الأذكار للنووي ، وكتاب ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٩٦ ، وكتاب مجمع الزوائد للهيثمي ٢/ ١٦٥ ، وكتاب ضعيف الجامع للألباني حديث رقم ٤٣٩٥ .

(٣) كتاب خلاصة البدر المنير لابن الملقن ١/ ٣٢٧ حديث رقم ١١٢٦ ، وكتاب تلخيص الحبير للحافظ ابن حجر ٢/ ٢٠٢ حديث رقم ٩١١ ، وكتاب الأذكار للنووي ص ١٧٢ ، وكتاب مجمع الزوائد للهيثمي ٣/ ١٥٦ ، وكتاب ضعيف الجامع للألباني حديث رقم ٤٣٤٩ .

(٤) الترمذي ٣٤٤٧ وضعفه . وفي سنده سليمان بن سفيان : ضعيف ، وقال الهيثمي : في إسناده عند الطبراني : عثمان بن إبراهيم الحاطبي ضعيف . وقال ابن القيم : في أسانيد طرق هذا الحديث لين . وقال : يذكر عن أبي داود في بعض نسخه أنه قال : ليس في هذا الباب حديث مسند .

(٥) الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي ، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي ، وكلامها ضعيف . انظر : (إتحاف السادة المتقين ٨/ ١١٩) ، وضعَّفه ابن رجب .

١٠- حديث : « **الصائمون ينفخ من أفواههم ريح المسك ، ويوضع لهم مائدة تحت العرش** » [١] .

١١- حديث : « **إن الجنة لتزخرف وتنجد من الحول إلى الحول لدخول رمضان فتقول الحور العين : يا رب ، اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجًا** » [٢] .

١٢- حديث : « **الصائم إذا أُكل عنده صلت عليه الملائكة** » [٣] .

١٣- حديث : « **أحب العباد إلى الله أعجلهم فطرًا** » [٤] .

١٤- حديث : « **نوم الصائم عبادة** » [٥] .

١٥- حديث : « **رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر** » [٦] .

١٦- حديث : « **من صلى العشاء الآخرة في جماعة في رمضان فقد أدرك ليلة القدر** » [٧] .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٨٢ وضعَّفه ابن رجب وغيره .

(٢) الطبراني في الكبير والأوسط وفيه الوليد بن الوليد القلانسي ، وهو ضعيف .

(٣) ابن خزيمة والترمذي ٧٨٤ ، وابن ماجه ١٧٤٨ ، والطيالسي ١٦٦٦ ، وهو حديث ضعيف . انظر : الضعيفة ١٣٣٢ .

(٤) أحمد ٢/ ٣٢٩ ، وابن حبان ٨٨٦ ، والبيهقي ٤/ ٢٣٧ ، والبغوي ١٧٣٢ ، وفي سنده قرة بن عبد الرحمن وهو ضعيف ، ابن خزيمة ٢٠٦٢ ، والترمذي ٧٠٠ وضعَّفه ، وجاء عند البخاري ومسلم : « **يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر** » .

(٥) السيوطي في الجامع الصغير ٩٢٩٣ وعزاه للبيهقي ورمز له بالضعف من طريق عبد الله بن أبي أوفى . وضعفه زين الدين العراقي والبيهقي والسيوطي ، انظر : الفردوس ٤/ ٢٤٨ ، وإتحاف السادة ٤/ ٣٢٢ .

(٦) ابن ماجه ١٦٩٠ وفي سنده أسامة بن زيد العدوي ضعيف ، ومعناه صحيح .

(٧) الأصبهاني وأبو موسى المديني . وذكره مالك بلاغًا ١/ ٣٢١ وهو مرسل من كلام ابن المسيب ، وجاء عند ابن خزيمة ٢١٩٥ وفي سنده عقبة بن أبي الحسناء مجهول ، كما قال ابن المديني . فهو ضعيف .

١٧- حديث : « **كان إذا دخلت العشر اجتنب النساء واغتسل بين الأذانين ، وجعل العشاء سحورًا** » [١] .

١٨- حديث : « **من صام بعد الفطر يومًا فكأنما صام السنة** » ، وحديث : « **الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار** » [٢] .

١٩- حديث : « **من صام رمضان وشوال والأربعاء والخميس دخل الجنة** » [٣] .

٢٠- حديث : « **لا تكتحل بالنهار وأنت صائم** » [٤] .

٢١- حديث : « **ذاكر الله في رمضان مغفور له** » [٥] .

٢٢- حديث : « **الصوم في الشتاء** » [٦] .

٢٣- حديث : « **استعينوا بطعام السحر على صيام النهار ، وبالقيلولة على قيام الليل** » [٧] .

٢٤- حديث : « **من أفطر يومًا من رمضان من غير عذر لم يجزئه صيام الدهر كله ولو صامه** » [٨] .

---

(١) حديث باطل ، في سنده حفص بن واقد . قال ابن عدي : هذا الحديث من أنكر ما رأيت له . وجاء هذا الحديث بعدة أسانيد كلها ضعيفة .

(٢) ذكره صاحب كنز العمال ٢٤١٤٢ وهو حديث ضعيف .

(٣) أحمد ٣/ ٤١٦ وفيه راوٍ لم يسمَّ ، والحديث ضعيف على كل حال .

(٤) أبو داود ٢٣٧٧ وقال : قال ابن معين : هو حديث منكر .

(٥) السيوطي في الجامع الصغير ٤٣١٢ وعزاه للطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب ، وفي سنده هلال بن عبد الرحمن وهو ضعيف .

(٦) الترمذي ٧٩٧ وهو مرسل ، وفي سنده نمير بن عريب ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وهو ضعيف ، وكذلك حديث : « **الشتاء ربيع المؤمن** » ضعيف ، ومعناه صحيح .

(٧) الحاكم وابن ماجه وفي سنده زمعة بن صالح وسلمة بن وهرام ضعيفان ، فالحديث ضعيف .

(٨) أخرجه أبو داود ٢٣٩٦ ، والترمذي ٧٢٣ وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال : سمعت محمدًا ــ يعني البخاري ــ يقول : في سنده أبو المطوس ولا أعرف له غير هذا الحديث ، وقال=

٢٥- حديث : « **ثلاثة لا يفطرن الصائم : الحجامة والقيء والاحتلام** » [١] .

٢٦- حديث : « **تحفة الصائم الدهن والمجمر** » [٢] .

٢٧- حديث : « **إن لله في كل ليلة ستمائة ألف عتيق من النار ، فإذا كان آخر ليلة أعتق الله بعدد ما مضى** » [٣] .

٢٨- حديث : « **خصاء أمتي الصيام** » [٤] .

٢٩- حديث : « **الصوم نصف الصبر** » [٥] .

٣٠- حديث : « **من قام ليلة العيد** » . وفي لفظ : « **من أحياها محتسبًا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب** » [٦] .

٣١- حديث : « **ليس في الصوم رياء** » [٧] .

٣٢- حديث : « **صيام رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواه** » **وفي لفظ : « خير من ألف رمضان فيما سواه من البلدان** » [٨] .

٣٣- حديث : « **سيد الشهور شهر رمضان وأعظمها حرمة ذو الحجة** » [٩] .

= ابن حجر في الفتح ٤/ ١٦١ : تفرد به أبو المطوس ولا أدري أسمع من أبي هريرة أم لا ، وقال الذهبي في الصغرى : لا يثبت .

(١) الترمذي ٧١٩ وضعفه ، بل الحجامة تفطر ، والقيء إذا تعمد يفطر ، أما الاحتلام فلا .

(٢) الترمذي ٨٠١ وضعفه ، وفي سنده سعد بن طريف ضعيف .

(٣) البيهقي وهو مرسل من كلام الحسن البصري .

(٤) قال الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٢٢٥ : لم أقف على سنده .

(٥) في سنده موسى بن عبيدة ، متفق على ضعفه ، وقد أخرجه الترمذي ٣٥١٩ ، وابن ماجه ١٧٤٥ ، وأحمد والبيهقي ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع .

(٦) ابن ماجه ، وفيه بقية مدلس وقد عنعن ، فالحديث ضعيف .

(٧) البيهقي عن ابن شهاب الزهري مرسلًا .

(٨) البيهقي وقال : إسناده ضعيف ، الطبراني في الكبير ، والضياء في المختارة ، وقال الهيثمي : فيه عبدالله بن كثير وهو ضعيف ، وقال الذهبي في الميزان : إسناد مظلم .

(٩) البزار والديلمي ، وفيه يزيد بن عبد الملك النفيلي ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٤٠ .

٣٤- حديث : « **إن في السماء ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله فإذا دخل رمضان استأذنوا ربهم أن يحضروا مع أمة محمد ﷺ صلاة التراويح** » [(١)] .

٣٥- حديث : « **إن للصائم عنده فطره دعوة لا ترد** » [(٢)] .

٣٦- حديث : « **شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر** » [(٣)] .

وهنا تنبيه : ينبغي أن يُعلم أن الأحاديث الضعيفة لا يُعمل بها في الفضائل ولا في الأحكام ولا في غيرها على الراجح من أقوال أهل العلم ، فنحن متعبدون بما ثبت عن النبي ﷺ ، ولنا في الصحيح غنية وكفاية والله أعلم .

*****

(١) البيهقي في الشعب ٣/ ٣٣٧ موقوفًا على علي ، وضعفه السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٥٨٢ ، والمتقي الهندي في كنزل العمال ٨/ ٤١٠ .

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٠٥ ، والترمذي ٣٦٦٨ ، وابن خزيمة ١٩٠١ ، وابن ماجه ١٧٥٢ ، وفي سنده إسحاق بن عبيد الله المدني ، لا يعرف كما قال المنذري ، وقد ضعَّف الحديث ابن القيم في زاد المعاد ، والحديث ضعفه الترمذي . وله شاهد عند البيهقي ٣/ ٣٤٥ .

(٣) **ضعيف** : ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٤١٣) .

الفصل الرابع عشر

في الصيام والقيام وقاية وشفاء

أثبتت الأبحاث العلمية الطبية أن للصيام تأثيرًا فعالًا في علاج الأمراض الحادة فمثلًا :

الصوم علاج الالتهابات المفصلية الحادة :

ثبتت فعالية الصيام كعلاج لحالات الالتهابات المفصلية الحادة ، وهو ما سجله أستاذ الكيمياء بجامعة مونتريال بكندا ، البروفيسور « وود » الذي عالج مرضاه بنجاح عبر عدة أيام من الصوم من (٤ـ ٨) أيام ، وذكر أن الصوم في حالات الروماتيزم يحول دون وصول التدهور إلى القلب .

الصوم علاج السعال والربو :

أظهرت الأبحاث أهمية الصوم كعلاج لشتى أنواع السُعال خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام ، في حين يحتاج الربو الشعبي إلى فترة أطول ، وتظهر نتيجة الصوم بوضوح عندما يستطيع مريض الربو أن يخلد إلى النوم في هدوء .

الصوم وعلاج أمراض الجهاز الهضمي :

اتضحت فعاليته في علاج أمراض الجهاز الهضمي كالحمى التيفودية ، والكوليرا فضلًا عن التهابات القولون والإسهال .

الصوم وعلاج أمراض الأذن :

ثبت أن الصوم يفيد في معالجة طنين الأذن من خلال ما يُسمى بـ« عملية الأطراح » حيث تنظف « قناة إستاكيوس » أثناء الصوم .

الصوم وعلاج الوسواس القهري :

أثبتت التجارب إمكانية علاج الوسواس القهري والهوس وبعض أنواع الفصام Schizophrenic بما يُسمى « بالعلاج بالجوع » أو الصيام الطبي ، فقد تمكن « د . يوري نيكاليف » بمستشفى معهد موسكو للطب النفسي من علاج عشرة آلاف مريض عقلي ونفسي بنظام العلاج بالصوم ، وكانت النتيجة تحسن ٦٥٪ منهم ، وقد استغرقت الطريقة شهرًا كاملًا ، وكان الإفطار محتويًا على القليل من اللبن [(١)] ، بالإضافة إلى الكثير من الخضروات والفواكه [(٢)] .

الصوم وعلاج الأمراض الجلدية :

يقول الدكتور محمد الظواهري ـ أخصائي الأمراض الجلدية : إن علاقة التغذية بالأمراض الجلدية متينة جدًّا ، فالامتناع عن الغذاء والشراب مدة ما ، يقلل من الماء في الجسم والدم ، وهذا يدعو إلى قلة الماء في الجلد ، وحينئذٍ تزداد مقاومة الجلد للأمراض الجلدية المعدية والميكروبية ، وقلة الماء في الجلد تقلل أيضًا من حدة الأمراض الجلدية الالتهابية والحادة ، والمنتشرة بمساحات كبيرة في الجسم ، وأفضل علاج لهذه الحالات من الوجهة الغذائية إنما هو بالامتناع عن الطعام والشراب لفترة ما ، فقلة الغذاء تؤدي إلى نقص الكمية التي تصل منه إلى الأمعاء مما يُريحها ويقلل من تكاثر الميكروبات بها ، وعندئذٍ يقل نشاط تلك الميكروبات المعوية ، ويقل إفرازها للسموم ، ومن ثم يقل امتصاص تلك السموم من الأمعاء ، وهذه السموم تسبب العديد من الأمراض الجلدية ، وشهر الصيام هو شهر الهدنة والراحة من تلك السموم وأضرارها .

كذلك فقد ثبت أن الصيام علاج لأمراض زيادة الحساسية وأمراض البشرة

---

(١) لاحظ معي أخي الكريم مدة الصيام وهي شهر ، والطعام الذي يفطر عليه المرضى وهو اللبن وقارن ذلك بسنة النبي ﷺ وطريقة الصيام الإسلامي ، وما يعقلها إلا العالمون .

(٢) انظر : ثبت علميًا لمحمد كامل عبد الصمد (٤/ ٢٦، ٢٧) .

الدهنية [١] .

الصيام وتأثيره على الفم :

١ـ أثبتت البحوث العلمية الحديثة أن الامتناع عن الطعام يُعد في حد ذاته فرصة طبيعية لراحة الأنسجة المخاطية للفم من تلقي المفرزات الهاضمة التي تطلقها الغدد الهاضمة ، مثل : الغدة الصفراء ، الغدد اللعابية الفمية ، وأن الصيام يعطي الفرصة الكافية لبعض الخمائر الموجودة ضمن المفرزات اللعابية داخل الفم للقضاء على الجراثيم التي ستُحدث ـ فيما لو تركت ـ بعض أمراض اللثة الخطرة ، مثل داء تخلخل الأسنان .

٢ـ كما أن الامتناع عن الطعام لفترة من الزمن ـ كما في الصوم ـ يعطي فرصة كافية لأنسجة الفم الرخوة لكي ترمم نفسها جيدًا ، بعيدًا عن الحوامض التي ينتجها الطعام في الفم « مثل حمض الليمون الذي يدخل في تركيب بعض الأطعمة كالسلطة » ، وذلك أن تكون هذه الأنسجة قد تخربشت أو جرحت بتأثير بعض الأطعمة الخشنة .

٣ـ كذلك بعد الصيام فرصة جيدة لفوهات أقنية الغدد اللعابية داخل الفم ، والتي تقدر بالملايين ، لكي تأخذ راحة من عملها الدائم .

٤ـ الصيام يعتبر فرصة مناسبة للمدخن للتخلص من رائحة فمه الكريهة ، فضلًا عن توفير الجهد على أجهزة تنظيف الفم الغريزية من القيام بعملها ، ومنح الأنسجة اللينة في باطن الفم واللسان راحة نسبية من امتصاص كميات من القطران ، وبالتالي اجتناب الإصابات السرطانية الرئوية والفمية الناتجة عن القطران المترسب على اللثة وفي قاع الفم ، وما بين الأسنان [٢] .

---

(١) انظر : من وصايا الرسول ، للشيخ طه عفيفي (٢/ ٧١١، ٧١٢) .

(٢) انظر : مجلة الفيصل السعودية ، عدد شهر مارس لعام ١٩٩١ ، بتصرف ، وانظر أيضًا : ثبت علميًا ، لمحمد كامل عبد الصمد (٥/ ١٩، ٢٠) بتصرف يسير .

الصيام وأثره الهام في تجديد الخلايا :

تتغير خلايا الجسم وتتبدل تماشيًا مع السنة الكونية « سنة التبديل » وكما قيل : كل شيء في تغيير وتبديل إلا « سنة التبديل » فهي ثابتة لا تتغير ، فخلايا الحس منها ما يهرم ثم يموت ، وتنشأ أخرى جديدة تواصل المسيرة ، ومنها ما يتغير إلى شكل آخر ، وهكذا حتى يأتي الأجل .

وبما أن الأحماض الأمينية هي التي تشكل البنية الأساسية في الخلايا ، ففي الصيام الإسلامي ، تتجمع هذه الأحماض القادمة من الغذاء مع الأحماض الناتجة من عملية الهدم في مجمع الأحماض الأمينية في الكبد ، ويحدث فيها تحول داخلي واسع النطاق ، ويتم إعادة توزيعها بعد عملية التحول الداخلي ، ودمجها في جزئيات أخرى كالبيورين ، والبروفين ، ويصنع منها كل أنواع البروتينات الخلوية ، وبروتين البلازما والهرمونات ، وغير ذلك من المركبات الحيوية ، ثم يُعاد توزيعها حسب احتياجات الجسم ، وهذا يتيح لَبِنات جديدة للخلايا لترميم بنائها ، وترفع كفاءتها الوظيفية مما يعود على الجسم البشري بالصحة والنماء والعافية .

كما أن إمداد الجسم بالأحماض الدهنية الأساسية في الغذاء له دور مهم في تكوين الدهون الفوسفاتية ، والتي تدخل مع الدهن العادي « Triacyl glycerol » في تركيب البروتينات الشحمية ، حيث يقوم هذا النوع من البروتينات المنخفض الكثافة بنقل الدهون الفوسفاتية والكوليسترل من أماكن تصنيعها بالكبد إلى جميع خلايا الجسم ، حيث تدخل في تركيب جُدر الخلايا الجديدة ، وتكوين بعض مركباتها الهامة ، وهو عكس ما يحدث في « التجويع » أو الصيام الطبي ، الذي قد يؤدي على حالة « التشمع الكبدي » .

وكشفت البحوث عن أهمية الخلايا الكبدية في تجديد الخلايا ، فهي التي تكون الكوليسترول والدهون الفوسفاتية التي تدخل في تركيب جدر الخلايا ، وفي المركبات الدقيقة داخل الخلية .

كما تقوم خلايا الكبد بصناعة إنزيمات حيوية وهامة لخلايا الجسم ، وبدونها لا يتم عدد كثير من عمليات الخمائر والهرمونات وتبادل الشوادر ، وبدونها أيضًا لا تستغل الطاقة المتولدة من الجلوكوز والأكسجين ، وتضطرب وظائفها .

كما تقدم الخلايا الكبدية أعظم خدماتها في تجديد الخلايا حيث تختزن في داخلها عددًا من المعادن والفيتامينات اللازمة في تجديد الخلايا ، كالحديد والنحاس وفيتامين أ ، ب ، ب١٢ ، كما أنها تزيل المواد السامة من الجسم والتي تعيق عملية تجديد الخلايا ، علاوة على أنها تدمر الخلايا نفسها ، كما في مادة الأمونيا التي تسمم خلايا المخ ، وتدخل مرضى تليف الكبد في غيبوبة تامة .

وحيث إن الصيام الإسلامي هو وحده كما تأكد ذلك وتحقق ـ النظام الغذائي الأمثل في تحسين الكفاءة الوظيفية للكبد ، حيث يمده بالأحماض الدهنية والأمينية الأساسية خلال وجبتي السحور والإفطار ، فعلى هذا يمكننا أن نستنتج ـ بكل ثقة ـ أن الصيام الإسلامي يمتلك دورًا فعالًا في الحفاظ على نشاط ووظائف الكبد ، وكل خلايا الجسم ، وهو ما لا يقوم به الصيام الطبي ، ولا الإسراف في الطعام الغني بالدهون [1] ، فالصلاة والسلام على من قال : « **الصيام جُنَّة** » ، وهنيئًا لمن تمسَّك بسنته ، واستقام على نهجه وشرعه من أمته .

الصيام يؤخر الشيخوخة :

أوضحت الدراسات الحديثة أن الإسراف في تناول الطعام ، يرتبط ارتباطًا مباشرًا بزحف أعراض الشيخوخة على الإنسان في مرحلة مبكرة ، فقد تبين أن احتراق الغذاء ينتج عنه ما يُعرف علميًا بـ« الشوارد الحرة » ، وهي ذرات أحادية من الأكسجين تشبه إلى حد كبير عادم السيارات الناتج عن استهلاك الوقود ، وهذه

(١) انظر : آفاق الروح (ص١٩٥) ، وما بعدها بتصرف ، وارجع إن شئت إلى التداوي بالصوم ، تأليف هـ. م. شيلتون ، ترجمة ونشر دار الرشيد ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ) ، والصوم والصحة لنجيب الكيلاني ، طبعة مؤسسة الرسالة .

تعد أحدث النظريات العلمية التي تفسر أسباب الشيخوخة المبكرة ، أوضحت ذلك أحدث الدراسات العلمية التي أجراها فريق من باحثي كلية طب جامعة « نبراسكا » الأمريكية .

وقد أوضحت الدراسة أن زيادة كميات الطعام تعني زيادة إنتاج هذه « الشوارد الحرة » في جسم الحيوانات التي أجريت عليها هذه التجارب .

هذا وقد بينت تلك الدراسة أن هناك علاقة طردية بين نسبة الشوارد الحرة في الجسم ، وأعراض الشيخوخة ، فكلما زادت « الشوارد الحرة » كانت الشيخوخة أسرع زحفًا وأكثر وضوحًا .

كما أظهرت تلك الدراسات أن تناول البروتينات الحيوانية بمعدلات زائدة على حاجة الجسم ، أدت إلى إنقاص أعمار حيوانات التجارب بنسبة ١٠٪ ، وذلك لأن الأحماض الأمينية الموجودة في البروتينات الحيوانية سهلة الأكسدة ، وبالتالي تزيد نسبة ذرات الأكسجين الأحادية « أي الشوارد الحرة » الناتجة عنها ، والتي تنطلق داخل خلايا الجسم ، وتؤدي دورًا كبيرًا في إضعافها وتدمير حيويتها الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى شيخوختها ، وخفض معدل العمر ، ومن ناحية أخرى تبين أن البروتينات النباتية ليست سهلة الأكسدة ، ولذا فهي أكثر نفعًا للجسم من البروتينات الحيوانية ، ومن ثم فقد ثبت علميًا ما للصيام من أثر إيجابي في حفظ توازن الجسم ، وحفظ شفافية النفس وحيويتها [١] .

الحكمة من الإفطار على التمر :

يقول د. عبد الباسط محمد السيد ـ أستاذ الفيزياء الحيوية والجزئية والطبية وعضو اللجنة القومية بمصر وإنجلترا وأمريكا ـ أنه عند نهاية مرحلة ما بعد الامتصاص ـ أي في نهاية يوم الصوم ـ يهبط مستوى تركيز الجلوكوز والأنسولين

---

(١) انظر : ثبت علميًا (٥/١٨، ١٩) بتصرف يسير .

من دم الوريد البابي الكبدي ، وهذا بدوره يقلل نفاذ الجلوكوز ، وأخذه بواسطة خلايا الكبد ، والأنسجة الطرفية ، كخلايا العضلات والأعصاب ، ويكون قد تحلل كل المخزون من الجيلكوجين الكبدي أو كاد ، وتعتمد الأنسجة حينئذٍ في الحصول على الطاقة من أكسدة الأحماض الدهنية ، وأكسدة الجلوكوز المصنَّع في الكبد من الأحماض الأمينية والجليسرول ؛ لذلك فإمداد الجسم السريع بالجلوكوز في هذا الوقت له فوائد كثيرة ومتعددة ؛ إذ يرتفع تركيزه بسرعة في دم الوريد البابي الكبدي فور امتصاصه ، ويدخل إلى خلايا الكبد أولًا ، ثم خلايا المخ والدم ، والجهاز العصبي والعضلي ، وجميع الأنسجة الأخرى ، والتي هيأها الله تعالى ؛ لتكون السكريات غذاءها الأمثل والأيْسَر ، للحصول منها على الطاقة .

وبذلك يتوقف بذلك تأكسد الأحماض الدهنية ، فيقطع الطريق على تكون الأجسام الكيتونية الضارة ، وتزول أعراض الضعف العام ، والاضطراب البسيط في الجهاز العصبي إن وجدت ، لتأكسد كميات كبيرة من الدهون ، كما يُوقف تناول الجلوكوز ـ أيضًا ـ عملية تصنيع الجلوكوز في الكبد ، فيتوقف هدم الأحماض الأمينية وبالتالي حفظ بروتين الجسم [1] .

لأن التمر قد بينت الأبحاث العلمية أنه يحتوي على مواد سكرية ، وكربوهيدراتية ، وبروتينية ، ودهنية ، وعلى عدد من العناصر المهمة ، والفيتامينات الضرورية لحياة الإنسان ، وقد أثبتت التحاليل الكيميائية أن التمر الجاف يحتوي على ٧٠.٦ من الكربوهيدرات ، ٢.٥٪ من الدهون ، ١.٣٢ من الأملاح المعدنية ، التي تشمل مركبات كل من الكالسيوم ، والحديد والفوسفور والماغنسيوم ، والبوتاسيوم ، والنحاس ، والمنجنيز ، والكوبالت ، والزنك وغيرها ، كما يحتوي على ١٠٪ من

(١) انظر : الإعجاز العلمي في السنة (ص٧٣) ، لمحمد عبد الصمد ، وحكمة الإفطار على تمر ، للدكتور هشام الخطيب ، مجلة الوعي الإسلامي ، عدد يونيو ١٩٨٣ .
وانظر أيضًا : اللطائف من القرآن والسنة (ص١٥٥) .

الألياف ، بالإضافة إلى فيتامينات تشمل فيتامين أ ، وب١ ، ب٢ ، ج وإلى نسب متفاوتة من السكريات والبروتينات [١] .

ولذا فتناول التمر عند الإفطار يؤدي إلى توفر الجلوكوز بسرعة فائقة ، ويمتص مباشرة من الجهاز الهضمي ، ليروي ظمأ الجسم من الطاقة ، وخصوصًا تلك الأنسجة التي تعتمد عليه أساسًا ، كخلايا المخ والأعصاب وخلايا الدم الحمراء .

وبذلك يكون النبي محمد ﷺ قد سبق العلم الحديث بألف وأربعمائة سنة عندما قال ﷺ : « **إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ، فإن لم يجد فليفطر على ماء ، فإنه طهور** » [٢] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات ، فإن لم تكن رطبات فتميرات ، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء [٣] .

الحكمة الطبية في تعجيل الفطر :

أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر** » [٤] .

فالثابت من سنة النبي الكريم ﷺ تعجيل الفطر ، ويكمن وراء ذلك فوائد طبية وآثار صحية ونفسية جليلة للصائم .

فالصائم الذي يصوم فترة طويلة في اليوم قد تصل إلى ثماني عشرة ساعة « ١٨ ساعة يوميًا » ، وذلك باختلاف الزمان والمكان ، يكون في حاجة ماسة إلى تعويض ما فقده من ماء وسوائل وطاقة .

---

(١) انظر : الإعجاز العلمي في السنة ، د. زغلول النجار (١/ ٦١) .

(٢) أبو داود (٢٣٥٥) ، والترمذي (٦٥٨) ، وابن ماجه (١٦٩٩) ، وإسناده صحيح .

(٣) أبو داود (٢٣٥٦) ، والترمذي (٦٩٤) ، وقال : حديث حسن .

(٤) البخاري رقم (١٩٥٧) ، ومسلم (١٠٩٨) ، والترمذي (٦٩٩) .

ويكون فقد السوائل في صورة عرق أو بول أو بخار ماء مع التنفس ..... إلخ ، وهنا يكون تعجيل الفطر لإذهاب الشعور بالظمأ ولاسيما في أوقات الحر الشديد .

كذلك فإن الجسد يكون في حاجة شديدة إلى الطاقة الحرارية بدلًا من التي فقدها ، وأيضًا لكي يواصل الحياة والحركة والعمل ، والجسم يأخذ هذه الطاقة من المواد الغذائية المختلفة التي تتحول إلى مادة سكرية بسيطة في الدم وهي « الجلوكوز » الذي يحترق ليمد الجسم بالطاقة اللازمة ليستعيد حيويته ونشاطه ، تمامًا مثل الآلة التي تحتاج إلى الوقود الذي يحترق ليمد الآلة بالطاقة لكي تعمل .

والتأخير في الإفطار يؤدي إلى زيادة انخفاض نسبة سكر الدم مع حدوث هبوط عام ـ وقد يكون حادًا في بعض الحالات ـ والشعور بالتعب الشديد والإرهاق ، بالإضافة إلى مزيد من الإحساس بالظمأ والجوع ، وفي هذا تعذيب للنفس تأباه الشريعة السمحاء .

فتعجيل الفطر ـ إذن ـ أدب نفسي تربوي عالي الحكمة ، فالإنسان الذي صام طوال يومه وحرم نفسه لذائذ الحياة وتحمل وثابر وصبر ، نجد تلك النفس مشوقة إلى الطيبات وفرحة برزق الله ﷻ عند الإفطار .

وصدق رسول الله ﷺ حين عبَّر عن ذلك بقوله : « **للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه** »[1] .

كذلك وجد أن تعجيل الإفطار له وظيفة فسيولوجية وسيكولوجية هامة يكتسبها الجسم ، حيث إن تعجيل الإفطار يكسب الجهاز الهضمي للإنسان ارتياحًا وانتظامًا هامًا في عمله وفي أداء وظيفته ، فالفطر في وقت معين يُنبه إفرازات اللعاب بالإضافة إلى رؤية الطعام الذي يزيد من هذه الإفرازات مع إفرازات العصارة

---

(١) **صحيح** : انظر : صحيح الجامع للألباني (٤٥٣٨) .

المعدية ، كما ينبه حركات عضلات المعدة ، ويُعد الجهاز الهضمي لبدء عمله وحركته بنشاط بعد فترة راحة أثناء الصيام ، ومع انتظام هذه الأعمال والأفعال الفسيولوجية في أوقات محددة ومنتظمة يوميًا ينتظم ويتكيف الجهاز الهضمي لبدء عمله في ذلك الوقت المحدد للإفطار في كل يوم ، ومخالفة هذا النظام بتأخير الإفطار يسبب التجشؤ مع زيادة حموضة الأمعاء أحيانًا [١] .

الحكمة من صلاة المغرب قبل إكمال الإفطار :

الثابت من سنة النبي ﷺ أنه كان يُعجل فطره ، ولم يكن يتم إفطاره بل كان يتوجه لصلاة المغرب جماعة في المسجد بعد تناوله تمرات أو حسوه حسوات من ماء إذا لم يجد التمر أو الرطب ، فإذا ما عاد إلى بيته وأهله بعد الصلاة أكمل طعام إفطاره كما وردت ذلك كتب السنة النبوية والسيرة العطرة .

وإلى ذلك أشار أنس رضي الله عنه كما هو عند أبي داود والترمذي بقوله : « كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات ، فإن لم تكن رطبات فتميرات ، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء » [٢] .

بيان الفوائد والحكم الصحية وراء هذا الأدب النبوي :

الحقيقة أن هناك العديد من الفوائد والحكم الصحية التي يمكن أن تتحقق لصالح الصائم من جراء التزامه بهذا الهدي المحمدي الشريف ، ويمكن إيجاز ذلك في النقاط التالية :

١ـ صلاة المغرب عقب الإفطار على مادة سكرية فترة زمنية معقولة تمكِّن للمعدة والأمعاء خلالها من امتصاص المادة الغذائية السكرية ، ويكون معدل الامتصاص

---

(١) انظر : الصيام بين الطب والإيمان ، د. علي أحمد الشحات (ص١٣٠، ١٣١) ، بتصرف واختصار .

(٢) أبو داود (٢٣٥٦) ، والترمذي (٦٩٤) ، وقال : حديث حسن .

أسرع في هذه الحالة ، والمعدة والأمعاء خاليتان من الطعام عنه في حالة امتلائهما به .

وبذلك يأخذ سكر الدم في الارتفاع بمعدل سريع مما يؤدي إلى عودة نشاط الجسم وحيويته بمعدل أسرع وفي وقت أقصر .

٢ ـ ارتفاع معدل سكر الدم « حوالي ١٥٠ ملليجرامًا لكل ١٠٠سم٣ دم » خلال فترة زمنية قصيرة يساعد على زوال شعور الجوع ، وحين يعود الإنسان لإكمال فطره بعد الصلاة يكون تأثير نهمه للطعام قد قلَّ وانخفض ، وبالتالي فإنه لا ينقض بشراهة على الطعام ، بل سيأكل كمية أقل لا ترهق معدته .

٣ـ كمية الطعام البسيطة التي يفطر الصائم عليها قبل أدائه للصلاة تُعد منبهًا بسيطًا للمعدة والأمعاء للقيام بوظائفهما ، وفي ذلك فائدة كبرى لصحة الإنسان ، إذ إن من مبادئ الصحة العامة عدم تناول كمية كبيرة من الطعام على المعدة الخالية دون تنبيهها ، وإعدادها لذلك ، خشية أن تقل كفاءتها ، أو يحدث ارتباك معوي .

٤ـ كمية الطعام القليلة التي يتناولها الصائم قبل الصلاة تنبه الغدد اللعابية وغدد جدار المعدة لبدء إفرازاتها بصورة أسرع وبمعدل أكبر للاستعداد للعمل ، والهضم بقية الطعام الإفطار بعد الصلاة ، وبالتالي يتم ذلك كله بكفاءة أكبر .

٥ـ يترتب على تناول الصائم كمية كبيرة من الطعام دفعةً واحدة عدة آثار ضارة ونتائج وخيمة ، منها :

أ ـ انتفاخ المعدة والأمعاء .

ب ـ تقليل معدل انقباض وتقلص عضلات جدرانها .

ج ـ معدل إفرازات عصارتهما .

د ـ حدوث ارتباك وتلبك معوي وعسر في الهضم .

٦ـ عندما تبدأ عملية الهضم ، فإن ذلك يستدعي سحب كميات كبيرة من الدم

وذلك من الأعضاء والأجزاء الهامة بالجسم ، ويتبع ذلك الشعور بالفتور والميل إلى الراحة ، ويبدو هذا واضحًا عندما يتناول الصائم وجبة كبيرة أو دسمة ، حيث إن هضمها يستلزم فترة أطول ، وجهدًا أكبر من الجهاز الهضمي .

٧ـ ثبت أن تناول الإفطار على دفعة واحدة وبكمية كبيرة يسبب البدانة وزيادة الوزن ـ وفي ذلك من المخاطر الصحية ما لا يحصيه عدد ، وذلك لأنه بعد أن يحصل الدم على ما يحتاجه من سكر الجلوكوز ، تبقى كمية كبيرة من السكريات والبروتينات والدهون لا تجد طريقًا أمامها إلا أن تتحول إلى دهن تحت الجيد وتسبب السمنة .

٨ـ حين يقوم الصائم للصلاة بعد الإفطار على التمر وقبل إكمال بقية إفطاره ، فإنه يحتاج لأن يتوضأ مما يُساعد في تنشيط الدورة التنفسية والدموية ، بالإضافة إلى ما في الوضوء من نظافة وطهارة ، قبل تناول بقية طعام الإفطار ، مما يقي الصائم من انتشار الأمراض المعدية ، وهذا من أهم مبادئ الطب الوقائي والصحة العامة [١] .

الحكمة من صلاة التراويح في شهر الصيام :

سنَّ النبي ﷺ لأمته أداء صلاة التراويح في ليالي شهر رمضان بعد صلاة العشاء ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه صلاها في رمضان ثلاث ليال ، ثم لما رأى كثرة عدد المسلمين خلفه لم يخرج للصلاة في الليلة الرابعة خشية أن تفرض عليهم .

وقد رغب النبي ﷺ في هذه الصلاة في عدد من الأحاديث الصحيحة منها ، قوله ﷺ : « **من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** » [٢] .

وقد بيَّنت أم المؤمنين عائشة بنت الصديق > كيفية هذه الصلاة ، كما في الصحيحين من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة > : كيف كانت

---

(١) انظر : الصيام بين الطب والإيمان (ص١٣٨ــ ١٤٠) بتصرف .
(٢) البخاري (٣٦) ، (١٨٧٠) ، ومسلم (١٢٦٦) ، (١٢٦٧) .

صلاة رسول الله ﷺ في رمضان ؟ يقصد صلاة التراويح .

فقالت : ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، ويصلي أربعًا ، فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ـ أي كان يصلي أربعًا غاية الحسن من الإتقان والتطويل وكمال الخشوع ، ثم يتبعها بأربع أخرى ، ثم يصلي ثلاثًا »[1] .

بيان وجه الإعجاز في صلاة التراويح :

بداية ينبغي التعرف على الحالة الفسيولوجية التي يكون عليها الصائم بعد الإفطار ، وذلك لما لها من علاقة طبيَّة وصحية بصلاة التراويح .

فالثابت أن الصائم بعد الإفطار يميل إلى الاسترخاء والراحة ، نظرًا لبدء الجهاز الهضمي في العمل لهضم الطعام ، وسحبه كمية كبيرة من الدم لإجراء عملية الامتصاص والهضم واستفادة الجسم من الغذاء ..... إلخ .

وتستمر حالة الفتور والاسترخاء هذه حتى تبدأ نسبة جلوكوز الدم في الارتفاع مرة أخرى وتصبح ثابتة لتزود الجسم بما يحتاجه من طاقة ، وكما ذكرت سابقًا فإن نسبة جلوكوز الدم تنخفض أثناء الصيام ، وتُقدر هذه الفترة التي يبدأ فيها الجلوكوز في الارتفاع حتى مستواه الثابت من ساعة إلى ثلاث ساعات ، وذلك تبعًا لنوع الطعام وكميته وكفاءة الجهاز الهضمي ، وحالة الصائم وصحته ..... إلخ .

وأفضل طريقة صحية يجب أن يتبعها الصائم عقب إفطاره ، هي الراحة لفترة قصيرة بعد صلاة المغرب وتناول الإفطار ، أي حتى وقت صلاة العشاء حيث يقضي الإنسان هذا الوقت في صورة استرخاء وراحة وليس نومًا ، وذلك الراحة والاسترخاء في ذلك الوقت توفر تدفق كميات كبيرة من الدم إلى الجهاز الهضمي فيقوم بعمله بكفاءة أعلى وأسرع ، خاصة وأن باقي أعضاء الجسم ليست في حاجة

---

(١) البخاري (١٠٧٩) ، (١٨٧٤) ، (٣٣٠٤) ، ومسلم (١٢١٩) .

إلى كميات كبيرة منه خلال فترة الراحة .

ثم يذهب المسلم بعدها لأداء صلاة التراويح ، ومعروف ما في المشي من تنشيط للجسد والعضلات والمفاصل والأجهزة بعامة ، خاصة : الجهاز التنفسي والدوري والهضمي .

وتعد صلاة التراويح بالتتابع مع صلاة العشاء من أفضل الأمور التي تساعد في تنشيط جميع أجهزة الجسم ، وتعد من النشاط الرياضي المعتدل ، إذ أنها تشتمل على حركات متكررة تُؤدَّى في سكون وخشوع وطمأنينة ، وتستخدم فيها أجهزة الجسم .

وقد ثبت أن صلاة التراويح بعدد ركعاتها وطريقة أدائها تساعد الجهاز الهضمي على أداء وظائفه الفسيولوجية بقدرة وكفاءة عالية ، وبالتالي تجنب الصائم بعض الأمراض والمتاعب مثل : عسر الهضم أو حدوث الإمساك .

كما ثبت أن المواظبة عليها تُساعد في تقوية كثير من عضلات الجسم ، ولا سيما عضلات جدار البطن وعضلات الساقين كما أنها تمنع تيبس المفاصل .

وقد كشفت الدراسات عن أن المصلي حين يركع وحين يسجد يزيد معدل تدفق الدم .

ثبت أن النشاط والحركة نهارًا أثناء الصيام يوفران للجسم من الجلوكوز المصنَّع أو المخزون في الكبد ، وهو الوقود المثالي لإمداد المخ وكرات الدم الحمراء والعظام والجهاز العصبي بالطاقة اللازمة لتجعلها أكثر كفاءة لأداء وظائفها .

كما توفر الحركة طاقة للجسم تفيد في عملياته الحيوية ، وتستهلك الطاقات المختزنة ، وتنظف المخازن من السموم التي يمكن أن تكون متماسكة أو ذائبة في المركبات الدهنية أو الأمينية ، وإن الكسل والخمول والنوم أثناء نهار رمضان أو نهار أي صيام ، يعطل كل هذه الفوائد .

بل إن الكسل والخمول والنوم أثناء النهار قد يصيب الصائم بكثير من العلل ويجعله أكثر تبلدًا ، ويؤدي أيضًا إلى اضطراب عمل الساعة البيولوجية في الجسم مما يكون له أثر سيئ على عملية الاستقلاب الغذائي داخل الخلايا [١] .

وهذا وغيره من أهم الأسرار التي من أجلها سنَّ لنا رسول الله ﷺ الصيام نهارًا وليس ليلًا ، وهذا يؤكد لنا أن هذا النبي الأمي لا يُشرِّع من تلقاء نفسه ، بل هو وحي من السماء نزل به جبريل الأمين على قلبه رحمة وهدى للمؤمنين .

مما يبرهن على أن هذا النبي الأمي ﷺ رسول من عند الله حقًا وصدقًا .

الحكمة في أمر النبي ﷺ الصائم بالإمساك عن الشجار :

روى البخاري ~ من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **الصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب** » وفي رواية : « **ولا يجهل** » ، **فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم** » [٢] .

فقد أوضحت نتائج البحوث العلمية الحديثة أن الصائم إذا اعتراه الغضب وانفعل وتوتر ، ازداد إفراز هرمون الأدرينالين في دمه زيادة كبيرة ، وقد يصل إلى ٢٠أو ٣٠ ضعفًا عن معدله الطبيعي أثناء الغضب الشديد أو العراك ، فإذا حدث هذا في أول الصوم أثناء فترة الهضم الصوم والامتصاص ، اضطرب هضم الغذاء وامتصاصه ، زيادة على الاضطراب العام في جميع أجهزة الجسم ، ذلك لأن الأدرينالين يعمل على ارتخاء العضلات الملساء في الجهاز الهضمي ، ويقلل من تقلصات المرارة ، ويعمل على تضييق الأوعية الدموية الطرفية ، كما يرفع الضغط

---

(١) انظر : الصيام معجزة علمية ، د. عبد الجواد الصاوي (ص١٢٢) .
وانظر أيضًا : عالج نفسك بالصيام ، محيي الدين عبد الحميد (ص٧٩، ٨٠) ، طبعة مؤسسة بدران القاهرة ، (١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م) .

(٢) البخاري (١٩٠٤) ، وله رواية أخرى في الصحيح (١٨٩٤) .

الدموي الشرياني ، ويزيد كمية الدم الواردة إلى القلب وعددَ دقاته [١] .

أما إذا حدث الغضب أو الشجار في منتصف النهار أو آخره « أثناء فترة ما بعد الامتصاص » تحلل ما تبقى من مخزون الجليكوجين في الكبد ، وتحلل بروتين الجسم إلى أحماض أمينية ، وتأكسد المزيد من الأحماض الدهنية ، كل ذلك ليرتفع مستوى الجلوكوز في الدم ، فيحترق ليمد الجسم بالطاقة اللازمة في الشجار والعراك .

وبهذا تُستهلك الطاقة بغير ترشيد .

ويُفقد بعضُ الجلوكوز مع البول إن زاد عن المعدل الطبيعي

كما ثبت أن الازدياد الشديد للأدرينالين في الدم يعمل على خروج كميات كبيرة من الماء من الجسم ، بواسطة الإدرار البولي ، كما يرتفع معدل الاستقلاب الأساسي (Basic Metabolism) ، عند الغضب والتوتر ، نتيجة لارتفاع الأدرينالين والشد العضلي .

وهذا الارتفاع للأدرينالين قد يؤدي لنوبات قلبية ، أو موت الفجأة عند بعض الأشخاص المهيئين لذلك ، بسبب ارتفاع ضغط الدم ، وارتفاع حاجة عضلة القلب للأكسجين من جراء ازدياد سرعته .

لهذا ولغيره ، مما أثبته العلم ، ومما لم يتوصل إليه بعد ، وصَّى النبي الكريم محمد ﷺ الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وصَّى الصائم بالسكينة ، وعدم الصخب والانفعال ، أو الاحتكاك بالآخرين طالما أن الموقف سيجر إلى عراك أو شجار قد يودي بحياة المؤمن في لحظة ، ولا نملك إزاء هذه الحقائق الثابتة ، والبراهين الساطعة ، والحجج الدامغة إلا أن نقول : حقًّا ، محمد رسول الله ﷺ .

---

(١) راجع آفاق الروح (ص٢٠٠) وما بعدها .

الصيام وأثره الإيجابي على قدرة الرجال على الإخصاب :

أسفرت نتائج الأبحاث التي أجريت بكلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز ، أن صيام شهر رمضان يزيد من قدرة الرجال على الإخصاب ، و قد أكدت الدراسة التي أجراها د. سمير عباس أستاذ العقم والمستشار الفني لمركز أطفال الأنابيب بجدة ، أن عدد الحيوانات المنوية و الهرمونات لدى الرجال الذين يعانون من الضعف ، تزداد و تقوى نتيجة لصيام شهر رمضان المبارك .

يذكر أن هذه الأبحاث استمرت لمدة عامين على عدد من الرجال الأصحاء (٢٠ رجلًا) و(٨) ممن يعانون من ضعف عدد الحيوانات المنوية ، و(٣) ليس لديهم أية حيوانات منوية على الإطلاق ، وذلك بتحليل عينات من دمائهم في ثلاثة أشهر هي : شعبان ، و رمضان ، و شوال ، و ذلك للوقوف على مقارنة عملية قبل و أثناء وبعد الصيام .

وكذلك تم فحص الهرمونات الخاصة بالغدة النخامية Pituitary gland وهرمون الخصيتين ، وقد أظهرت النتائج الدقيقة أن صيام شهر رمضان يزيد من منسوب الهرمونات بصفة عامة ، أما بالنسبة للذين يعانون من ضعف في هرموناتهم ، ونقص في الحيوانات المنوية ، فقد تبين أن الصيام لا يؤثر على هرموناتهم فحسب ، بل يزيد من عدد الحيوانات المنوية ، و بالتالي من قدرتهم على الإخصاب ، أما المرضى الذين يعانون من انعدام الحيوانات المنوية فلم يطرأ عليهم أي تغيير [١] .

الإعجاز في صيام الأيام البيض من كل شهر عربي :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص { قال : قال رسول الله ﷺ : « **صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله** » [٢] .

---

(١) انظر : المجلة العربية السعودية ، عدد شهر نوفمبر ١٩٨٧ ، وانظر أيضًا : ثبت علميًا (٥/ ٣٠٧) .

(٢) البخاري (١٩٨١) ، ومسلم (١١٥٩) .

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث لن أدعهن ما عشت : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام [١] .

وقد بوَّب البخاري في صحيحه قبل ذكر الحديث الأول بقول : باب صيام البيض ، ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة .

وقال ابن حجر : « المراد بالأيام البيض : الليالي وهو التي يكون فيها القمر أول الليل إلى آخره ، وليس في الشهر يوم أبيض كله إلا هذه الأيام ، لأن ليلها أبيض ونهارها أبيض ، فصح القول عليها : « الأيام البيض » [٢] .

وقد تم تحديد الثلاثة أيام البيض بالثلاث عشرة والأربع عشرة والخمس عشرة في حديث جابر مرفوعًا : « **صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر : أيام البيض صبيحة ثلاث عشرة ...** » [٣] .

وجه الإعجاز في ستة الأيام البيض :

كشفت الأبحاث العلمية الحديثة عن أن القمر عندما يكون بدرًا ، أي في الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، يزداد عند الشخص التهيج العصبي والتوتر النفسي إلى درجة بالغة .

يقول الدكتور « ليبر » عالم النفس Psychologist بجامعة ميامي في الولايات المتحدة الأمريكية : « إن هناك علاقة قوية بين العدوان البشري والدورة القمرية ، وخاصة بينه وبين مدمني الكحول وذوي الميل إلى الحوادث ، والنزعات الإجرامية ، وأولئك الذين يعانون من عدم الاستقرار العقلي والعاطفي » .

---

(١) مسلم (٧٢٢) ، وأبو داود (١٤٣٣) .

(٢) انظر : فتح الباري ، لابن حجر (٤/ ٢٦٦) بتصرف .

(٣) أصحاب السنن الأربعة ، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم (٩٤٦) ، وفي السلسلة الصحيحة (٢٨٠٦) ، وصحيح أبي داود (١٤٣٣) ، وصحيح النسائي (١٦٧٧) ، (٢٤٠٤) ، (٢٤٠٦) .

ويشرح ليبر نظريته قائلًا : « إن جسم الإنسان مثل سطح الأرض يتكون من ٨٠٪ من الماء والباقي هو المواد الصلبة ، ومن ثمَّ فيعتقد بأن قوة جاذبية القمر التي تسبب المد والجزر في البحار والمحيطات تسبب أيضًا هذا المَّد في أجسامنا عندما يبلغ القمر أوج اكتماله في الأيام البيض » .

ويضيف د. ليبر قائلًا : « إنه نبَّه شرطة ميامي ، كما طلب أخصائي التحليل النفسي Psychoanalysist في مستشفى جاكسون التذكاري في حالة طوارئ ، وتحسبًا للأحداث التي ستقع نتيجة الاضطرابات في السلوك الإنساني ، والمتأثرة بالزيادة الحادثة في جاذبية القمر الأيام البيض » .

ويقول د. ليبر عن آخر أخبار الحوادث عام ١٩٧٣م : « تضاعفت الجريمة في الأسابيع الثلاثة الأولى من يناير ١٩٧٣م ، كما وردت أنباء عن جرائم أخرى غريبة ، وجرائم ليست لها أي دافع ، وأصبح من المعروف أن للقمر في دورته تأثيرًا على السلوك الإنساني وعلى الحالة المزاجية .

كما تبين أن هناك حالات تسمى « الجنون القمري » ـ وليس البقري ـ حيث يبلغ الاضطراب في السلوك الإنساني أقصى مداه في الأيام التي يكون القمر فيها بدرًا ـ أي في الأيام البيض [(١)] .

الحكمة في رخصة الإفطار للحامل والمرضع في رمضان :

رخَّص النبي ﷺ للحامل والمرضع الفطر في رمضان ، سواءً خافت على نفسها وولدها معًا ، أو على نفسها فقط ، أو على ولدها فقط ، ولكن الشرع أوجب عليها القضاء في الأحوال الثلاث ، وعليها الفدية في الحالة الأخيرة ـ وهي إذا ما كان الخوف على ولدها فقط [(٢)] .

---

(١) انظر موقع د. محمد علي الباز نقلًا عن الموسوعة الذهبية (ص٩٢٠) .

(٢) انظر : نهاية المحتاج (٣/ ١٨٤) ، والإنصاف (٣/ ٢٧٣) ، والمجموع (٢/ ٢٦٧) .

وأما الحديث ، فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الله ﷻ وضع للمسافر الصوم وشطر الصلاة ، وعن الحبلى والمرضع الصوم** » [١] .

وجه الإعجاز العلمي في الحديث :

من الثابت علميًا أن الأم الطبيعية تفرز من ثدييها نحو (٤) لترات من اللبن يوميًا ، وصناعة هذا القدر من اللبن في الثدي يستنفذ كثيرًا من عناصر الغذاء من دم المرضع ، لذلك لابد لها من أن تتناول كمية إضافية من الطعام والشراب فوق القدر الذي يحتاجه جسمها ، وتكون هذه الكمية كافية لصناعة ذلك القدر من اللبن كل يوم ، وإذا قلّت تغذية الأم ، أو تناولت ما يكفي احتياجات جسمها من الغذاء فقط ، فإن إفراز اللبن من الثدي يقل .

كما أن العناصر اللازمة لصناعة اللبن في الثدي تُستمد من جسم الأم ، لذلك تتعرض لأمراض سوء التغذية ، فإذا قلَّ غذاء الأم المرضع ، تُضار هي ويُضار الطفل أيضًا .

وهذه حقائق علمية لم يكتشفها علماء الأغذية إلا في مطلع القرن العشرين ، ولم تكن معروفة من قبل ذلك أبدًا ، وهذا فيما يخص المرضع .

أما الحامل : فلأن الجنين في بطن أمه يتغذى على مواد الغذاء الموجودة في دمها وخاصة في شهور الحمل الأخيرة ، لذا فالصيام يضرها أيضًا [٢] .

وقد كشفت الأبحاث عن أن تغذية الحامل لها أهمية خاصة ، فلم يعد طعامها لها وحدها ، وإنما صار يشاركها فيه جنينها بين أحشائها ، فسواء رضيت أم لم ترض أصبح لزامًا عليها أن تمد طفلها بكل ما يحتاج إليه من عناصر غذائية ضرورية لنموه

---

(١) الحديث أخرجه الإمام النسائي في سننه بسند صحيح .

(٢) انظر : موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي (ص٩٨، ٩٩) .

من خلال ما تأكله الأم من طعام ولو كان على حساب جسمها .

فالطعام الذي تناولته الحامل يُمتص في مجرى الدم ، ويُصبح مهيئًا لأن تنتقي منه أنسجة جسمها أو جسم الجنين العناصر الغذائية اللازمة لبناء الجسم ، فإذا كان هذا الطعام غنيًا بهذه العناصر ، فإن الجنين يتمكن من الحصول على كل ما يلزمه حتى ينمو طبيعيًا ، أما إذا افتقر الطعام إلى هذه العناصر الضرورية من جسمها ، فتصير الأم عرضة للضعف والمرض ، كما يتعرض طفلها للضعف ونقص النمو ، وهذا بدوره يجعل الولادة عسيرة ، ويكثر التعرض لاحتمال حدوث ولادة مبكرة مقارنة بمن يتناولن غذاءهن بشكل مناسب وكافٍ [١] .

الحكمة في عدم شرعية الصيام للنفساء :

اتفق البحث الطبي الحديث مع ما دعت إليه الشريعة الإسلامية السمحة من سقوط الصيام من على النفساء ، وفترة النفاس هي الفترة التي تعقب الحمل والوضع ، وتقدر بما يقرب من شهر ونصف ، ولا شك أن المرأة بعد الحمل والوضع تحتاج إلى العناية الغذائية والصحية ، والراحة التامة لتعويض ما بذل من مجهود شاق أثناء مرحلتي الحمل والوضع .

يقول الدكتور علي أحمد الشحات ، الأستاذ بالمركز القومي للبحوث وعضو هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة : « إن النفساء في حاجة إلى عناية غذائية خاصة أكبر من المعدَّل الطبيعي وموزعة على فترات متقاربة ، مثل المواد البروتينية والنشوية والمعادن ، وكذلك الخضروات الطازجة والفواكه ، مع الراحة التامة ، وذلك لتعويض ما فقده جسمها من مواد غذائية مختلفة من بروتينات وكربوهيدرات وفيتامينات ومعادن مختلفة .... إلخ .

---

(١) انظر : التغذية النبوية ، د. عبد الباسط السيد (ص٤٥٨، ٤٥٩) بتصرف .

بالإضافة إلى ما سبق ، فإن النفساء تحتاج إلى عناية غذائية ورعاية صحية مضاعفة خلال فترة إرضاع وليدها .

وقد تحتاج النفساء إلى بعض الأدوية والمقويات لكي تتجنب الأمراض الخطيرة التي تصيب المرأة في فترة النفاس ، والتي قد تتسبب في وفاة بعض الأمهات مثل : النزيف الرحمي ، وحمى النفاس ، وغيرها ، وكذلك لإعادة بناء أنسجة الجهاز التناسلي وتجديدها .

لكل هذه الأسباب وغيرها منع الطب الحديث النفساء من الصيام ، وهذا ما أمرت به الشريعة الإسلامية ، وأرشد إليه النبي الأمي الكريم ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان [١] .

القيام وفوائده الصحية :

هل تعلم فوائد القيام الصحية ؟

هل سمعت عما قرره الأمريكيون عام ١٩٩٣م ؟

هل تعرف كم مرضًا يقي منه القيام ؟

حديث معجز وذلك : قال رسول الله ﷺ : « **عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقُربةٌ إلى الله ﷻ ، ومنهاةٌ عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء من الجسد** ... » [٢] .

القيام يقلل إفراز هرمون اللوزيكرون :

يؤدي قيام الليل إلى تقليل إفراز هرمون الكورتيزون . ACTH ، Adreno . Cortico Trophic Hormon خصوصًا قبل الاستيقاظ بعدة ساعات وهو ما

---

(١) انظر : الصيام بين الطب والإيمان د. علي أحمد الشحات (ص١١٦، ١١٧) بتصرف يسير .

(٢) الترمذي ، وأحمد والحاكم ، وابن عساكر من حديث أبي الدرداء ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٧٩) .

يتوافق زمنيًا مع وقت السحر ، « الثلث الأخير من الليل » ، مما يقي من الزيادة المفاجئة في مستوى سكر الدم ، والذي يُشَكِلُ خطرًا على مرضى السكري ، ويقلل كذلك من الارتفاع المفاجئ في ضغط الدم ، ويقي من السكتة المميتة والأزمات القلبية في المرضى المعرضين لذلك ، كذلك يقلل من مخاطر تخثر الدم في وريد العين الشبكي ، الذي يحدث نتيجة لبطء سريان الدم أثناء النوم ، وزيادة لزوجة الدم بسبب قلة تناول السوائل أو زيادة فقدانها ، أو بسبب السمنة المفرطة وصعوبة النفس مما يعوق ارتجاع الدم الوريدي من الرأس ، ويؤدي قيام الليل إلى تحسن عند مرضى التهاب المفاصل المختلفة سواء كانت الروماتيزمية أو غيرها نتيجة الحركة الخفيفة والتدليك بالماء عند الوضوء .

القيام ومرض الإجهاد الزمني :

هل تعلم أن قيام الليل علاجٌ ناجح لما يعرف باسم مرض الإجهاد الزمني ؟ نعم ذلك صحيح لما يوفره قيام الليل من انتظام في الحركة ما بين الجهد البسيط والمتوسط الذي ثبتت فاعليته في علاج هذا المرض ، ويؤدي قيام الليل إلى التخلص من الجليسرات « الدهون الثلاثية » ، التي تتراكم في الدم خصوصًا بعد تناول العشاء المحتوي على نسبة عالية من الدهون والتي تزيد من مخاطر الإصابة بأمراض الشرايين ، والشرايين التاجية بنسبة ٣٢٪ في هؤلاء المرضى بخلاف غيرهم .

القيام يقلل نسبة الوفيات :

صدق أو لا تصدق !!

هل تعلم أن القيام يقلل أخطار الوفيات بجميع الأسباب ؟!

وذلك ما قررته الأبحاث الحديثة أن القيام يقلل من مخاطر السكتات القلبية والدماغية ، وبعض أنواع السرطان ، كذلك يقلل من مخاطر الموت المفاجئ بسبب اضطرابات القلب وما يصاحبه من تنفس هواء خالٍ من ملوثات النهار ، وأهمها عوادم السيارات ، ومسببات الحساسية .

قيام الليل ينشط الذاكرة :

هل تعلم أن قيام الليل له دورٌ كبيرٌ في تنشيط الذاكرة وتنبيه المخ ووظائفه المختلفة ، وكذلك يعمل على قوة التركيز والانتباه لدى المعتادين عليه ، لما فيه من قراءة مع خشوع وخضوع ، وتدبرٍ وتفكرٍ في آيات القرآن ، وذكرٍ للأدعية واسترجاعٍ للأذكار الخاصة في الصلاة .

قيام الليل والشيخوخة :

يقي قيام الليل من مخاطر الشيخوخة وأمراضها ، كذلك يقي القيام من أمراض كثيرة وأدواءٍ خطيرةٍ كمرض الزهايمر ، والاكتئاب ، وغيرها .

كذلك يقي من أمراض الأذنين والطنين وغيرها ، لأسبابٍ لم يفسرها الطبُّ بعدُ .

الوصفات المنزلية المجربة وأسرار الشفاء الطبيعية :

هذا هو عنوان كتاب لمجموعة من الأمريكيين ، طُبع عام ١٩٩٣م ، وقرر فيه المؤلفون الأمريكيون أن القيام من الفراش أثناء الليل ، والحركة البسيطة داخل المنزل ، والقيام ببعض التمرينات الرياضية الخفيفة ، وتدليك الأطراف بالماء والتنفس بعمقٍ له فوائد صحية عديدة !!

والمتأمل لهذه النصائح يجد أنها تماثل تمامًا حركات الوضوء والصلاة عند قيام الليل [١] !!

هل تحتاج بعد قول النبي ﷺ إلى قولٍ آخر ؟

هل تحتاج بعد نصيحة النبي ﷺ إلى نصيحة أخرى من شخصٍ آخر ؟

أفلا يكفيك قول من لا ينطق عن الهوى ؟

أما يشفيك أمرُ من أتاك بالهدى ؟

---

(١) مقال للدكتور / صلاح أحمد حسين ، أستاذ بطب أسيوط ، جريدة الأهرام ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٣م .

أما تعلم أن أمر النبي ﷺ دواء ، ونصيحته شفاء من جميع الأدواء ؟!!

الكفار يقرون ، فأين من القيام المؤمنون ؟! [١] .

*****

(١) انظر : الإعجاز العلمي في سنة النبي الأمي ﷺ لحمدي عبد الله الصعيدي (ص١٤٨ــ ص١٨٢) .

الفصل الخامس عشر

الاجتهاد في العشر الأواخر

فقد كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ، فعن عائشة < قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مِئْزَرَهُ ، وأحيا أهله ، وأيقظ أهله [(١)] .

وفي لفظ مسلم : « أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجَدَّ ، وشد المئزر » [(٢)] .

فقد كان النبي ﷺ يجتهد في العبادة في هذا الشهر كله ولكن يزداد اجتهاده ﷺ في العشر الأواخر ، لأنها خاتمة الشهر ، ولوجود ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر في هذه العشر .

وهذا الاجتهاد النبوي كان يتمثل في إحياء هذه السنن :

من هدي النبي ﷺ في قيام الليل :

١ـ إحياء الليل كله :

ويدل على ذلك قول أم المؤمنين عائشة < : « أحيا ليله » ، وجد واجتهد وبالغ في العبادة والطاعة والعمل .

وهذا الاجتهاد يحتاج إلى عزيمة ومجاهدة ومكابدة للنوم والتعب من جهد العبادة ، في التعبير بكلمة «أحيا» دلالة على أن الأوقات التي لا تغتنم في طاعة الله أوقات ميتة .

---

(١) البخاري (٢٠٢٤) .

(٢) مسلم (٢٧٧٩) .

٢ـ إشاعة الأجواء الإيمانية في البيوت :

أي « **أيقظ أهله** » وحثهم على الاجتهاد في الطاعة والعمل ، وإيقاظهم في الليل لصلاة التهجد وقراءة القرآن وذكر الله .

٣ـ شد المئزر :

كناية عن الاجتهاد في العبادة ، يقال للمجتهد في أمر : شمر عن ساقيه ، كما يكنى عن اعتزال النساء وعدم الجماع والمباشرة والاستمتاع ووجهه : كون النبي ﷺ معتكفًا في المسجد لطلب ليلة القدر .

٤ـ الاعتكاف :

وهذا الاعتكاف عبارة عن عزلة مؤقتة ، عن شواغل الحياة ، وفيه إقبال على الله بالكلية والأنس بعبادته ، وهذا هو التبتل .

والإسلام لم يشرع الرهبانية ، ولا التعبد بالعزلة الدائمة ، ولكنه سبحانه شرع ذلك في أوقات معينة ، في أوقات مؤقتة لتربية القلوب على التجرد لله رب العالمين .

وسوف يُفصل ذلك في أحكام الاعتكاف في مكانه .

ما هو سر الاجتهاد في العشر ؟

وهذا لأمرين :

أولًا : أن هذه العشر ، هي ختام الشهر المبارك ، والأعمال بخواتيمها ، ولذا كان من دعائه عليه الصلاة والسلام : « **اللهم اجعل خير أيامي يوم ألقاك ، وخير عمري أواخره ، وخير عملي خواتمه** » [(١)] .

ثانيًا : أن ليلة القدر في هذه العشر الأواخر ، فالكيس اللبيب من اجتهد في هذه العشر ، عسى أن يظفر فيها بهذه الليل فيغفر له ما تقدم من ذنبه [(٢)] .

---

(١) اللؤلؤ والمرجان (٧٢٨، ٧٢٩) .

(٢) فقه الصيام للقرضاوي (ص١١٠، ١١١) .

ليلة القدر المباركة :

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر] .

لقد عظم القرآن الكريم من شأن هذه الليلة .

فوصفت هذه الليلة بالقدر ، والقدر بمعنى المقام والشرف ، وأي مقام وشرف أكثر من أن تكون خيرًا من ألف شهر ، أي : الطاعة والعبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وألف شهر تساوي ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر ، أي : هذه الليلة الواحدة ، أفضل من عمر طويل يعيشه إنسان عمره ما يقارب مائة سنة ، قال تعالى : ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ .

وهذا القدر العظيم سببه نزول القرآن في هذه الليلة .

ليلة القدر أنزل الله فيها القرآن :

قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١] .

قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥] .

قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣] .

فإن القرآن الكريم نزل في هذه الليلة المباركة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، ثم نزل به الأمين جبريل عليه السلام على قلب رسول الله ﷺ ، على مدار ثلاث وعشرين سنة ما بين مكة والمدينة .

إذًا قدر هذه الليلة وشرفها في قدر القرآن وشرفه ، فما أكرم شهر رمضان ، ولا قدرت ليلة القدر إلا من أجل القرآن الكريم .

ومن فضائل هذه الليلة المباركة : أن الملائكة تتنزل فيها وعلى رأسهم سفير الملائكة جبريل عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [القدر] .

فالروح هو « جبريل عليه السلام » لقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء:١٩٣] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢] .

فالروح هو جبريل وسمي بذلك لأنه نزل بالقرآن الكريم كلام رب العالمين الذي به تحيا الأرواح .

وجبريل هذا قال عنه رسول الله ﷺ ، عن عبد الله بن مسعود قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل له ستمائة جناح [١] .

فهذا جبريل وحده له ستمائة جناح قد سد الأفق ، والملائكة معه عليه السلام وهم كثير ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **إن الملائكة في تلك الليلة « ليلة القدر » أكثر في الأرض من عدد الحصا** » [٢] .

ومن فضائل هذه الليلة المباركة أنها ليلة الأمن والسلامة ، أي : يحمل الأمن والسلام على أهل الإيمان في هذه الليلة فقد قال تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [القدر]

فهي ليلة سالمة من الأذى وكلها خير وبركة ، والملائكة تسلم على أهل الإيمان .

ومن فضائلها أيضًا أنها ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم ، أي : يفصلُ في هذه الليلة كل أمر محكم مما قضى الله أن يتم في هذه الليلة المباركة من موت ومن حياة ومن

---

(١) البخاري (٤٨٥٦) .

(٢) **إسناده حسن** : صحيح ابن خزيمة (٢١٩٤) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٠٥) .

رزق ، ومن فقر ومن غنى ومن صحة ، ففيها يفرق كل أمر حكيم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدخان] .

وقال تعالى في سورة القدر : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القدر] .

ومن فضائل هذه الليلة المباركة أنها يغفر الله فيها الذنوب الماضية ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه** » (١) .

ولكن هذه المغفرة والرحمة مقيدة بثلاثة شروط لأن « مَنْ » هذه شرطية :

الشرط الأول : « قام » .

الشرط الثاني : « إيمانًا » .

الشرط الثالث : « احتسابًا » .

قيام هذه الليلة وإحياؤها بالقرآن والصلاة والذكر والدعاء ، وهذا القيام والطاعة من مُنطلق الإيمان والتصديق بهذا الوعد ، محتسبًا هذا الجزاء عند الله ﷻ وحده لا شريك له ، فمن حقق هذه الشروط كان له الجواب ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ، ونهاية هذه الليلة : ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر:٥] .

وبعد هذه الفضائل كلها فإن من حرم نفسه منها فقد حُرم الخير كله ، وكان من المحرومين ، قال رسول الله ﷺ : « **من حُرمها فقد حُرم الخير كله ولا يُحرم خيرها إلا محروم** » (٢) .

---

(١) البخاري (٢٠١٤) .

(٢) **صحيح** : ابن ماجه (١٣٤١) ، وصحيح الترغيب والترهيب (١٠٠٠) .

متى تكون ليلة القدر ؟

ابتداءً هذه الليلة في رمضان ، لقوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١] .

وجمهور العلماء على أنها في العشر الأواخر من رمضان ، وذلك لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الصحيحين ، عن رسول الله ﷺ قال : « **فابتغوها في العشر الأواخر** » (١) .

ومثل قوله ﷺ أيضًا : « **تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان** » (٢) .

والجمهور أيضًا على أنها في الليالي الوترية من العشر الأواخر ، لقول النبي ﷺ : « **تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان** » (٣) .

والأكثرون على أنها في ليلة السابع والعشرين من رمضان ، لحديث أبي بن كعب ﷺ قال : والله إنها لفي رمضان ليلة سبع وعشرين ، ولم يستثن (٤) .

ولم يستثن : أي لم يقل : إن شاء الله ، لأنه يجزم أنها ليلة سبع وعشرين .

وهذا ليس قول أبي بن كعب وحده .

فهذه رواية أخرى قالها أبي بن كعب قال : « والله لقد علم ابن مسعود أنها في رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين ولكن كره أن يخبركم فتتكلوا » (٥) .

---

(١) البخاري (٢٠١٨) ، ومسلم (١١٦٧) .
(٢) البخاري (٢٠٢٠) .
(٣) البخاري (٢٠١٧) .
(٤) مسلم (٢٧٦٩) .
(٥) **صحيح** : صحيح سنن الترمذي (٧٩٣) .

وهذا زر بن حُبيش قال : « لولا سفهاؤكم لوضعت يدي في أذني فناديت أن ليلة القدر سبع وعشرين نبأ من لم يكذبني عن نبأ من لم يكذبني » [١] .

أي نبأ أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ .

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب ، وحبر الأمة عبد الله بن عباس ﷺ جميعًا .

يقول ابن عباس : « كان عمر ﷺ يدعوني مع أصحاب محمد ﷺ ، فيقول لي : لا تتكلم حتى يتكلموا ، قال : فدعاهم فسألهم عن ليلة القدر .

فقال : أرأيتم قول رسول الله ﷺ : « **التمسوها في العشر الأواخر** » أي ليلة ترونها ؟

قال : فقال بعضهم : ليلة إحدى ، وقال بعضهم ليلة ثلاث ، وقال بعضهم : ليلة خمس ، وأنا ساكت .

فقال عمر ﷺ لابن عباس : ما لك لا تتكلم ؟

قال : قلت : إن أذنت لي يا أمير المؤمنين تكلمت .

قال عمر ﷺ : ما أرسلت إليك إلا لتتكلم .

قال ابن عباس : فقلت : أحدثكم برأيي ؟

قال عمر : عن ذلك نسألك ، قال : فقلت : السبع ... إلى أن قال عمر ﷺ : إني والله ما أرى القول إلا ما قلت [٢] .

إذًا قول كثير من الصحابة الكرام أمثال : عمر بن الخطاب ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وزر بن حبيش ، وغيرهم على أنها ليلة السابع والعشرين .

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٢١٨٧) .

(٢) **إسناده صحيح** : صحيح ابن خزيمة (٢١٧٢) .

وجمهور العلماء من المتقدمين والمتأخرين على أنها ليلة السابع والعشرين أو أنها هي أرجى الليالي .

فهذا الحافظ ابن حجر ~ قال : « أرجاها عند الجمهور ليلة السابع والعشرين »[١] .

وقال القرطبي ~ : « الذي عليه المعظم ليلة سبع وعشرين »[٢] .

وذهب الألباني كذلك أنها في ليلة السابع والعشرين[٣] .

وهذا ما ذهب إليه الشيخ سيد سابق أنها ليلة السابع والعشرين[٤] .

وما ذهب إليه كذلك الشيخ مصطفى العدوي أنها أرجى الليالي[٥] .

تنبيه :

ينبغي أن يُعلَمَ بعد هذا كله أنه لم يحصل إجماع على تحديد ليلة القدر بالضبط أي ليلة هي .

قال الحافظ ابن حجر ~ : « وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافًا كثيرًا ، وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولًا كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة الجمعة ، وقد اشتركتا في إخفاء كل منهما ليقع الجِدُّ في طلبها » .

« ثم ذكر الحافز ~ أقوال أهل العلم في ذلك وأدلتهم على ما ذهبوا إليه ، فليرجع إليه من شاء »[٦] .

---

(١) فتح الباري (٤/ ٣١٣) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٥) .
(٣) قيام الليل للألباني (ص١٩) .
(٤) فقه السنة (١/ ٤٣٢) .
(٥) التسهيل ، جزء عم (٢/ ٤٤٢) .
(٦) فتح الباري (٤/ ٣٠٩) .

الحكمة في إخفائها :

لله حكمة في إخفائها عنا ، تحفيزًا على العمل في الشهر كله ومضاعفته في العشر الأواخر منه ، وهذا كما أخفى الله عنا ساعة الإجابة في يوم الجمعة لندعوه في اليوم كله ، وأخفى اسمه الأعظم الذي إذا سأل به أعطى وإذا دُعي به أجاب ، لندعوه بأسمائه الحسنى جميعًا .

وروى البخاري في صحيحه حديثًا عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين « أي : تنازعا وتخاصما » فقال رسول الله ﷺ : « **خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرًا لكم ، فالتمسوها في التاسعة ، والسابعة ، والخامسة** » [(١)] .

فليلة القدر عامة لجميع من يطلبها ، ويبتغي خيرها وأجرها ، وما عند الله فيها ، وهي ليلة عبادة وطاعة وصلاة وتلاوة ، وذكر ودعاء ، وصدقة وصلة وعمل صالح .

وأدنى ما ينبغي للمسلم أن يحرص عليه في تلك الليلة : أن يصلي العشاء في جماعة والفجر في جماعة ، فهما بمثابة قيام الليل .

كما في الصحيحين عنه ﷺ : « **من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله** » [(٢)] .

علامات أو أمارات تدل على تحديد الليلة :

هناك علامات ذكرها بعض الصحابة الكرام ، فأول هذه العلامات أن الشمس في صبيحة هذه الليلة لا شعاع لها .

---

(١) البخاري (٢٠٢٣) .

(٢) أحمد في المسند واللفظ له ، وصحيح الجامع (٦٣٤١) .

فقد قال أبي بن كعب ﷺ : « تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها » [١] .

وقال زر بن جحش عن ليلة القدر : « ليس لها شعاع حتى ترتفع » [٢] .

وقال ابن عباس { : ليلة القدر ليلة سمحة طلقة أي : سهلة طيبة ، لا حارة ولا باردة ، تصبح الشمس صبيحتها حمراء ضعيفة [٣] .

هل هناك من دعاء مأثور عن الرسول ﷺ ؟

نعم هذا سؤال سألته أم المؤمنين عائشة لرسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله ، أرأيت إن عملت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال ﷺ : « **قولي : اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني** » [٤] .

فليلة القدر أفضل الليالي على الإطلاق ولما سأل الإمام ابن تيمية أيهما أفضل ليلة الإسراء أم ليلة القدر ؟

كان جوابه : « حظ النبي ﷺ في ليلة المعراج أكمل من حظه في ليلة القدر ، وحظ الأمة في ليلة القدر أكمل من حظهم في ليلة المعراج .

وكذلك في يوم عرفة ، فنهار يوم عرفة أفضل من نهار ليلة القدر وليلة القدر أفضل من ليلة يوم عرفة .

وهذا لأن هناك فرقًا بين اليوم والليلة ، فاليوم من الفجر إلى المغرب ، والليلة من المغرب إلى الفجر » [٥] .

---

(١) مسلم (١٧٨٢) .
(٢) مسلم (٢٧٦٩) .
(٣) صحيح ابن خزيمة (٢١٩٢) .
(٤) الترمذي (٣٥١٣) .
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥/ ٢٨٧، ٢٨٨) .

فهذه ليلة مباركة يربح فيها من فهم ودرى ، ويصل إلى مراده كل من جدَّ وسرى ، فيفك فيها العاني ، ويطلق فيها الأسير ، يهون العمر كله إلا هذه الليلة .

لقد كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ويعتكف التماسًا لتلك الليلة المباركة ليلة القدر .

فيا من ضيع عمره في لا شيء ، استدرك ما فات في ليلة القدر ، فإنها تحسب بالعمر :

شَـــفيتُ بهـــا قَلْبًـــا أُطيـــل غَليلُـــه زَمانًـــا فكانـــت ليلـــةً بِلَيـــالِ

*****

الفصل السادس عشر

أحكام الاعتكاف

قال ابنُ رجب : معنى الاعتكاف وحقيقته : قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق .

وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له ، والأنس به ، أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال .

فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عن الله [١] .

والاعتكاف لغة : اللبث والحبس والملازمة .

أي : لزوم المرء شيئًا وحبس نفسه عليه برًا كان أو إثمًا ، قال الله تعالى : ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢] .

والاعتكاف شرعًا : المقام في المسجد على سبيل القربة من شخص مخصوص بصفة مخصوصة .

دليله من القرآن :

قوله تعالى : ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧] .

دليلة من السنة : قول أم المؤمنين عائشة < : كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ﷻ ، ثم اعتكف أزواجه من بعده [٢] .

---

(١) لطائف المعارف .

(٢) البخاري (٢٠٢٦) .

حكم الاعتكاف :

سنة بالإجماع ، ولا يجب إلا في حالة النذر بالإجماع أيضًا ، ويستحب في العشر الأواخر من شهر رمضان ويتأكد استحبابه طلبًا لليلة القدر [١] .

أركان الاعتكاف :

١ـ النية أولًا : لأنها القصد للفعل ، ولأن الاعتكاف عبادة ولا تصح عبادة بدون نية ، قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥] .

٢ـ المعتِكفْ .

٣ـ المعتكف فيه : ولا يكون إلا في المسجد : ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾ .

٤ـ اللبث في المسجد .

ويشترط في المعتكف : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والنقاء من الحدث الأكبر وهو : الجنابة أو الحيض والنفاس .

حكم اعتكاف المرأة :

نعم يجوز للمرأة أن تعتكف ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة < زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ، ثم اعتكف أزواجه من بعده [٢] .

بداية الاعتكاف :

من غروب شمس يوم العشرين من رمضان ، أي : سيبيت ليلة الواحد والعشرين ، ويستمر في المعتكف إلى أن يظهر هلال شوال ، فإذا ظهر خرج من معتكفه ، هذا ما عليه جمهور العلماء في المسألة .

---

(١) المجموع للإمام النووي (٦/ ٥٠١) .

(٢) البخاري (٢٠٢٦) ، ومسلم (٢٧٧٦) .

أما ما ورد عن رسول الله ﷺ من أنه : « كان إذا صلى الفجر دخل معكتفه » [١] .

فليس المراد به بداية الاعتكاف ، ولكن هذا وصف العمل اليومي لرسول الله ﷺ [٢] .

مكان الاعتكاف :

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : أجمع العلماء على أن الاعتكاف لا يكون إلا في السجد ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [٣] .

وقال الموفق ابن قدامة في المفتي :

« لا يصح الاعتكاف في غير المسجد إذا كان المعتكف رجلًا ، لا نعلم في هذا بين أهل العلم خلافًا ، والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [٤] .

ولكن هل لا يصح الاعتكاف إلا في المساجد الثلاثة : الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، كما هو وارد في هذا الخبر : « لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة » [٥] .

قال أهل العلم : أن هذا الخبر لم يصح مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ بل هو حديث موقوف على حذيفة بن اليمان .

ثم هو محمول على نفي الأفضلية ، فالمعنى « والله أعلم » لا اعتكاف أفضل من الاعتكاف في المساجد الثلاثة ، ويدل على هذا قول الله تعالى : ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧] .

---

(١) مسلم (١١٧٣) .
(٢) فتاوى رمضان (ص٧٤) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٣٣) .
(٤) المغني (٣/ ١٨٧) .
(٥) الطحاوي في مشكل الآثار (٢٧٧١) .

جماهير العلماء على جواز الاعتكاف في أي مسجد من المساجد خاصة المساجد التي تقام فيها الجمع ، حتى لا يضطر المعتكف إلى الخروج لصلاة الجمعة في مسجد آخر ، والله أعلم [١] .

ما يباح للمعتكف :

يباح للمعتكف الخروج لقضاء الحاجة ، وجلب طعامه وشرابه ـ إن لم يجد من يحمله له ـ كما يجوز الخروج للغسل ـ إن لم يكن في المسجد مكان له ـ ويجوز تسريح شعره ، فقد كان النبي ﷺ يترجل أي : يسرح شعره .

قال الخطابي : وفي معناه حلق الرأس ، وتقليم الأظافر ، وتنظيف البدن من الدرن .

ويباح للمعتكف تشييع زائره ، والقيام له ، والحديث مع غيره ، وزيارة المرأة للمعتكف .

ويجوز له أن يتزوج ويزوج ، وقد نص على ذلك الشافعي في المختصر [٢] .

ما حكم المعتكفة إذا حاضت أو استحاضت ؟

قال النووي في المجموع في مسألة الحيض أنها يلزمها الخروج إلى البيت من المسجد حتى ينقطع حيضها ، ثم تعود إلى اعتكافها ، وحكاه ابن المنذر عن عمرة بن دينار ، والزهري ، وربيعة ، والأوزاعي ، ومالك ، وأبي حنيفة [٣] .

المستحاضة المعتكفة لا يجوز لها الخروج من المسجد ، إن كان اعتكافها نذرًا ، لأنها كالطاهرة ، لكنها تتحرز من تلويث المسجد ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة < قالت : اعتكف مع النبي ﷺ امرأة من أزواجه وهي

---

(١) فتاوى رمضان للعدوي (ص٧٣) .
(٢) المجموع للنووي (٦/ ٥٥٩) .
(٣) المجموع للنووي (٦/ ٥٤٩) .

مستحاضة ، فكانت ترى الدم والصفرة والطست تحتها وهي تصلي [١] .

هل يجوز قضاء الاعتكاف ؟

نعم يجوز للمعتكف قضاء الاعتكاف .

فعن أم المؤمنين عائشة < قالت : كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان ، وإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه قال : فاستأذنته عائشة أن تعتكف فأذن لها فَضَربَت فيه قُبة ، فسمعت بها حفصة ، فضربت قبة ، وسمعت زينب بها ، فضربت قبة أخرى ، فلما انصرف رسول الله ﷺ من الغد أبصر أربع قباب ، فقال : « **ما هذا ؟** » ، فأخبر خبرهن ، فقال : « **ما حملهن على هذا ؟ آلبر انزعوها فلا أراها** » ، فنزعت ، فلم يعتكف في رمضان حتى اعتكف في آخر العشر من شوال » [٢] .

وأخيرًا : هذا الاعتكاف تبتل وانقطاع عن شواغل الدنيا وحطامها ، وهو خلوة يخلوها المعتكف بربه سبحانه وتعالى ، وفي هذه الخلوة ولا شك تجديد للإيمان وزيادة له ، ولما لا والمعتكف لا ينشغل إلا بمولاه ، لا ينشغل إلا بذكره الله ، والصلاة له ، والقيام بين يديه ، والصدقة له ، والدعوة إليه ، وهذا كله يزيد الإيمان ، ويقرب من الرحمن ، ويذكر بالآخرة .

تفكـــــر في مـــــشيبك والمـــــآب ودفنـــك بعـــد عـــزك في الـــتراب
إذا وافيـــــت قـــــبرًا أنـــــت فيـــــه تقـــيم بـــــه إلى يـــــوم الحـــساب
وفي أوصـــال جـــسمك حـــين تبقـــى مقطعـــــــة ممزقـــــــة الإهـــــاب
فلـــولا القـــبر صـــار عليـــك ســـترًا لأنتنـــــت الأبـــــاطح والـــــروابي

---

(١) البخاري (٢٠٣٧) .
(٢) البخاري (٢٠٤١) ، ومسلم (١١٧٣) .

خلقت من التراب فصرت حيًا وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت إلى التراب فصرت فيه كأنك ما خرجت من التراب
فطلق هذه الدنيا ثلاثًا وبادر قبل موتك بالمتاب

وفق الله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها للعمل الصالح الذي يرضيه ، وتقبل من الجميع الصيام والقيام والعمل الصالح ، إنه سميع مجيب .

*****

الفصل السابع عشر

زكاة الفطر

يودع الضيف الكريم ، ويجهز بالهدايا والتحف ، والعطايا والطُرف ، أتدرون ما تحفة ضيفكم ؟ إنها زكاة فطركم ، طُهرة صومكم ، وزكاة نفوسكم ، وصلاح أمركم .

وقد فرضها رسول الله ﷺ طُهرةً للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين .

زكاة الفطر أو صدقة الفطر .

ما هو حكمها ؟

فرض واجب على كل مسلم حر أو عبد ، ذكر أو أنثى ، صغير أو كبير من المسلمين ، عن عبد الله بن عمر { قال : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على الناس » [١] .

والذي أوجب ذلك رسول الله ﷺ ، كما قال ابن عمر أيضًا : « فرض رسول الله ﷺ الفطر من رمضان على العبد الحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين » [٢] .

متى تجب ؟

تجب على الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، والحر والعبد من المسلمين .

عمن تجب ؟

تجب على المرء في نفسه ، لأنها زكاة بدن ـ لا زكاة مال ـ وتجب في ولده الصغار

---

(١) جزء من حديث صحيح ، أبو داود في سننه .

(٢) **متفق عليه** .

وعليه إذ لم يكن لهم مال ، أي من ألزمه الشرع بالنفقة عليهم .

حكمتها :

وأما حكمتها فظاهرة :

١ـ طهرة للصائمين من الرفث ، واللغو ، وجبرًا لما حدث من خلل في أيام الصيام ، فعن عبد الله بن عباس { قال : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر ، طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين » [١] .

٢ـ فيها إغناء للمساكين يوم العيد ، وفيها شكر الله على توفيقه لصيام هذا الشهر المبارك .

٣ـ تربية للصائم على الكرم وتعويده على الإحسان والمواساة فيصبح بعد رمضان منفقًا متصدقًا .

مقدارها ومما تخرج :

هي صاع من طعام مما يقتاته الآدميون ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « كنا نخرج يوم الفطر في عهد النبي ﷺ صاعًا من طعام ، وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر » [٢] .

ومقدار هذا الصاع : كيلوان وأربعون جرامًا من البُر الجيد ، هذا هو مقدار الصاع النبوي الذي قدر به النبي ﷺ .

ومن هنا لا تجزئ الدراهم والفرش واللباس وأقوات البهائم والأمتعة وغيرها .

وتخرج من الطعام ، البُر ، والشعير ، السلت « الشعير الذي لا قشر له » الأقط

---

(١) **صحيح** : أبو داود (١٦٠٩) ، وصحيح الجامع (٣٥٧٠) .
(٢) البخاري .

« اللبن المجفف كامل الدسم » ، والتمر ، والزبيب ، والأرز ، والدقيق .

وقت إخراجها :

يجب إخراجها قبل صلاة العيد ، وتجزئ قبل العيد بيوم أو يومين ، ولا تجزئ بعد صلاة العيد ، لحديث ابن عباس { أن النبي ﷺ فرض زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين ، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات [(١)] .

جهة إخراجها :

لا تدفع إلا لمستحقيها ، وهم المساكين ، لقول رسول الله ﷺ : «**طعمة للمساكين**» ، ويجوز تقسيمها على أكثر من فقير ، لأن النبي ﷺ قدر الواجب إخراجه ولم يقدر من يدفع له .

وهذه الزكاة تدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه وقت الإخراج سواء كان في محل إقامته أو غيره من بلاد المسلمين ، لا سيما إن كان مكانًا فاضلًا كمكة والمدينة ، أو كان فقراؤه أشد فقرًا وحاجة ، فإن كان في بلد ليس فيه من يدفع إليه ، أو كان لا يعرف المستحقين فيه ، وكل من يدفعها عنه في مكان فيه مستحق .

هل تجزئ القيمة في زكاة الفطر ؟

انقسم أهل العلم في هذه المسألة إلى فريقين فريق أجاز ذلك وفريق منع ذلك .

أما من أجاز إخراج القيمة في الزكاة : قال ابن قدامة ~ : « وقال الثوري وأبو حنيفة : يجوز وقد روى ذلك عن عمر بن عبد العزيز والحسن ، وقد روي عن أحمد مثل قولهم فيما عدا الفطرة [(٢)] .

وقال الإمام النووي : « وهو الظاهر من مذهب البخاري في صحيحه » [(٣)] .

---

(١) **صحيح** : أبو داود (١٦٠٩) ، وابن ماجه (١٨٢٧) ، وصحيح الجامع (٣٥٧٠) .
(٢) المغني لابن قدامة (٣/ ٦٥) .
(٣) المجموع للنووي (٥/ ٤٢٩) .

وقد روى سعيد بن منصور في « سننه » عن عطاءٍ قال : كان عمر بن الخطاب ﷺ يأخذ العروض « جمع عَرْض وهو ما عدا النقدين مما يعد للبيع والشراء » في الصدقة من الدراهم [١] .

وعن الحسن البصري ﷺ قال : « لا بأس أن تعطى الدراهم في صدقة الفطر » [٢] .

وعن عطاءٍ بن رباح أنه كان يُعطي في صدقة الفطر وَرِقًا « يعني دراهم فضية » [٣] .

وقال النووي : « قال إسحاق وأبو ثور : لا تجزئ القيمة إلا عند الضرورة » [٤] .

المانعون وأدلتهم :

قال الإمام النووي ~ : لا تجزئ القيمة عندنا ، وبه قال مالك وأحمد وابن المنذر [٥] .

وقال ابن قدامة ~ : « قال أبو داود : قيل لأحمد ـ وأنا أسمع : أُعطي دراهم في صدقة الفطر ؟ قال : أخاف ألا يجزئه ، خلاف سنة رسول الله ﷺ .

وقال أبو طالب : قال لي أحمد : لا يُعطي قيمته ، قيل له : قومٌ يقولون : « عمر بن عبد العزيز كان يأخذ بالقيمة ، قال : يَدَعون قولَ رسول الله ﷺ ويقولون : قال فلان ؟! قال ابن عمر { : فرض رسول الله ﷺ ، وقال الله تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢] .

وقال قومٌ يردون السنن ، يقولون : قال فلان ، وقال : فلان !!

---

(١) المغني لابن قدامة (٣/ ٦٥) .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٣٧، ٣٨) .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المجموع للنووي (٦/ ١١٢) .
(٥) المجموع للنووي (٦/ ٨٥) .

فظاهر مذهبه أنه لا يجزؤه إخراج القيمة في شيء من الزكوات ، وبه قال مالك والشافعي [١] .

وقال ابن حزم ~ : « ولا يجزئ إخراج بعض الصاع شعيرًا ، وبعضه تمرًا ، ولا تجزئ قيمة أصلًا ، لأن ذلك غير ما فرض رسول الله ﷺ » [٢] .

فهؤلاء هم المانعون لإخراج القيمة وأدلتهم على ذلك .

الدليل الأول :

أن زكاة الفطر قربة وعبادة مفروضة من جنس معين ، فلا يجزئ إخراجها من غير جنس المعين ، كما لا يجزئ إخراجها في غير وقتها المعين .

ومثال ذلك : أنه لا يجوز في الصلاة إقامة السجود على الخد والذقن مقام السجود على الجبهة والأنف والتعليل فيه بمعنى الخضوع ؛ لأن ذلك مخالف للنص وخروج عن معنى التعبد ، ولا يجوز في الزكاة إخراج قيمة الشاة أو البعير أو الحب أو الثمر المنصوص عليه ، لماذا ؟ لأن في ذلك خروجًا عن النص وعلى معنى التعبد ، والزكاة أخت الصلاة [٣] .

الدليل الثاني :

أن إخراج القيمة مخالف لما أمر به رسول الله ﷺ ، وقد قال رسول الله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « **خذ الحَبَّ من الحَبِّ ، والشاة من الغنم ، والبعير من الإبل ، والبقر من البقر** » [٤] .

قال المناوي ~ : « والمراد أن الزكاة من جنس المأخوذ منه ، هذا هو الأصل ،

---

(١) المغني لابن قدامة (٣/ ٦٥) .

(٢) المحلى لابن حزم (٦/ ١٣٧) .

(٣) المغني لابن قدامة (٥/ ٤٣٠) .

(٤) أبو داود وابن ماجه في السنن ، وانظر : ضعيف الجامع الصغير (٢٨٣٥) .

وقد يُعدَلُ عنه لموجب » [١] .

ولحديث ابن عمر { : « فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر صاعًا من تمر ، وصاعًا من شعير » [٢] .

فإذا عدل عن ذلك فقد ترك المفروض .

ويكون خلاف ما أمر به المعصوم ﷺ ، وقد قال : « **من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد** » [٣] .

الدليل الثالث :

لا تجزئ القيمة ؛ لأن النبي ﷺ عين أجناسًا مختلفة ومقاديرها مختلفة غالبًا ، فلو كانت القيمة معتبرة لكان الواجب صاعًا من جنس ، وما يقابل قيمته من الأجناس الأخرى .

وقال الإمام النووي ~ :

ذكر النبي ﷺ أشياء على أن قيمتها مختلفة ، وأوجب في كل نوع منها صاعًا ، فدل على أن المعتبر صاعًا ، ولا نظر إلى قيمته [٤] .

الدليل الرابع :

أن إخراج القيمة فيه مخالفة لعمل الصحابة الكرام حيث كانوا يخرجونها صاعًا من طعام ، وقد دعانا النبي ﷺ بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، وهذا ما قاله سعيد الخدري ﷺ : « كنا نعطيها في زمان النبي ﷺ صاعًا من طعام ، أو صاعًا من تمر ، أو صاعًا من شعير ، أو صاعًا من زبيب » [٥] .

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣/ ٤٣٣) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) مسلم (١٧١٨) .
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ٦٠) .
(٥) البخاري .

وفي حديث أبي هريرة ﷺ : « وكان رسول الله ﷺ أمرني بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : والله لأرفعك إلى رسول الله ﷺ .... » الحديث [١] .

وفي رواية أبي المتوكل عن أبي هريرة ﷺ ، أنها كانت على تمر الصدقة .

بعد ذكر هذه الأدلة : فهذا هو رأي جمهور العلماء بعدم إخراج القيمة في زكاة الفطر والله أعلم .

وفي نهاية هذا الكلام أذكر كلامًا نفيسًا لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رحمة واسعة : « لا ينبغي أن تُعطى الزكاة لمن لا يستعين بها على طاعة الله تعالى ، فإن الله تعالى فرضها معونة على طاعته لمن يحتاج إليها من المؤمنين كالفقراء والغارمين أو لمن يعاون المؤمنين ، فمن لا يُصلِّي من أهل الحاجات لا يعطى شيئًا حتى يتوب ويلتزم أداء الصلاة » [٢] .

*****

(١) رواه البخاري معلقًا (٥٠١٠) .
(٢) الفتاوى الكبرى (ص٤٥٦) .

الفصل الثامن عشر

العيدُ غدًا

سُمي العيد عيدًا بهذا الاسم لأن لله تعالى فيه عوائدَ الإحسان ، أي : عوائد الإحسان العائدة على عباده في كل يوم ، منها : الفطر بعد المنع عن الطعام ، وصدقة الفطر [١] .

العيدُ موسم الفرح والسرور ، وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته ، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم بفضله ومغفرته ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨] .

قال بعض العارفين : « ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلته عن الله ، فالغافل يفرح بلهوه وهواه ، والعاقل يفرح بمولاه » .

قال الحسن البصري : « كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد » .

فكل يوم للمسلمين عيد في الدنيا ، فإنه عيد لهم في الجنة ، يجتمعون فيه على زيارة ربهم ، ويتجلى لهم فيه ، ويوم الجمعة يُدعى في الجنة « يوم المزيد » ، ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة .

« فليس العيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن طاعته تزيد ، ليس العيد لمن تجمل باللباس والركوب ، إنما العيد لمن غُفرت له الذنوب ، في ليلة العيد تفرق خِلَعُ العِتق

---

(١) حاشية ابن عابدين (٢/ ١٦٥) .

والمغفرة على العبيد ، فمن ناله منها شيء فله عيد ، وإلا فمطَرودٌ بعيد »[١] .

عيدي مقيم وعيد الناس منصرف والقلب مني عن اللذات منحرف
ولي قرينان مالي منهما خَلفٌ طُولُ الحنين وعين دمعها يكف

أخي :

يوم العيد ، قد ميز فيه الشقي من السعيد ، فكم فرح بهذا اليوم مسرور وهو مطرود مهجور .

قال بعض أصحاب سفيان الثوري : « خرجتُ معه يوم العيد ، فقال : أول ما نبدأ به في يومنا هذا غض البصر » .

فيا من يفرح في العيد بتحسين لباسه ، ويوقن بالموت وما استعد لباسه ، ويغتر بإخوانه وأقرانه وجُلاسه ، وكأنه قد أمن سرعة اختلاسه ، كيف تقرُّ بالعيد عينُ مطرود عن الصلاح ؟!

كيف يضحك امرؤ مردود عن الفلاح ؟!

كيف يسُرُّ من يصرُّ على الأفعال القباح ؟! كيف لا يبكي من قذفاته جزيل الأرباح ؟!

فيا من وفي في رمضان على أحسن حال ، لا تتغير بعده في شوال ، فيا من رأى العيد ووصل إليه ، متى تشكر المنعم وتثنى عليه ؟! فكم من صحيح هيأ طيب عيده ، صار ذلك الطيب في تلحيده !

يا من يصلح في رمضان وعزمُه على الزلل في شوال ، أفسدت رمضان ، ويحك ، ربُّ الشهرين واحد .

ومن أراد معرفة أخلاق الأمة فليراقبها في أعيادها ، إذ تنطلق فيها السجايا على

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص٢٨٧) .

فطرتها ، وتبرز العواطف والميول على حقيقتها ، والمجتمع السعيد هو الذي تسمو أخلاقه في العيد إلى أرفع ذُروتها ، ويمتد شعوره إلى أبعد مدى .

يوم كانت أمتنا تتذوق طعم السعادة في مجتمعاتنا ، كان الأخ يفكر في ليلة العيد بجاره قبل أن يفكر بنفسه ، ويُقدم حاجة أولاد صديقه على حاجة أولاده .

قال رسول الله ﷺ : « **يا أبا بكر ، إن لكل قوم عيدًا ، وهذا عيدنا** » (١) .

من هدى رسول الله ﷺ في العيد :

١ـ التجمل في العيد :

فعن ابن عمر { قال : أخذ عمرُ جُبَّةً من استبرق تباع في السوق فأخذها ، فأتى بها رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ابتع هذه ، تجمل بها للعيد والوفود ، فقال له رسول الله ﷺ : « **إنما هذه لباس من لا خلاق له** » ، فلبث عمر ما شاء الله أن يلبث ، ثم أرسل إليه رسول الله ﷺ بجبة ديباج ، فأقبل بها عمر فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنك قلت : « **إنما هذه لباس من لا خلاق له** » ، وأرسلت إلي بهذه الجبة ، فقال له رسول الله ﷺ : « **تبيعها أو تصيب بها حاجتك** » (٢) .

قال الإمام السِنْديُّ : « التجمل يوم العيد كان عادة متقررة بينهم ، ولم ينكرها النبي ﷺ » (٣) .

« وكان ابن عمر { يلبس أحسن ثيابه في العيدين » (٤) .

٢ـ الاغتسال يوم العبد قبل الخروج :

قال الإمام ابن قدامة في « المغني » : « يستحب أن يتطهر بالغسل للعيد ، وكان

---

(١) البخاري .

(٢) البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي .

(٣) حاشية السندي على النسائي (٣/ ١٨١) .

(٤) البيهقي وابن أبي الدنيا وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٤٣٩) .

ابن عمر يغتسل يوم الفطر ، وروى عن عليٍّ ﷺ ، وبه قال : علقمة ، وعروة ، وعطاء ، والنخعي ، والشعبي وقتادة ، ومالك والشافعي »[١] .

وقال الإمام سعيد بن المسيب : « سنن الفطر ثلاث : المشي إلى المصلى ، والأكل قبل الخروج والاغتسال »[٢] .

٣ـ الخروج إلى المصلى :

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر ويوم الأضحى إلى المصلى ، فأول شيء يبدأ به الصلاة[٣] .

وعن عبد الله بن عمرو { قال : كان رسول الله ﷺ يغدو إلى المصلى في يوم العيد ، والعَنْزَةُ تُحمل بين يديه ، فإذا بلغ المصلى نُصبت بين يديه ، فيصلي إليها ؛ وذلك لأن المصلى كان فضاءً ليس فيه شيء يستتر به[٤] .

فالسنة في صلاة العيد أن تصلي في المصلى ، وبذلك قال جمهور العلماء ، قال الإمام النووي : هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج للمصلي وأنه أفضل من فعلها في المسجد ، وعلى هذا عمل الناس في معظم الأمصار .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : استُدل به على استحباب الخروج إلى الصحراء لصلاة العيد ، وأن ذلك أفضل من صلاتها في المسجد ، لأن النبي ﷺ كان على ذلك مع فضل مسجده ﷺ[٥] .

ونص الشافعي في الأم كذلك : أنه ﷺ كان يخرج في العيدين إلى المصلى بالمدينة ،

---

(١) المغني لابن قدامة (٢/ ٣٧٠) .
(٢) الفريابي بإسناد صحيح ، انظر : إرواء الغليل (٢/ ١٠٤) .
(٣) مسلم (٨٨٩) .
(٤) البخاري ومسلم والنسائي .
(٥) فتح الباري (٢/ ٤٥٠) .

وكذا من بعده إلا من عذر مطر أو نحوه ، وكذا عامة أهل البلدان إلا مكة .

فما هي الحكمة من الصلاة في الصحراء « الخلاء » ؟

« هذه السنة ـ سنة الصلاة في الصحراء ـ لها حكمة عظيمة بالغة : أن يكون للمسلمين يومان في السنة ، يجتمع فيها أهل كل بلدة رجالًا ونساء وصبيانًا ، يتوجهون إلى الله بقلوبهم تجمعهم كلمة واحدة ، ويصلون خلف إمام واحد ، يكبرون ويهللون ويدعون الله مخلصين كأنهم على قلب رجل واحد ، فرحين مستبشرين بنعمة الله عليهم فيكون العيد عندهم عيدًا ، وقد أمر رسول الله ﷺ بخروج النساء لصلاة العيد مع الناس ، ولم يستثن منهن أحدًا ، حتى أنه لم يرخص لمن لم يكن عندها ما تلبس في خروجها ، بل أمر أن تستعير ثوبا من غيرها ، وحتى أنه أمر من كان عندهن عذر يمنعهن الصلاة بالخروج إلى المصلى : « **ليشهدن الخير ودعوة المسلمين** .... » [(١)] .

وإضافة لذلك : أن في الخروج إلى المصلى إظهارًا لشوكة المسلمين وكثرتهم ، والله أعلم .

ومن السنة الإتيان إلى المصلى ماشيًا ، فعن علي ﷺ ، قال : إن من السنة أن تأتي العيد ماشيًا [(٢)] .

٤ ـ التكبير في العيدين :

ومن السنة إظهار التكبير في العيدين مقيمين وسفرًا ، في منازلهم ومساجدهم وأسواقهم ، وبعد الغدو في الطريق ، وفي المصلى ، إلى أن يحضر الإمام .

وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يخرج يوم الفطر ، فيكبر حتى يأتي المصلى ، وحتى

---

(١) صلاة العيدين في المصلى هي السنة ، للشيخ المحدث الألباني .

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه ، وابن ماجه وصححه الألباني .

يقضي الصلاة ، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير [١] .

يُعلق الإمام الألباني على هذا الحديث قائلًا :

وفي الحديث دليل على مشروعية ما جرى عليه عمل المسلمين من التكبير جهرًا في الطريق إلى المصلى ، وإن كان كثيرٌ منهم بدؤوا يتساهلون بهذه السنة حتى كادت تصبح في خبر كان [٢] .

إذًا السنة في التكبير أن يكون جهرًا في المساجد والأسواق والطرقات ووقت هذا التكبير : وقت عيد الفطر بعد ارتفاع الشمس قيد رمح إلى الزوال ، والسنة أن تؤخر صلاة الفطر ؛ ليتمكن الناس في إخراج صدقاتهم ، وفي الأضحى يُعجل ليتيسر للناس الذبح للأضاحي ، وهذا التكبير الذي عليه جمهور السلف والفقهاء من الصحابة والأئمة ، وفي عيد الأضحى التكبير من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق عقب كل صلاة .

وصيغ هذا التكبير :

الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد [٣] .

الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد [٤] .

الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر كبيرًا [٥] .

الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر وأجل ، الله أكبر على ما هدانا [٦] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٧٠) .
(٢) السلسلة الصحيحة (١/ ١٢) .
(٣) ابن أبي شيبة بإسناد ، وصححه الألباني عن ابن مسعود (٢/ ١٦٨) .
(٤) ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن ابن عباس وابن مسعود .
(٥) عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن سلمان .
(٦) البيهقي (٣/ ٣١٥) ، وصحح إسناده الألباني عن ابن عباس .

بعد هذه الأقوال في صيغ التكبير المنسوبة إلى بعض الصحابة الكرام ينبغي أن يُعلم أنه : لم يصح عن رسول الله ﷺ حديث مرفوع في صيغ التكبير .

تنبيه : وأما ما زاده العامة ومتبوعهم في هذا الزمان على التكبير مما هو مسموع ومعروف فمخترع لا أصل له ، وقد أحدث في هذا الزمان زيادة لا أصل لها »[(١)] .

٥ ـ مخالفة الطريق في الذهاب والإياب إلى المصلى :

فعن جابر بن عبد الله { قال : « كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيدٍ خالف الطريق »[(٢)] .

والحكمة في ذلك والله أعلم : انتشار الخير وكثرة السلام فيلتقي المسلم فيسلم على أخيه ويصافحه ويهنئه فتنشر المحبة والألفة ، فيلتقي في طريق آخر بأخ آخر غير الذي لقيه في طريقه عند الذهاب مثلًا .

ويكفي قول الإمام النووي :

« وإذا لم يُعلم السببُ ، استُحِبَ التأسي قطعًا والله أعلم »[(٣)] .

حكم صلاة العيد :

صلاة العيد واجبة على الأعيان .

وهذا ما قال به أبو حنيفة والشافعي وأحمد واختاره شيخ الإسلام ، وحجتهم .

قوله تعالى : ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وقوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] .

والأمر هنا للوجوب ما لم تصرفه قرينة من الوجوب إلى غيره .

---

(١) فتح الباري (٢/ ٥٣٦) .

(٢) البخاري (٩٨٦) .

(٣) روضة الطالبين (٢/ ٧٧) .

ومن الأدلة أيضًا : ملازمة النبي ﷺ لهذه الصلاة في العيدين وعدم تركها ، ومداومة خلفائه والمسلمين من بعده عليها ، وأيضًا من الأدلة الأمر النبوي للناس بالخروج إليها حتى النساء وذوات الخدور وأصحاب الأعذار كالحيض ، وحتى من لا ثوب لها تلبسه أن تستعير من غيرها ، وقد سبق تفصيل ذلك .

وكذلك صلاة العيد من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة فكانت واجبة كالجمعة .

الحكم إذا اجتمع العيد وصلاة الجمعة :

صلاة العيد مسقطة للجمعة إذا اتفقتا في يوم واحد كما تقدم .

والحديث في ذلك : عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **اجتمع في يومكم هذا عيدان ، فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مُجمِّعون** » (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« ولهذا رجحنا أن صلاة العيد واجبة على الأعيان ، وقول من قال : لا تجب في غاية البعد ؛ فإنها من أعظم شعائر الإسلام ، والناس يجتمعون لها أكثر من الجمعة ، وقد شرع فيها التكبير ، وقول من قال : هي فرض على الكفاية لا ينضبط » (٢) .

لا يصلى قبل العيد شيء :

عن ابن عباس { قال : « أن النبي ﷺ : صلى يوم الفطر ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها » (٣) .

قال ابن حجر في الفتح : والحاصل أن صلاة العيد لم يثبت لها سنة قبلها ولا بعدها ، خلافًا لمن قاسها على « الجمعة » (٤) .

---

(١) أبو داود بسندٍ حسن (١٠٧٣) .
(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢١٢) .
(٣) البخاري (٩٨٩) ، والترمذي (٥٣٧) .
(٤) فتح الباري (٢/ ٤٧٦) .

لا أذان ولا إقامة للعيدين :

لم يثبت عنه ﷺ أن لصلاة العيد أذانًا ولا إقامة .

وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » : « وكان ﷺ إذا انتهى إلى المصلى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة ، ولا قول : « الصلاة جامعة » والسنة أنه لا يُفعل شيء من ذلك » (١) .

وقال الصنعاني في « سبل السلام » : « عدم شرعيتهما في صلاة العيد فإنهما بدعة ، أي : الأذان والإقامة » (٢) .

كيفية صلاة العيد :

صلاة العيد ركعتان ، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : « صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، تمامٌ غير قصر على لسان محمد ﷺ » (٣) .

وتصلى على الصورة الآتية :

أ ـ يبدأ الركعة الأولى ـ كسائر الصلوات ـ بتكبيرة الإحرام .

ب ـ ثم يكبر بعدها سبع تكبيرات أخرى قبل أن يبدأ القراءة .

ولم يصح عن النبي ﷺ ذكر معين في سكوته بين هذه التكبيرات ، لكن قال ابن مسعود ﷺ : بين كل تكبيرتين حمد لله ﷻ وثناء عليه (٤) .

جـ ـ وبعد القراءة يأتي بباقي الركعة على هيئتها المعتادة .

---

(١) زاد المعاد (١/ ٤٤٢) .

(٢) سُبل السلام (٢/ ٦٧) .

(٣) **صحيح** : أخرجه النسائي (٣/ ١٨٣) .

(٤) **إسناده حسن** : أخرجه البيهقي (٣/ ٢٩١) .

د ـ يكبر للقيام إلى الركعة الثانية .

هـ ـ ثم يكبر بعد تكبيرة القيام خمس تكبيرات على نحو ما تقدم في الركعة الأولى .

و ـ ثم يقرأ الفاتحة ثم السورة التي بعدها ، ويستحب أن يقرأ المأثور عن الرسول ﷺ يقرأ في الركعة الأولى : « ق والقرآن المجيد » ، على أن يكون في الثانية : « اقتربت الساعة وانشق القمر » [(١)] .

وثبت عنه أيضًا ﷺ أنه كان يقرأ في الركعة الأولى : « سبح اسم ربك الأعلى » على أن يقرأ في الثانية : « هل أتاك حديث الغاشية » [(٢)] ، ثم يتم صلاته ويسلم :

وهذا قول أكثر أهل العلم في كيفية صلاة العيدين ، فعن عائشة > قالت : « كان رسول الله ﷺ يكبر في الفطر والأضحى ، في الأولى سبع تكبيرات ، وفي الثانية خمسًا ، سوى تكبيرتي الركوع » [(٣)] .

من فاتته صلاة العيد جماعة ، يصلي ركعتين :

قد بوب الإمام البخاري في صحيحه بابًا سماه « باب : إذا فاته العيد صلى ركعتين » وهو قول عطاء ، ومذهب الشافعي .

٦ـ الخطبة بعد الصلاة والتخيير في حضورها :

السنة أن يخطب الإمام بعد الصلاة واقفًا على الأرض لا على المنبر كذا فعل النبي ﷺ ، والخلفاء الراشدون من بعده .

فعن ابن عباس { قال : « شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر

---

(١) مسلم (٨٩١) .

(٢) مسلم (٨٧٨) .

(٣) **صحيح** : أبو داود (١١٥٠) .

وعثمان ﷺ ، فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة » [١] .

٧ـ حضور الخطبة ليس واجبًا :

حضور الخطبة ليس واجبًا كالصلاة ، قال عبد الله بن السائب : شهدت العيد مع النبي ﷺ فلما قضى الصلاة قال : « **إنا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس ، ومن أحب أن يذهب فليذهب** » [٢] .

فائدة : خطبة العيد كسائر الخطب ، تفتتح بالحمد والثناء على الله تعالى ، ولم يصح حديث افتتاحها بالتكبير [٣] .

ومن الفوائد أيضًا : أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ شيئًا في رفع اليدين في تكبيرات العيد ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ .

٨ـ التهنئة بالعيد :

فقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يهنئون بعضهم البعض بعد صلاة العيد فعن جبير بن نُفير قال : « كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك » [٤] .

ولا ريب أن هذه التهنئة من مكارم الأخلاق ، ومحاسن المظاهر الاجتماعية بين المسلمين ، ولها أثر طيب في تقوية الصلات والوشائج ، وإشاعة روح المحبة بين المسلمين ، فاللهم ألف بين قلوب المسلمين ، وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال .

بعض البدع التي ينبغي التحذير منها في العيد :

١ـ الغفلة عن ذكر الله ﷻ .

---

(١) **صحيح** : البخاري (٩٦٢) ومسلم (٨٨٤) .

(٢) أبو داود (١١٥٥) ، والنسائي (٣/ ١٨٥) .

(٣) زاد المعاد (١/ ٤٤٧) .

(٤) قال ابن حجر العسقلاني في الفتح (٢/ ٤٤٦) : رويناه بإسناد حسن ، وحسنه السيوطي في « وصول الأماني بأصول التهاني » .

٢ـ مواصلة الخصام وقطع الأرحام مع جيرانك وأقاربك وأصدقائك .

٣ـ النظرة الحرام فإنها تدنس القلب .

٤ـ مصافحة الأجنبيات ومواعدتهن والحديث إليهن بما لا يجوز .

٥ـ تضييع المال فيما لا يجوز من شرب المسكرات والمخدرات .

٦ـ اللهو الفاحش بالذهاب إلى دور السينما أو الفيديو أو غيرها من أماكن الفسق .

٧ـ زيارة المقابر وقراءة القرآن عندها ، فاليوم عيد ، وتخصيص العيد بالزيارة بدعة .

٨ـ اختلاط الرجال بالنساء .

٩ـ خروج النساء متعطرات .

١٠ـ تضييع الوقت ، وترك الجماعات والنوم عن الصلوات .

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال .

*****

الفصل التاسع عشر

وداعًا رمضان

« لا تخسروني فقد لا تلاقونني »

ها هو رمضان ولى وانقضى ، كأنما هو طيف عابر ، أو حُلْمٌ سائر ، أو سحاب ثائر ، مر ولم نشعر فيه بمضي الزمان ، ولا بِكرِّ الليالي والأيام .

كنا نقطف من روضة زهور الإيمان ، ونَجِدُ في رحابه الأنس والاطمئنان ، كانت تحلق فيه الأرواح ، وتطير من غير جناح .

واليوم أين هو شهر رمضان ؟

ألم يكن منذ لحظات بين أيدينا ؟

ألم يكن ملء أسماعنا وأبصارنا ؟

ألم يكن هو حديث منابرنا ، وزينة منائرنا ، وبضاعة أسواقنا ، ومادة موائدنا ، وحياة مساجدنا فأين هو الآن ؟

تـــذكرتُ أيامًـــا مـــضتْ ولياليـــا خَلَـتْ فَجَـرَتْ مِـنْ ذَكْـرِهُنَّ دمـوعُ
ألا هَـلْ لَهَـا يومًـا مـن الـدهرِ عـودةٌ وهَـلْ لِي إلى يـوم الوِصَـالِ رُجُـوعُ
وَهَـلْ بَعْـدَ إِعـراضِ الحبيـبِ تواصـلٌ وَهَـلْ لِبـدوِر قـد أفلـن طلـوعُ

شهر رمضان ، سلطان الشهور ، وجامعُ البشر والسرور ، وجامع البستان للزهور ، شهر الأرواح تهتز فيه وترتاح ، وتطير فيه بغير جناح .

كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله ، ثم يهتمون بعد ذلك

بقبوله ، وهؤلاء الذين قال فيهم : ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠] .

كانوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منهم بالعمل ، وقد سمعوا قول الله ﷻ : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] .

فعن فضالة بن عبيد ﷺ قال : « لا أكون أعلمُ أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردلٍ ، أحب إليَّ من الدنيا وما فيها ، لأن الله يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ . [المائدة:٢٧]

وقال مالك بن دينار : الخوف من العمل ألا يقبل أشد من العمل .

ورأى وُهيب بن الورد قومًا يضحكون في يوم عيد ، فقال : « إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم ، فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان لم يُتقبل منهم صيامهم ، فما هذا فعل الخائفين !! » .

وقال الحسن البصري :

إن الله جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبطلون .

فيا ليت شعري ، من المقبول فنهنئه ، ومن المحروم فنعزيه !!

ماذا نال من فاته خير رمضان ؟!

وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان ؟!

كم بين من حظه فيه القبول والغفران ، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران ؟!

متى يغفر لمن لا يغفر له في شهر الغفران ؟

متى يقبل من رد في ليلة القدر ؟

متى يُصْلحُ من لا يُصْلَحُ في رمضان ؟

من فرط في الزرع في وقت البذار ، لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسار .

ترحل شهر الصبر ، والهفاه وانصرما واختص بالفوز في الجنات من خدما

وأصبح الغافلُ المسكينُ منكسرًا مثلي فيا ويحه يا عُظْمَ ما حُرِمَا

من فاته الزرعُ في وقتِ البذار فما تراه يحصدُ إلا الهم والندما

وآخر كلمة يقولها « رمضان » لك أخي المسلم ولغيرك : لا تخسروني فقد لا تلاقونني ، فقد أعود العام المقبل ، وقد طواكم الثرى .

*****

الفصل العشرون

ماذا بعد رمضان ؟

ما بعد رمضان إلا الاستمرار على طاعة الرحمن .

فيا من جَدَّ ، واصل ولا تغتر ، حذار من الاغترار بما صنعت ، وكن كمن قال الله ﷻ فيهم : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات] .

ما استغفروا إلا لاستشعارهم تقصيرهم في جنب الله ، رغم قيامهم أكثر الليل .

قال عمر بن الخطاب ﷺ : « لا يغرنكم قول الله تعالى : ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠] ، فإن السيئة وإن كانت واحدة ، فإنها تتبعها عشر خصال مذمومة ك

١ـ أسخط الله عليه وهو قادر على أن يعذبه .

٢ـ يفرح إبليس .

٣ـ يتباعد عن الجنة .

٤ـ يتقرب من النار .

٥ـ آذى نفسه .

٦ـ نجسها وهو طاهر .

٧ـ آذى الحفظة .

٨ـ أشهد عليه السموات والأرض وجميع المخلوقات بالعصيان .

٩ـ خان جميع الآدميين .

١٠ـ وعصى رب العالمين .

فيا أيها الأخ الكريم : إنه لقبيح بالمسلم ، أن يبني في رمضان صرح إيمانه ويجمله ويزينه ، ثم إذا انقضى الشهر عاد فهدم ما بنى وأفسد ما شيد ، وكان كهذه المرأة الحمقاء : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ [النحل:١٦] .

أي : لا تكونوا كهذه المرأة الحمقاء التي تنسج غزلها حتى إذا أبدعته وأحكمته نقضته ، ثم عادت تغز من جديد .

وهذا وللأسف حال كثيرنا في كل عام يعمل ويعمل في رمضان ، حتى إذا بلغ من الخير مبلغًا ، وبدأ يحس بطعم العبادة ولذة الخشوع هدم كل ذلك بعد رمضان .

فإذا جاء رمضان آخر شرع يبني من جديد ، فلا يكاد يبلغ منزله الأول حتى ينكس .

فيا رجال التوبة لا ترجعوا إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفطام .

فالرضاع يصلح للأطفال لا للرجال ، ولكن لابد من الصبر على مرارة الفطام ، فإن صبرتم تعوضتم بلذة الهوى حلاوة الإيمان في القلوب ، ومن ترك شيئًا لله عوضه .

يا عبد الله ، لا تكن كفلان كان يقوم الليل ثم تركه .

يا من وفى في رمضان على أحسن حال لا تتغير بعده في شوال .

يا من أصلح في رمضان وعزم على الزلل في شوال .

ويحك فإن رب الشهرين واحد .

كن ربانيًا ولا تكن رمضانيًا .

استمر ولا تمل ، فإن الاستمرار على طاعة الله من شعار أهل الإيمان .

الاستمرار على الطاعة علامة القبول بإذن الله الغفور .

نعم وإن كان قبول العمل من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، إلا أن لكل أمر علامة ، ولقبول العمل علامات تدل عليه ، وإن من علامات قبول العمل الصالح الاستمرار عليه والمداومة على أدائه .

فقد قال بعض السلف : « ثواب الحسنة الحسنة بعدها » .

وفي الحديث الشريف : « **أحبُّ الأعمال أدومها وإن قل** »[1] .

واعلم علمني الله وإياك أن هناك ثوابت إيمانية ينبغي أن تستمر عليها ، فالإيمان له ثوابت لا يستغني عنها المؤمن حتى يلقى ربه .

ونذكر ما يلي :

أولًا : الصلاة :

من مِنَ المؤمنين الصادقين يستغني عن الصلاة بعد رمضان ؟!

انظر إلى المساجد في رمضان ، وانظر إلى ذات المساجد بعد رمضان .

هل يستغني مؤمن صادق مع الله عن هذا الأصل الأصيل ، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام ، قال تعالى : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧] .

وحذر الله تعالى من تضييع الصلاة ومن تركها في رمضان وفي غير رمضان فقال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم:٥٩] .

---

(١) مسلم (٧٨٢) .

وقال جل وعلا : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر] .

وهذه الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت قد خاب وخسر** » (١) .

ثانيًا : القرآن .

إن القرآن حياة القلوب والأرواح ، القرآن شراب النفس وطعامها فهل يستغني مؤمن عن روحه ؟ هل يستغني مؤمن عن أصل حياته ؟

إن القرآن كلام الرحمن ، فمن أراد أن يكلم الله فليدخل في الصلاة ، ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن .

فلا تضيع القرآن بعد رمضان .

فاقرأ القرآن واعمل بما فيه ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ، كما في الصحيح عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه** » ، « **اقرؤوا الزهراوين : البقرة ، وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما** » (٢) .

القرآن ... القرآن يا أمة القرآن ، القرآن بعد رمضان .

ثالثا : ذكر الله .:

إن كنت تحافظ على الأذكار والاستغفار في رمضان ، فهل تستغني عن هذا الزاد بقية العام ، إن الذكر شفاء من الأسقام ومرضاة للرحمن ، ومطردة للشيطان ،

---

(١) الترمذي (٤١٣) ، وأحمد في المسند (٥/ ٧٢) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٧٣) .
(٢) مسلم (٤٠٨) ، والترمذي (٢٨٨٦) .

فرطب لسانك دومًا بذكر الله الرحيم الرحمن .

انظر إلى فضل الذكر ، فالذاكر لله في معية الله تعالى : كما في الصحيحين قال الله ﷻ : « **أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعًا ، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا ، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة** » (١) .

وهذا الذكر خير الأعمال وأزكاها عند الله تعالى .

فعن معاذ بن جبل ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها لدرجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟** » ، فقال : « **ذكر الله ﷻ** » (٢) .

فإن أردت الحياة فعليك بذكر الله .

وإن أردت أفضل الأعمال عند الله فعليك بذكر الله .

وإن أردت معية الله وحفظه فعليك بذكر الله .

وإن أردت أن يذكرك الله في الملأ الأعلى فعليك بذكر الله .

وإن أردت الحفظ من الشيطان فعليك بذكر الله .

قال الله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

إذًا لابد لك من هذا الزاد ؛ لأن فيه الخير العظيم ، فالذكر من الثوابت التي لا غنى عنها بحال من الأحوال ، لا في رمضان ولا في غير رمضان .

---

(١) البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

(٢) أحمد في المسند (٥/ ٢٣٩) ، والترمذي (٣٣٧٤) ، وابن ماجه (٣٧٩٠) ، وصححه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول .

رابعًا : الإحسان إلى الناس :

ترى كثيرًا من الناس لا تظهر عليهم علامات الجود والإحسان إلا في رمضان فقط ، فإذا ما انتهى رمضان لا تجد إلا العبوس في الوجه للفقراء ، ولا تجد إلا البخل والشح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فهذه الصدقة التي تنفق في سبيل الله قد تكون سببًا لنجاتك من النار وبفوزك بجنة العزيز الغفار .

فقد قال رسول الله ﷺ : « **ما منكم أحد إلا وسيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة** » [(١)] .

فالإحسان من الثوابت التي لا يستغني عنها المؤمن في رمضان ولا في غير رمضان حتى يلقى ربه ﷻ .

خامسًا : قيام الليل :

فإن كنت من الموفقين في رمضان لأداء التراويح ، فلماذا لا تستمر على هذا الدرب بعد رمضان .

يقول رسول الله ﷺ : « **عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، ومنهاة عن الإثم ، ومكفرة للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد** » [(٢)] .

فاعمل أخي المسلم على أن تكتب من القائمين الليل ولو بركعة ، واعمل جاهدًا ولا تمل أن تكون من أصحاب هذه الآية الكريمة : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦] .

---

(١) البخاري (٦٥٣٩) ، ومسلم (١٠١٦) .

(٢) ابن خزيمة ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٢٠) ، وهو في صحيح الجامع (٤٠٧٩) .

سادسًا : التوبة إلى الله تعالى :

ما منا من أحد إلا وتاب وأناب إلى الله في رمضان ، فهل معنى ذلك أننا لا نتوب بعد رمضان ، فهل معنى ذلك أننا لا نحتاج إلى التوبة .

فشهر رمضان شهر التوبة والغفران ، ولكن حال الكثير من المسلمين بعد رمضان ينفلتون يوم العيد إلى المعاصي والشهوات ، كأنهم كانوا في سجن ، وبمجرد أن تم الإفراج عنهم مغرب اليوم الأخير من رمضان انطلقوا ، وكأنهم خرجوا من هذا السجن ، وسرعان ما رجعوا إلى المعاصي وألفوها إلا ما رحم ربك سبحانه .

فالمؤمن الحق ينطلق في الطاعة والعبودية ، وينتقل من طاعة إلى طاعة ، ومن عبودية إلى عبودية حتى يلقى رب البرية .

وهذا رسول الله ﷺ يقول في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** »[(١)] .

ويقول في رواية أخرى : « **يا أيها الناس ، توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب إلى الله وأستغفره مائة مرة** »[(٢)] .

فهذا هو حال سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ ، فما حالنا ؟

فالتوبة من الثوابت الإيمانية التي لا غنى عنها في رمضان ولا في غير رمضان .

سابعًا : المداومة على الدعاء والتضرع إلى الله[(٣)] :

يا أخي عرفت فالزم واستعن بالله على هذه المداومة واستقم على هذا الصراط المستقيم ، واضرع لله .

فقد قال رسول الله ﷺ : « **يا أيها الناس ، عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله**

---

(١) البخاري (٦٣٠٧) .

(٢) مسلم (٢٧٠٢) .

(٣) تكلمنا عن الدعاء في فصل سابق .

لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه وإن قل » [١] .

وعن أم المؤمنين عائشة < قالت : كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملًا أثبته [٢] .

أثبته أي : داوم عليه .

وهذا سؤال ابن عبد الله الثقفي حين سأل رسول الله ﷺ : قال : يا رسول الله : قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك ، قال الحبيب ﷺ : « **قل آمنت بالله ثم استقم** » [٣] .

قل : آمنت بالله ثم استقم .

أي : استقم على طريق التوبة .

ثم استقم على طريق الاستغفار .

ثم استقم على طريق قيام الليل .

ثم استقم على طريق الإحسان .

استقم على هذه الثوابت الإيمانية ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠] .

أسباب المداومة على الأعمال الصالحة :

هذه هي الأسباب الميسرة للمداومة على الأعمال الصالحة :

السبب الأول : الاستعانة بالله :

فإن الاستمرار على طاعة الله أمر شديد على النفس التي تواجه شياطين الإنس

---

(١) البخاري (٦٤٦٢) ، ومسلم (٧٨٢) .

(٢) مسلم (٧٤٦) .

(٣) مسلم (٣٨) .

والجن ، فلابد لها من عون الله تعالى ، ولا يُطلب المدد إلا من الله تعالى ، واستعن به ولا تعجز .

فقد علم النبي ﷺ معاذ بن جبل فقال له : « **يا معاذ ، والله إني لأحبك** » ، فقال : « **لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** » [(١)] .

والله تعالى وعد من أخلص في هذه الاستعانة أن يعينه ، فقال جل في علاه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

السبب الثاني : القصد في الطاعات :

من أعظم الأسباب التي تعين على المداومة على العمل الصالح : القصد والاعتدال في الطاعات والأعمال بلا إفراط ولا تفريط فخير الأمور الوسط .

وقد حذر النبي ﷺ من الغلو في الدين والتشدد ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** » [(٢)] .

ودخل النبي المعصوم ﷺ يومًا المسجد مرة ، فوجد حبلًا بين ساريتين فقال : « **ما هذا الحبل ؟** » ، قالوا : هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به ، فقال النبي ﷺ : « **لا حُلُوُه ، ليُصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد** » [(٣)] .

وعن أنس بن مالك قال :

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا

---

(١) البخاري (٣٩) .
(٢) البخاري (٣/ ٢٧٨) .
(٣) مسلم (١٤٠١) .

كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : فأين نحن من رسول الله ﷺ ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدًا .

وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال الآخر : أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدًا .

فجاء النبي ﷺ إليهم ، فقال : « **أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني** »[1] .

حقًا خير الأمور الوسط .

السبب الثالث : الصحبة الصالحة :

الصحبة الصالحة من أهم الأسباب المعينة على الاستمرار على طاعة الله تعالى ، فإن صحبة الأخيار تعين على طاعة الله تعالى ومراقبته .

فإن صحبة الأخيار الأطهار من أهل الفضل والصلاح الذين إذا رأيتهم تذكرك رؤيتهم بالله تعالى .

ومن النماذج الطيبة ، **الأول** : صديق هذه الأمة ، العتيق الذي أُعتقت رقبته من النار ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أصبح منكم اليوم صائمًا ؟** » ، قال أبو بكر : أنا ، قال : « **فمن عاد منكم اليوم مريضًا ؟** » ، قال أبو بكر : أنا ، قال : « **من أطعم منكم اليوم مسكينًا ؟** » ، قال أبو بكر : أنا ، قال رسول الله ﷺ : « **من تبع منكم اليوم جنازة ؟** » ، قال أبو بكر : أنا .

---

(١) مسلم (١٠٢٨) .

قال رسول الله ﷺ : « **ما اجتمعن في رجل إلا ودخل الجنة** » [١] .

المتأمل في هذا الحديث يرى هذا العزم الحثيث ، والمداومة على الطاعة من الصديق رضي الله عنه .

وانظر إلى حال الذين لم يجيبوا من بقية الصحابة الذين كانوا حاضرين عند سؤال رسول الله ﷺ ، بأي عزيمة خرجوا ، حقًا : ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ .

الثاني : الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي الذي رفعه الإسلام إلى درجة عالية حتى قال رسول الله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا بلال ، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بيني يدي في الجنة** » ، فقال بلال : ما عملت عملًا أرجى عندي من أني لم أتطهر طُهورًا في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بهذا الطُهور ما كتب الله لي أن أصلي [٢] .

إنها المداومة على العمل الصالح ، والاستمرار عليه .

وأخيرًا : بعد ذكر هذه الأسباب المعينة على المداومة على العمل الصالح وهناك جوائز من المداومة على الطاعات .

فوائد المداومة على الطاعات :

١ ـ طهارة القلب من النفاق :

فالذي يعبُد في رمضان هو الله سبحانه وتعالى ، وهو رب رمضان ورب شوال ورب سائر الشهور والأيام .

فالذي يصلي في رمضان ، ويترك الصلاة بعد رمضان فعليه أن يحذر ، فإن هذا

---

(١) رواه مسلم (١٠٢٨) .

(٢) **متفق عليه** .

من علامات النفاق .

الذي يذكر الله ويقرأ القرآن في رمضان ، وبعد رمضان لا قراءة للقرآن ولا ذكر للرحيم الرحمن ، هذا نفاق والعياذ بالله .

قال الحسن البصري : « ما أمن النفاق إلا منافق ، وما خاف من النفاق إلا مؤمن » (١) .

ولذا خاف عمر خوفًا شديدًا ، يوم أن أملى رسول الله ﷺ أسماء المنافقين على حذيفة بن اليمان ، ذهب عمر إلى حذيفة وقال له : أنشدك الله يا حذيفة ، هل سماني لك رسول الله ﷺ من المنافقين ؟ (٢) .

ألا تريد أن تنجو من النفاق ، ألا تريد البراءة من النفاق ، استمر ولا تمل واستعن بالله ولا تعجز .

٢ـ محبة الله لعبده :

إن المداومة على العمل الصالح والاستمرار عليه ، تجلب محبة الله الملك العزيز لعبده الفقير المسكين .

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي :

« **من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته** » (٣) .

---

(١) البخاري معلقًا في الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يدري .
(٢) المصدر السابق .
(٣) البخاري (١/ ٢٩٢، ٢٩٥) .

ألا تريد أن تنال محبة الله الكبير المتعالي ، هل أنت في غنى عن محبة الله لك ، استمر ولا تمل واستعن بالله ولا تعجز .

٣ـ النجاة من الشدائد والمصائب :

فإن الاستمرار على طاعة الله تعالى تحفظ العبد من المصائب والبلايا ، لأنه حفظ الله في شرعه ودينه وسنة نبيه ، فحفظه فقد أوصى النبي ﷺ ابن عباس { بوصية غالية ، قال رسول الله ﷺ : « **يا غلام ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟** » ، فقال : بلى ، فقال : « **احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ـ أو قال : أمامك ـ تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله** .....» الحديث [(١)] .

فهذا حفظ رباني ومعية إلهية لمن حافظ على شرع الله تعالى ، واستمر واستقام عليه ، فإن الاستقامة هي لزوم طاعة الله ﷻ ، واحفظ الله يحفظك ، واستمر ولا تمل واستعن بالله ولا تعجز .

٤ـ حسن الخاتمة والفوز بالجنة :

وهذا الاستمرار على طاعة الله والمداومة عليها تكون سببًا لحسن الخاتمة والفوز بالجنة .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

[العنكبوت]

قال الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

وقال رسول الله ﷺ : « **إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله** » ، قيل : كيف يستعمله

---

(١) الترمذي (٢٥١٦) ، وقال : حديث حسن صحيح .

يا رسول الله ؟ قال : « **يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه** » [١] .

فهذه فوائد عظيمة وثمرات ذكية لمداومة العمل الصالح والاستمرار عليه ، فلا تحرم نفسك : عبد الله من فضل الله ، واستعن بالله ولا تعجز ، واعلم أن الاستمرار على طاعة الله سمة أهل الإيمان .

*****

(١) رواه الترمذي (٢١٤٣) ، وقال : حديث حسن صحيح .

الخاتمة نسأل الله حسنها

وختامًا أختم عملي بالاستغفار إلى ربي سبحانه وتعالى ، فالأعمال الصالحة تختم دائمًا بالاستغفار ، فالصلاة مثلًا تختم بالاستغفار ، سواء قبل التسليم أو عقب التسليم ، فقبل التسليم كما في حديث أبي بكر ﷺ قال : يا رسول الله ، علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، قال : « **قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، إنك أنت الغفور الرحيم** » (١) .

وبعد السلام والخروج من الصلاة كما في حديث ثوبان قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ربه ثلاثًا فقال : « **اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال الإكرام** » (٢) .

وفي الحج : قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٩٩] .

وفي المجالس تختم كذلك بالاستغفار :

فعن أبي برزة الأسلمي قال : كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس : « **سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليه** » (٣) .

وفي آخر حياته ﷺ بعد أن نزلت عليه سورة النصر : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:١-٣] .

فكان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي** » (٤) .

---

(١) البخاري (٢/ ٢٣٢) .
(٢) مسلم مع النووي (٥/ ٨٩) .
(٣) أخرجه أبو داود (٢٥/ ١٨٢) .
(٤) البخاري (٤٦٩٧) .

وكان يقول عند موته : « **اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى** » [١] .

وأختم عملي هذا بسيد الاستغفار :

« اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » [٢] .

يـا قـارئ خطـي لا تبـك عـلى مـوتي فـاليوم أنـا معـك وغـدًا في الـتراب
ويـا مـارًا عـلى قـبري لا تعجـب مـن أمـري بـالأمس كنـت معـك وغـدًا أنـت معـي
أمـوت ويبقـى كـل مـا كتبتـه ذكـرى فيـا ليـت كـل مـن قـرأ خطـي دعـا لي

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

*****

(١) مسلم (٢٤٤٤) .
(٢) البخاري (٦٣٠٦) .

فهرس لأهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الإتحاف شرح الإحياء للزبيدي .

أحكام الجنائز للألباني .

أحكام الصيام لأبي عبد الرحمن الهلالي.

إحياء علوم الدين للغزالي .

الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح.

الأدب المفرد للبخاري .

إرواء الغليل للألباني .

البداية والنهاية لابن كثير .

تاج العروس للزبيدي .

ثبث علميًا لمحمد كامل عبد الصمد .

تبيين العجب بما ورد في فضل رجب لابن حجر .

تفسير البيضاوي .

تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

التلخيص الحبير لابن حجر .

تمام المنة للعزازي .

جامع البيان للطبري .

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

حلية الأولياء لأبي نعيم .

خاتم النبيين للإمام محمد أبي زهرة .

زاد المعاد لابن القيم .

الزهد لابن المبارك .

السلسلة الصحيحة للألباني .

سنن ابن ماجه .

سنن أبي داود .

سنن البيهقي .

سنن الترمذي .

سنن الدارمي .

سنن النسائي .

السيرة النبوية لابن كثير .

الشرح الممتع لابن عثيمين .

شرح مسلم للنووي .

شعب الإيمان للبيهقي .

صحيح ابن حبان .

صحيح ابن خزيمة .

صحيح البخاري .

صحيح الترغيب والترهيب للألباني .

صحيح الترمذي للألباني .

صحيح الجامع للألباني .

صحيح مسلم .
صفقات رابحة ، للدكتور خالد أبي شادي.
صفوة البيان في دروس رمضان ، د. يسري هاني .
الضعفاء للعقيلي .
فتاوى رمضان لمصطفى العدوي .
فتح الباري لابن حجر .
الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد لعبد الرحمن البنا .
فقه الدعاء لمصطفى العدوي .
فقه السنة لسيد سابق .
فقه الصيام للقرضاوي .
فوائد الصوم لعز الدين بن عبد السلام.
فيض القدير للمناوي .
الكليات للكفوي .
اللؤلؤ والمرجان لمحمد فؤاد عبد الباقي.
اللآلئ الحسان ، د. موسى شاهين لاشين .
لسان العرب لابن منظور .
لطائف المعارف لابن حبان .
مجموع الفتاوى لابن تيمية .
مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين .
المجموع للنووي .
المحلى لابن حزم .
المدونة لسحنون .
المستدرك للحاكم .
مسند الإمام أحمد .
مسند البزار .
مشكل الآثار للطحاوي .
مصنف ابن أبي شيبة .
مصنف عبد الرزاق .
المعجم الأوسط للطبراني .
المعجم الكبير للطبراني .
المغني لابن قدامة .
مقامات ابن الجوزي .
المناهي اللفظية لابن عثيمين .
موطأ مالك .
نيل الأوطار للشوكاني .
وصايا الرسول لطه عفيفي .

****

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٥
الفصل الأول : كيف نستقبل شهر رمضان ؟	٧
الفصل الثاني : التهنئة بقدوم شهر رمضان	٢٥
الفصل الثالث : إتحاف الأنام بفضائل الصيام	٢٩
الفصل الرابع : قيام الليل في رمضان	٤٥
الفصل الخامس : في صريح القرآن	٦٧
الفصل السادس : المحرومون في رمضان	٨٠
الفصل السابع : رمضان شهر القرآن	٨٧
الفصل الثامن : رمضان شهرالجود والإنفاق.....	١٠٢
الفصل التاسع : شهر الانتصارات.....	١١١
الفصل العاشر : دعوة الصائم لا ترد	١٤٤
الفصل الحادي عشر : الأسرة المسلمة في رمضان	١٥٩
الفصل الثاني عشر : أحكام الصيام	١٦٥
الفصل الثالث عشر : أخطاء شائعة وسلوكيات مرفوضة في رمضان.	٢١٨

الموضوع **الصفحة**

الفصل الرابع عشر: وفي الصيام والقيام وقاية وشفاء ٢٣٧
الفصل الخامس عشر: الاجتهاد في العشر الأواخر ٢٦٢
الفصل السادس عشر : أحكام الاعتكاف ٢٧٣
الفصل السابع عشر : زكاة الفطر ٢٧٩
الفصل الثامن عشر : العيدُ غدًا ٢٨٦
الفصل التاسع عشر : وداعًا رمضان ٢٩٨
الفصل العشرون : ماذا بعد رمضان ؟ ٣٠١
الخاتمة ٣١٥
فهرس لأهم المصادر والمراجع ٣١٧
فهرس الموضوعات ٣١٩

*****